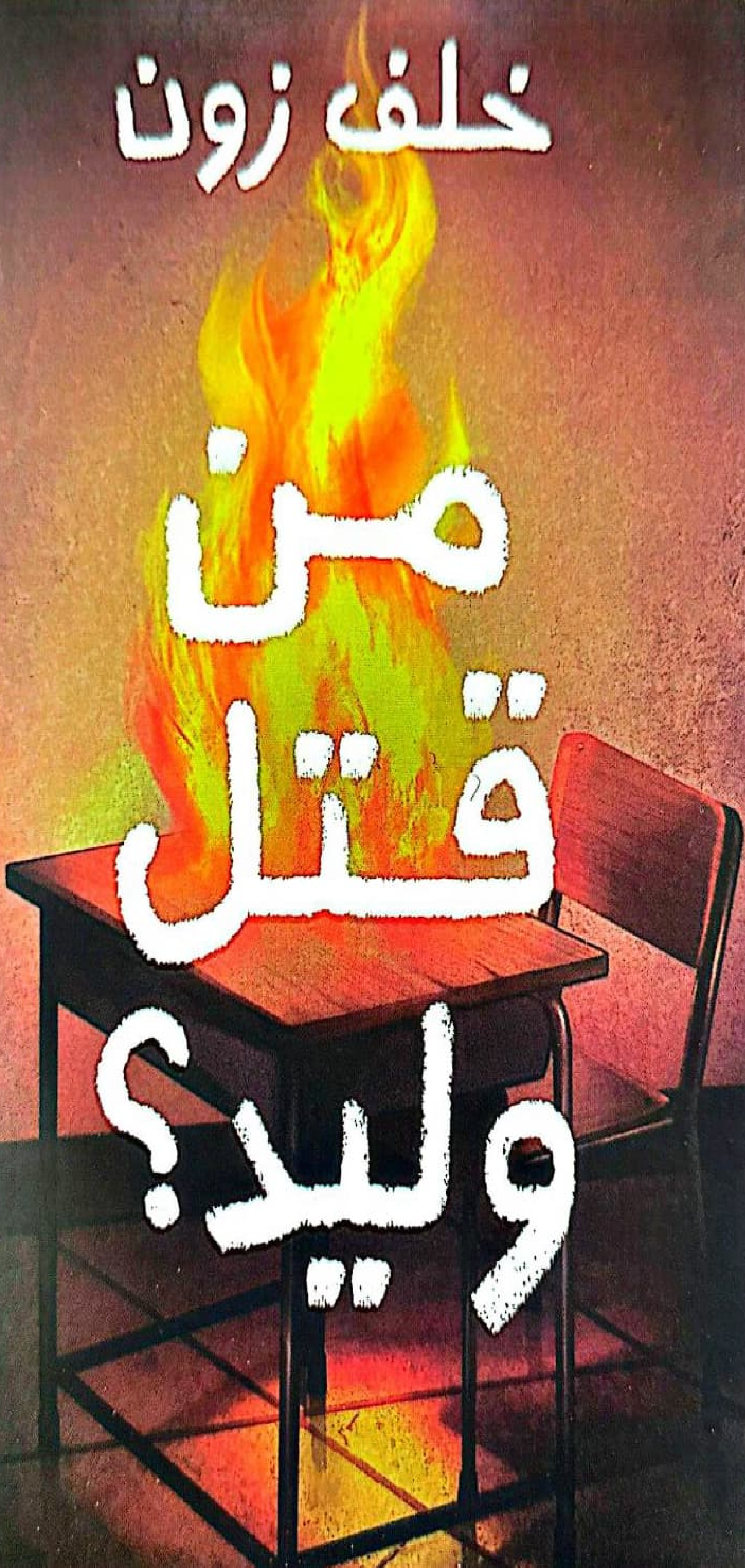


خلف زون

من

وقال

وليس؟



من قتل وليد؟

② خلف عليد الشمري ، ١٤٤٧ هـ

الشمري ، خلف
من قتل وليد؟ / خلف الشمري - ط. ١. - الرياض ، ١٤٤٧ هـ
٤٣٢ ص ؛ .. سم

رقم الإيداع: ١٤٤٧/٤٥٣٤
رسمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٥-٨٨٤٨-٠

من قتل وليد؟

رواية

خلف الشمري

"العيب المخيف حقًا في البشر هو قدرتنا على القسوة؛
كلنا نملكها."

جوليان فلين، أماكن مظلمة

التمهيد

تسللت رائحة الحريق إلى أنوفهم جميعًا.
تسمّرت عيون الطلاب في ساحة المدرسة الداخلية على الشاشة المتوهّجة.
صرخ أحدهم، بينما ظلّ المدير والمعلّمون مشغولين بالصراخ في وجه بعضهم
بعضًا داخل غرفة الاستراحة، فلم يسمعوا شيئًا.
وقف أحدهم مشيرًا إلى باب المكتبة وقال: «حريق!». علا أزيز النار وهي
تلتهم المكتبة، ولكن الأمر لم يقتصر على المكتبة، فخلف كل باب في الطابق
الأرضي، كانت النيران على وشك الانفجار.
ساد الهلع، وركض طلاب نحو البوابة الرئيسية، واندفع آخرون باتجاه
باب الساحة. كان كلاهما مغلقًا.
بدافع من اليأس، راحوا يدفعون ويخدشون مقابض الأبواب، وأجسادهم
تتزاخم، والسعال يعلو مع تصاعد الدخان، ولكنّ الأبواب لم تتحرك.
لا تُقفل هذه الأبواب عادة؛ إذن، هناك من أوصدها بإحكام، هناك من
حاصرهم؛ ومن حاصرهم... هو نفسه من أشعل النار.
لم يمهلهم الذعر فرصة للتفكير، ولو استطاع أحدهم في غمرة احتضاره
أن يجمع شتات عقله ويتأمل المشهد، لأبصر الحقيقة كاملة في وجهها المروع:
كان الأمر فعلًا مُدبّرًا، والمُرَاد: أن يموتوا جميعًا.. حرقًا.

الجزء الأول



مستلقياً بالمقعد المجاور للسائق، نشقُ عتمة الليل. قلبي يخفق بقوة؛ ولا أدري كيف وصلت إلى هنا. جسدي ثقيل، شبه مشلول، ورؤيتي ضبابية عند الأطراف. أردت أن ألتفت لأرى من يقود، لكن عنقي أبت هممتُ أن أفتح فمي سائلاً عن وجهتنا، لكن حنجرتي مُطَبِّقة، ولم يخرج أي صوت. صوت المحرك غائب، وكأنَّ السيارة تنزلق في الفراغ، وهناك مذاق معدني بارد عالق على لساني.

ناداني صوت واضح مألوف: «سعد».

«وليد؟»

تمكنت أخيراً من الالتفات برأسي المثلث، فرأيت وجه وليد، يتسم لي. قلت بصوت متهدج: «كنت أنتظر اتصالك». وجه وليد لم يتحرك، كان جامداً كصورة؛ وعندها رأيت الدم داكناً وبطيئاً، ينزل من جبينه، ويغمر عينيه المفتوحتين وابتسامته. صرختُ: «وليد، أنت تنزف!». فجأة، هزَّ دويٌّ عنيف السيارة، وانتفض جسدي متحرراً من شلله، لأصرخ ثانية: «وليد!»

صاح وليد بوجه صارم: «افتح الباب! سَعِد، افتح الباب!». فتحتُ عينيَّ الواهنتين على وقع طرقاتٍ عنيفة. أبي وأمي يصرخان بي كي أفتح باب الغرفة. غمرني الارتباك للحظة، والمذاق المعدني المرُّ ما يزال يغشى لساني.

نظرت حولي، لأدرك أنني في سريري. لم أتذكر كيف وصلت إلى هنا،
فجأة، صعدت حرقفة في حلقي، فأنحنيت إلى جانب السرير، وتقيأت.
في الضوء الخافت المتسلل من النافذة، لمحتُ علبة فارغة من دواء مسكن
بجانب السرير. لا أذكر أنني لمستها.
دوى صوت ثم اندفع الباب بعنف، واقتحم والداي الغرفة، بوجهيهما
المليئين بالذعر.
قال أبي في الهاتف والذعر واضح في صوته: «نعم، نحتاج إلى سيارة
إسعاف. ابني ابتلع علبة دواء كاملة».

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص

سعد الآن

أفرغوا جوفي من كل شيء لينقذوا حياةً لفظتها بنفسي؛ حياتي التي تخليت عنها. لم أتكلم بعد ذلك، ولا حتى حين سألتني أمي إن كنت بخير. لم أستطع أن أرفع عيني لأنظر إليها، لكنني أحسست بوقع نظراتها القلقة، تلك النظرات التي طالما اخترقتني ولاحتفتني كلما تعثرت خلال اللعب، أو سعلت بعد الركض على الدرج. تلك النظرة التي تذكرني بمدى هشاشتي وضعفي.

«أنا بخير، يا أمي» كنت أقولها في كل مرة تسألني فيها إن كنت بحاجة إلى الذهاب للمستشفى. في إحدى المرات، حين أصبت بزكام خفيف، أخذتني هي وأبي إلى هذا المستشفى ذاته؛ حتى الطبيب قال لهما إنه لا حاجة لذلك. قال أبي حينها، ونحن في طريق العودة إلى البيت: «على الأقل، فإننا نعرف الآن أنك بخير»، في حين ظلت أمي تراقبني طوال الطريق وكأنني على وشك الموت. طيلة حياتي، طيلة حياتي، كنت أختنق تحت وطأة حمايتهم المفرطة. لم يكن يُسمح لي بها يُسمح به لأقراني، إلا تحت أنظارهم التي ترصد كل حركة مني. لم يعاملني أحد كأنني طبيعي... لا أحد سوى وليد.

همست أمي بجوار السرير في المستشفى حين كنت أنظاها بالنوم: «دكتور، صديقه... وقع لها حادث أمس، وتوفي، و...»

استمرت في التوسل للطبيب كي يُقيني هنا فترة أطول؛ لأنها وأبي يخشيان محاولة إنهائي حياتي من جديد.

ما زال لا يفهمان.

أنا جيان.

مذ كنت صغيراً، ووليد دائماً إلى جانبي بحميني، حتى حين كلفه ذلك
الكثير. كنت أنا من أتجمد خلف وليد حين يهاجمنا طلاب المدرسة، وكان
هو من يتلقى اللكمات، ثم يلتفت إليّ ليطمئني بابتسامة وكأن شيئاً لم يكن.
«لن يزعجوك مرة أخرى. لن أسمح لأحد أن يؤذيكم»
كان دائماً هو من يقف أمامي ليحميني. ولم يدر بخلده قط أن الطعنة
ستأتيه مني أنا.

وليد سابقا

استفاق وليد على ملمس البلاط البارد تحت ظهره. فُتِحَتْ عيناه المرتجفتان
بيطء، فوجد نفسه يواجه جدارًا. استدار؛ رأى ضوء يتسلل من تحت الباب،
وينير الغرفة بما يكفي ليدرك أين هو: أهى غرفة الغسيل؟
هل ضلَّ طريقه إلى هنا بالأمس؟ أرعبته الظلمة، مع أنه لم يعد طفلًا
صغيرًا، إذ سيبلغ السادسة قريبًا!

سيسخر رامي منه بسبب هذا، وسيتهكّم عليه كما فعل حين سمعه يتكلم
وهو نائم.

جلس، فشَمَّ رائحة حطب محترق على ملابسه؛ كان جسده الصغير يؤلمه،
فقد ركض كثيرًا في الصحراء أمس. استند إلى الغسالة ليتمكن من الوقوف،
ثم مدَّ يده إلى مقبض الباب.
سحب، فلم يُفتح.

سحب مجددًا ودفع؛ الباب مغلق. بحث عن المفتاح في الباب، فلم يجد
شيئًا.

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص
حدّق مختارًا.

هل حبس نفسه وألقى بالمفتاح؟ مدَّ يده ليحكَّ رأسه، فإذا بوخزة ألم في
قمة رأسه. شعره قاسٍ ومتيبس بدمٍ جاف؟

راح يفتّش بين الرفوف المعدنية الباردة، وفوق الغسالة، وحتى في سلة
الغسيل. لا شيء.

انحنى، مستعينًا بخيط ضوء الشمس الرفيع الذي انعكس خافتًا على
البلاط الأبيض.

لا شيء.

ألقى بنفسه على الأرض، وألصق خذّه بالبلاط البارد. بالكاد تمكّن من
رؤية أرضية غرفة المعيشة، بسجاداتها الرمادية الفاتحة التي أصرت أمه على
شرائها في العام الماضي.

همس مناديًا: «أمي!». تساءل إن كان سيوقظ والده لو صاح بصوت
أعلى.

«رامي!»

فُتِحَ أحد الأبواب.

همس مجددًا: «أمي!». عادةً تستيقظ أمه أولاً، وهذا سينقذه من الإحراج.
مرت أمه عبر غرفة المعيشة بخطوات ثقيلة، كأنها ما تزال نائمة.

«أمي!»

توقفت قدماها.

طرق الباب الخشبي وقال: «أنا هنا يا أمي!»

ولكنها واصلت السير حتى اختفت عن ناظره.

صرخ: «أمي!»

انتظر مرتبكا... ثم عاد يطرق الباب ويصرخ. نادى والده، ورامى،
بل حتى محمداً؛ لكن لا أحد بدا أنه يلاحظ وجوده. شعر بقلبه يتسارع في
الحفقان.

صرخ، وهو يطرق الباب بعنف: «أنا هنا!». ... فُتِحَ الباب فجأة، فوجد
محمداً يطلّ من خلفه كجدار يحجب عنه ضوء الشمس.

قال وليد ضاحكًا: «أخيرًا!»

لم يقل محمد شيئاً، بل حدّق فيه فقط. أهو غاضب؟ وليد لم يفعل ما يثير غضبه.

مرّ وليد بجانبه بحذر، وتوجّه إلى غرفته وغرفة رامي. حاول فتح الباب، فوجده مغلقاً أيضاً.

التفت خلفه، فأحس بنظرات محمد تخرق ظهره كالإبر الملتهبة. طرق الباب وصاح: «رامي! افتح، أريد أن أستحم! رامي!...» اجتذّب من عنقه، ومحمد يجرّه عبر الردهة، وقبل أن يدرك ما يحدث، وجد نفسه يُلقى أرضاً، ويلسع جلده احتكاك السجادة الخشنة في غرفة الجلوس.

كانت أمه جالسة في الزاوية، وأسفل عينيها هالات قاتمة، وأمام والده منفضة سجائر ملأى بأعقاب محترقة.

هناك ما يدعو للقلق. والده لا يدخّن داخل المنزل أبداً، والتلفاز الذي طالما ظلّ يعمل في الخلفية حين يجلسون، مطفأ.

أمر محمد بصوت عالٍ: «أخبرهم!».

ظلّ فم وليد مفتوحاً؛ ثم قال محاولاً الحفاظ على ثبات صوته: «أقسم أنني لم أفعل شيئاً».

لا يمكن أن يعاقبوه لمجرد أنه تاه ودخل غرفة الغسيل! لم يكن يعلم.

تقدّم محمد خطوة، فأصبح تهديده واضحاً، وقال: «أخبرهم».

«أخبرهم بماذا؟»

جذبه محمد من أذنه، ولفها بعنف.

صرخ وليد: «توقّف عن فعل ذلك! أمي! أوقفه!»

«أخبرتهم ما أخبرتني به أمس!»

ثمّ زاد من قوة لف أذنه، فانساب دموع وليد على وجنتيه.

أدار والده وجهه جانباً، وغطّت أمه وجهها وبدأت تبكي.

صرخ وليد متوسلاً: «أبي!»، وهو يدرك في قرارة نفسه أن أباه لن ينجده.
لم يفعلها قط، ولن يفعلها الآن.

نفض محمد يده عن أذنه ليمسك بتلابيب قميصه، ثم جره عائداً إلى
الفرقة وقذفه للداخل. ارتطم جسده بالجدار وسقط، قبل أن يسمع صوت
المفتاح يدور في القفل من الخارج.

ظل واقفاً في الظلام، ذاهلاً، يحاول استيعاب ما حدث للتو.

ماذا يريد محمد؟ أن يخبرهم بماذا؟ ماذا فعل البارحة؟

قرب قميصه من أنفه مرة أخرى، واستنشق، فالتقط رائحة وقود.
آخر ما يتذكره من أمس هي الصحراء. المخيم الذي دعاهم إليه عمه...
كل ما تبقى في ذاكرته من أمس كان الإحساس بقدميه تغوصان في الرمل
وهو يركض مبتعداً عن أبناء عمه.

رفع يده من جديد إلى قمة رأسه، حيث عاد الجرح يتزف شعر بحرارة
الدم لزجة على أطراف أصابعه، وصدى نبضات قلبه يدوي في أذنيه.
ماذا فعلتُ؟

بعينين مثقلتين بالإرهاك، تركتُ والدتي تقودني نحو السرير. جلستُ، وفي لمحة خاطفة، رأيت والدي يجمع بعناية كل ما قد يُستخدم كسلاح من على مكتبي، مثل مقص الأظافر، وحتى قلم الريشة الذي كان قد أهدانا إياه يوم تخرجنا من الصف السادس. المفتاح اختفى هو الآخر، على الرغم من أن القفل ما زال معطلًا؛ كل ذلك لم يكن إلا سعيًا منها لمنعي من محاولة إيذاء نفسي مجددًا.

همست: «أحتاج إلى النوم، يا أمي»، راجيًا أن تتركني وحدي. كنت أعلم أنها ستعود بعد دقائق، لتأكد أني لم أَلِف الغطاء حول عنقي، وكأنني أملك الطاقة لفعل ذلك.

تفحّصت منضدتي الجانبية مرة أخرى، باحثة بعينين يقظتين عن أي دواء يمكنني الوصول إليه، فيما بدا وكأنه نقيض روتينها المعتاد.

سألني من عند الباب: «أمتأكد أنك لا ترغب في بقائي معك؟»

أجبتُ، بصوت أكثر خفوتًا: «كلُّ ما أريده هو النوم».

غادرت مترددة، وتركت الباب مفتوحًا على مصراعيه.

في العتمة، التفتُّ إلى الجانب الذي لم يصاب، وحدّقتُ في الهاتف المستقر على المنضدة؛ ذاك الهاتف تحديدًا. لقد وُجد في موقع الحادث، على بُعد خطوات قليلة من الحطام. تسعة أشهر كاملة ظلَّ خلالها شريانًا لحياتي. لم أضعه يومًا في الوضع الصامت، وكنت أفتحه مرارًا وتكرارًا، بجنونٍ لا يهدأ. أراقب، وأتمنى. لعلَّ رسالة تأتي من وليد.

تَحَيَّلْتُ تِلْكَ اللَّحْظَةَ مِثْلَ الْمِرَّاتِ: صَوْتُ رَنِّينِ خَافَتِ، وَاسْمُ وَلِيدٍ يَسْطَعُ
عَلَى الشَّاشَةِ. أَتَنَاوَلُ الْهَاتِفَ بِيَدَيْنِ مَرْتَجِفَتَيْنِ، وَالدَّمُوعُ تَتَجَمَّعُ فِي مَقَلَّتِي وَأَنَا
أَفْتَحُ الرِّسَالَةَ، ثُمَّ أَعْتَذِرُ، لَعَلَّهُ يَسَاعُنِي. لَعَلَّ الْأُمُورَ تَعُودُ إِلَى سَابِقِ عَهْدِهَا؛
نَفَرٌ مِنْ مَنَازِلِنَا لَيْلًا، وَنَرَسِمُ مَعًا خُطَطَ التَّخْرُجِ، وَنَحْيَا الْأَحْلَامَ الَّتِي كَانَتْ
لَتَحَقُّقٍ.

تَحَوَّلَ نَظْرِي إِلَى الْأَرِيكَةِ الزَّرْقَاءِ بِجَانِبِ التِّلْفَازِ. كَمْ مِنَ السَّاعَاتِ
قَضَيْنَاهَا هُنَاكَ، نَتَنَازَعُ عَلَى أَلْعَابِ الْفِيدْيُو، وَنَشَاهِدُ الْأَفْلَامَ، وَنَضْحَكُ حَتَّى
يُؤَلِّمُنَا الضَّحْكَ. خِلَالِ الْأَشْهُرِ التَّسْعَةِ الْمَاضِيَةِ، تَحَوَّلَتْ كُلُّ تِلْكَ الذِّكْرِيَّاتِ
إِلَى نَارٍ تَشْتَعِلُ فِي دَاخِلِي كُلَّمَا تَذَكَّرْتُهَا.

تَسْعَةُ أَشْهُرٍ كُنْتُ خِلَالَهَا أَتَرَقَّبُ رِسَالَةَ وَلِيدٍ، مُتَلَهِّفًا لَأَيِّ إِشَارَةٍ، ثُمَّ قَبْلَ
أَيَّامٍ، وَصَلَتْ أَخِيرًا: أَنَا فِي الْخَارِجِ

خَرَجْتُ إِلَى عَتَمَةِ اللَّيْلِ، كُلُّ خُطْوَةٍ أَثْقَلَ مِنْ الَّتِي قَبْلُهَا. الْفَلَلُ مِنْ حَوْلِي
وَالْأَشْجَارُ الَّتِي تَحْرُسُهَا تِرَاقِبُنِي بِصَمْتٍ. وَفَجْأَةً، أَضْوَاءُ سَيَّارَةٍ تَخْتَرِقُ الظَّلَامَ.
إِنَّهُ هُوَ.

تَسَارَعَتْ أَنْفَاسِي. تَقَدَّمْتُ نَحْوَ السَّيَّارَةِ، وَالْخُطَوَاتُ الْقَصِيرَةُ بَدَتْ كَأَنَّهَا لَا
تَنْتَهِي. كُلَّمَا اقْتَرَبْتُ، بَدَأَ وَجْهُ وَلِيدٍ يَتَشَكَّلُ أَمَامِي خَلْفَ الْمَقْوَدِ. كَانَتْ أَضْوَاءُ
السَّيَّارَةِ سَاطِعَةً، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَطْرُقْ لِي جَفَنٌ. لَمْ أَصْدِقْ عَيْنِي.

قَالَ وَلِيدٌ بِصَوْتٍ بَارِدٍ، وَمَلَامَحَهُ لَا تَعْبُرُ إِلَّا عَنِ الْغَضَبِ: «ارْكَبْ»

رَكِبْتُ مُتَرَدِّدًا، ثُمَّ وَضَعْتُ يَدِي عَلَى حَافَةِ الْمَقْعَدِ. مَلَمَسَ الْقِمَاشِ الْخَشْنِ
ثَبَّنِي فِي مَكَانِي؛ لَقَدْ كَانَ الْأَمْرُ حَقِيقِيًّا. نَظَرْتُ إِلَيْهِ، أَحَاوَلْتُ اسْتِجْمَاعَ
شَجَاعَتِي لِأَتَكَلَّمَ، لَكِنُّ الْعَارَ عَقَدَ لِسَانِي. لَمْ تَكُنْ لَوْلِيدٍ سَيَّارَةٍ مِنْ قَبْلُ، فَلَا
شُكَّ أَنَّ هَذِهِ تَعُودُ لِشَقِيْقِهِ الْأَكْبَرِ، مُحَمَّدٍ.

تَذَكَّرْتُ تِلْكَ الْجَوْلَاتِ اللَّيْلِيَّةَ قَبْلَ سَنَوَاتٍ، حِينَ قَالَ وَلِيدٌ: «نَحْنُ أَصْدِقَاءُ
مَقْرُبُونَ، لَا إِخْوَةٌ»

ضحكتُ يومها وسألته: «وما الفرق؟»

ردُّ بصوت يحمل نبرة من المرارة: «أتظنُّ أنني كنت سأختار محمدًا ليكون أخي؟»

ومن تلك النبرة وحدها، حتى دون أن يبوح بتفاصيل، علمتُ أنَّ حياته في ذلك المنزل كانت جميعًا.

سأله مما زحًا: «هل كنت ستختارني أنا أخًا لك؟»

تأخر في الردِّ، ثم هزَّ رأسه بعد لحظة طويلة، بترددٍ شديد. تلك اللحظة تطاردني حتى الآن. إخوة وليد خانوه. وأنا فعلتُ الشيء ذاته.

شفتُ مهمة السيارة صمت الليل، وانسابت المنازل في المشهد كظلالٍ سائبة تتوارى في العتمة. سلكتنا طريقًا رئيسيًا خفت فيه الأضواء وهدأت حركة المرور، حتى لم يبقَ أمامنا سوى السواد يمتد بلا نهاية. كنت أراقب وليدًا، وأبحث في ملامحه عن تفسير، وأحاول قراءة صمته، وفهم ما الذي يشغل باله، وما الذي يشعر به في تلك اللحظة.

سألت أخيرًا، بصوت كسير يزاحم التردد: «إلى أين نحن ذاهبان؟»

أجاب دون أن يحول نظره عن الطريق: «لرؤية بعض الأصدقاء»

كان صوته خاليًا من أي دفء، وأصابه تقبض على المقود بقوة بالغة.

أصدقاء؟ شعرت بمعدتي تهوي إلى قاع بعيد. سألت، والنبرة في صوتي

مشوية بشعور الخيانة: «هل كوَّنت صداقات؟»

ردُّ بيروء لم أعهده فيه: «نعم. إنهم أناس رائعون من المدرسة. لا أطيع

صبرًا حتى أعرفك بهم».

ثمة شيء غير طبيعي. بدأ صدري يضيق، فاستخرجت بخاخ الربو من

جيبِي على عجل. لمحه وليد وانتزعهُ من يدي.

ثم لا أدري كم من الوقت مضى؛ ثوانٍ أم دقائق أم ساعات، حتى وجدت

نفسي ملقى ووجهي في الرمل، ورائحة الزيت تملأ أنفي. نهضت منزعجًا،

يتصدّع جسدي بألم في الكتف والصدر؛ وعلى مقربة مني كانت سيارة وليد مقلوبة، هيكلها المعدني مطوي كأنما عُصر بعنف.

صرخت: «وليد!» وانهار صوتي تحت وطأة الذعر وأنا أركض نحو الحطام. جذبت الباب، لكنه لم يتحرك. انزلقت يداي على المعدن الساخن، وذعري يتزايد.

من داخل السيارة صدر سعال خافت. استجمعت قواي وسحبت الباب مجددًا، حتى جمد الألم أطراف أصابعي. حاولت البحث عن هاتفني، لكنه اختفى؛ ابتلعه الرمل. رائحة البترين أصبحت خانقة.

نظرت نحو الطريق، ولم أجد أثرًا للسيارات، لا أضواء، لا حياة. سيكون مطابق.

تسللت إلى ذهني فكرة مرعبة، فكرة لم أجرؤ على النطق بها: «لقد قتلته». راحت الجملة تدور في رأسي بلا هوادة، حتى لمحت أضواء سيارة؛ لكنها لم تأت من الطريق، بل من جهة التلة الرملية. اجتاحتني راحة غامرة. سينجو وليد، حتى وإن عجزت عن إنقاذه بيدي، فثمة مَنْ سيفعل. بدأت السيارة - من طراز ديدسون - في الهبوط. أضواؤها تعميني، لوّحت بذراعي بجنون صارخًا: «أنا هنا!».

ارتفع هدير المحرك، انحرفت السيارة قليلًا، ثم اندفعت نحوي بسرعة لا تُصدق. تجمّدت مكاني، شعرتُ أن ساقي سلبتا مني تحت وقع الصدمة. صرختُ وأنا أقفز وألوح: «توقف!». دوى بوق السيارة، وأضواؤها ومضت. وفي اللحظة الأخيرة، أبصرت وجهًا خلف المقود؛ خاليًا تمامًا من التعبير. على الزجاج الأمامي، ملصق وجه مبتسم مضى، يتهمكم بي بصمت مقصود.

لم تتباطأ السيارة. صدمت جنبي، ودفعني إلى الرمال. بقيت هناك،
ممدداً، أرتجف، أحدى في الأضواء الخلفية وهي تبعد رويداً في الظلمة،
حتى اختفى كل شيء.

«سعد»

اخترق صوت والدتي الضباب. امتلأت الغرفة بالضوء.

«هل أنت بخير؟»

ثم رفعت قميصي، فشهقت وهي ترى الكدمة البنفسجية الغائرة على
جانبي، وسألتني: «أما زالت تؤلمك؟»

لم أجب. عقلي ما يزال عالقاً في الصحراء، يعيد شريط الحادث: الاصطدام
والسيارة والمصق والسائق. ترددت في داخلي كلمات وليد: «الرؤية بعض
الأصدقاء».

وخرائط جوجل كانت تشير إلى أننا على وشك الوصول.

ذاك «الصديق» الذي كان ينتظر في الصحراء، رأى الحادث ولم يفعل
شيئاً. لا؛ لقد فعل ما هو أقطع. هو من قتل وليد.

لو كان الموقف معكوساً، لما بقي وليد مكتوف اليدين. كان ليفعل شيئاً.
تصاعد الغضب داخلي مشتعلًا بحدة. أحتاج إلى معرفة ذلك الشخص. لا
يمكنه الإفلات بها فعل. ليس بعد ما حدث.

نطقْتُ أخيراً، بصوت ثابت، للمرة الأولى منذ شهور: «أمي. أريد تغيير
مدرستي».

انقضت ثلاثة أيام قبل أن يدرك وليد أن غرفة الغسيل قد تتحوّل إلى سجنه الأبدي. بكى ثم غفا ثم عاد إلى البكاء من جديد. كانت الأفكار تدور في رأسه كدوامة لا مفرّ منها، أكثرها مرارة تلك التي تتعلق بأخيه محمد، ذاك الذي لا يرّد والده كلمته، لا خشيةً منه، بل لأنّ الأب لا يريد أن يسمح لشيء بتعكير مزاجه.

لكن ما كان أزعجه هو رامي. لماذا لا يكلمه؟ لطالما آمن أن العلاقة بينهما تتجاوز الأخوة، وأنها صديقان قبل أي شيء آخر، إذ لم يستغل رامي قط حقيقة أنه يكبره بعامين.

«لماذا لا يكلمني ولو من خلف الباب؟» سؤال عَصّ بسببه وليد شفّيته من شدة الغيظ وهو يردده في ذهنه.

يتذكّر حين حبس محمد رامي ذات مرة، كان وليد يجلس طويلاً خلف الباب ويتحدث إليه ويسلّيه ويلعبان معاً لعبة «إكس-أو»، بدفع الورقة ذهاباً وإياباً تحت الفتحة السفلى للباب.

الآن فقط بدأ يدرك أن محمداً لم يحبس رامي يوماً كاملاً قط. هذا الإدراك غمره بالارتباك، كأنه يفتح عينيه على وجه الحقيقة للمرة الأولى.

«ما الذي اقترفته ليفعل بي هذا؟»

رفع يده ولمس مؤخرة رأسه، ما زال موضع الألم حيّاً، ولكنه لم يكن بشدّة تلك اللحظة حين كان تحت الماء ومحمد يصرخ به من خلف الباب بأن يُسرّع.

أدار عينيه نحو الدلو الذي تركه محمد «في حال لم يكن أحد بالمنزل»،
وإلى جانبه البطانية والمرتبة؛ أدرك الآن أن تلك كانت طريقة والدته الجبانة
في التعبير عن تعاطفها الخفي. ذلك النوع من التعاطف الذي لا يُسمِن ولا
يغني، ولا يكفي لتغيير المصير. حتى رامي، بدا أضعف من أن يُقدم على
شيء. لا أحد مستعد للوقوف في صفه.
لا أحد... سواء نفسه.

مدّ يده إلى الدلو، وشعر ببرودة المعدن تنسحب إلى أصابعه، ثم رفع بصره
إلى الرفوف، ومنها إلى الباب الخشبي المغلق.
«هل يمكن خدش قلب القفل؟» راح يحدق فيه. الخشب القديم من
حوله بدأ يتفتت بالفعل. وحتى لو لم يتفتت، فلن يقضي وقته هنا دون أن
يفعل شيئاً.

سيهرب من هذه الغرفة، ويجري مباشرة إلى عمه منصور، ليخبره بكل
شيء.

وقف بإصرار، وقلب الدلو لجعله قاعدة، ثم اعتلاه ليصل إلى أحد
الصناديق في الرف العلوي. الصندوق الذي يحتوي على البراغي والمسامير،
الذي كان والده يصيح دائماً على محمد ليحضره. سحبه نحوه، وأوقفه قبل أن
يسقط على وجهه، ولحسن الحظ لم يسقط شيء سوى بعض الغبار.

أغمض عينيه بقوة، وحبس أنفاسه، وقال لنفسه: «عليّ أن أكون حذراً». هذه
فرصته، لا يستيقظ محمد قبل أذان الظهر وحينها سيتوقف. غرفة
والديه هي الأبعد عن موقعه، ومع تشغيل المكيف دائماً، فلن يسمعا شيئاً.

ربما يسمعه رامي، فهو في الغرفة المجاورة - الغرفة التي كانا يتقاسمانها
قبل أن يتحوّل هو إلى سجين - ربما أخيراً يفعل شيئاً، ولكنه لن ينتظر ذلك،
فهو يعرف جيّداً، أنه لا ينبغي أن يعوّل على أحد.

بدأ الخدش، والمفكّ يسخن في يده.

إن استمر على هذا النحو، فقد يحتاج يوماً وربما يومين.
ارتجف ولید من فكرة أن يبقى محتجزاً كل تلك المدة. لا. لن يسمح
بذلك. على الأقل لن يستسلم دون محاولة. خدش مجدداً..
تجمّد بعدما سمع صوت بابٍ يُفتح. عاد تحت البطانية، وأخفى المفكّ
تحت وسادته. انتظر، حابساً أنفاسه. لم تكن خطوات محمد.
خطوات خفيفة، ضعيفة. خطوات والدته.

ألقي نظرة من تحت الباب، وما هي، كما في الأمس تماماً... تقف محدّقة في
الغرفة، ربّما تفكّر في فتح الباب، أو لعلّ محمداً كلّفها بالتأكّد من أنه لم يخرج.
الفكرة نفسها عادت إليه: لماذا لا تفتحينه لي؟ لماذا لا تمنعين محمد من
تعذيبني بهذه الطريقة؟!

«أمّي، أحتاج إلى الذهاب إلى الحمام» ثمّ يواصل «أقسم أنني لن أحاول
الهرب مجدداً»

لن تصدّقه. ربّما أقلّ محمد باب الشقة أيضاً بعد محاولته الفاشلة للهروب
يوم أمس.

قال بصوت انهماكي: «أمّي»، ولكن انطلق صوت ارتطام عنيف فجأة
من غرفة المعيشة. انحنى بسرعة وألقى نظرة من الفتحة الصغيرة أسفل
الباب، وهناك كانت أمه، على الأرض، بوجهها الصغير الشاحب.
صرخ وضرب الباب بعنف: «أمّي!!».

هل ماتت؟ شعر بالرعب.

ازداد صراخه، محاولاً إيقاظ محمد والبقية: «أمّي!».

طرق الباب بأقوى ما يمكنه، وراح ينادي أسماءهم واحداً تلو الآخر،
ولم يردّ أحد. عليه أن يفعل شيئاً؛ أدخل يده بسرعة تحت الوسادة وأخرج
المفكّ، وبدأ بالخدش. اشتدّ الألم في قبضته، لكنه واصل يصرخ طالباً النجدة
من أبيه. حفر بقوة، حتى قفز المفكّ من يده.

بدأ القفل بالظهور الآن. أصابعه تؤلمه.

ظهر القفل! التقط المفك مجددًا، وغرسه بين المعدن والخشب حتى سمع الطقطقة.

اندفع على سجادة غرفة المعيشة، ثم نهض راكضًا نحو أمه، يناديها والدموع تغمر عينيه. هل ماتت؟ هزّها، لكنها لم تتحرك.
(لا!)

ركض إلى غرفة محمد، وطرق الباب، ثم إلى والده، ولم يجد أحدًا هناك أيضًا؛ بكى وهو يعود إلى غرفة المعيشة، ثم إلى الهاتف، وضغط 999. هل هو 999؟ أم 998؟ ضغط بأصبع مرتجف وشفاه مرتعشات، 999، وبدأ يمشي ذهابًا وإيابًا بقلق حتى تلقى الرد.

قال في الهاتف: «أمي! نحتاج إلى المساعدة حاليًا!».

اقترب منها، يلمس كتفها محاولًا إيقاظها، والدموع لا تتوقف عن الانحدار على خده.

ارتعشت. ليست ميتة! شهق من الدهول.

فتحت عينيها نصف فتحة، ولمحته، لمست وجهه، فتوقّف عن البكاء، وانزلت يدها من رأسه إلى ذقنه.

همست: «رامي...».

ثم دوى صوت الباب بدخول محمد ووالده الذي دفعه جانبًا.

قال دون أن يوجّه حديثه لأحد: «سقطت»، فساعدها والده على

الجلوس، واختفى محمد، إذ توجه إلى المطبخ ثم عاد بكوب ماء.

«اتصلت بـ...».

شماغ والده لا يحمل عقلاً، وهو أمر بدا له غريبًا. غريب أنه لاحظته

حتى، لكن دماغه كان يبحث عن أي شيء يُبعده عن...

قال محمد: «أمي، اشربي قليلاً من الماء»، فانصاعت... ثم ساعداها على ارتداء العباءة وغادروا.

ظلَّ واقفاً في المكان الذي سقطت فيه حتى جفَّت دموعه.

رأى محمد خروجه من الغرفة. وحذره من إصدار أي صوت، أو من طلب المساعدة، فضلاً عن محاولة الهروب مجدداً.

الآن خرج من الغرفة... سيعود محمد من المستشفى، ويضربه، وربما يخنقه كما فعل في ذلك اليوم؛ وربما يقتله حتى!

باب الشقة! اقرب منه، ليتحقق إن كان مقفلاً، فإذا به يُفتح بصوت خافت.

النقطة نفساً خفيفاً... ثم خطا خطوة إلى الخارج.

بدا مبنى المدرسة بلونه البني الفاتح مختلفاً في الصباح الباكر. أمام زرقة السماء الباهتة، يبدو كأنه يتقلّص، أو يحاول الاختباء في العفن. إنه هنا. أشعر بذلك. أقبض على المقود بقوة. سأجده. ذلك الذي ترك وليدًا يموت. لن أتوقّف حتى أصل إليه.

يهتزُّ الهاتف في حامل الأكواب. أعرف هذا الاهتزاز، إنه إصرار أمي يتجسد في ارتجاجات عنيفة تكاد تخلع الهاتف من مكانه. لو أجبت، سينفجر في وجهي سيل الأسئلة نفسه الذي يطاردني منذ أسبوع: ما مشكلتك مع مدرستك القديمة؟ والدك قادر على دفع تكاليف أي مدرسة خاصة، ولكن قراري حاسم، وقد قلته لها بوضوح قاطع أنهى النقاش: «إما ثانوية أنس بن مالك، وإما لا مدرسة على الإطلاق». نظرات القلق التي تبادلها حينها ما زالت محفورة في ذاكرتي.

أمسح بنظري موقف السيارات المخاوي إلا من سبع سيارات وحيدة. الساعة تشير إلى 06:13 صباحًا، ولا أثر لسيارة الديدسون تلك. أترجّل على أي حال، وأتجوّل بين السيارات كشبح، وعيناوي تمسحان زجاجها تحسبًا لأي احتمال.

إلى اليسار، أشباح أخرى لطلاب يعبرون شارعًا ضيقًا قادمين من جهة السوبرماركت، وإلى اليمين، تكتلٌ بشري يتجادل بحرارة خافتة.

طرق! طرق!

ضربتَانِ حَادَتَانِ عَلَى نَافِذَةِ سَيَارَتِي تَفْزَعَانِي وَتَتَشَلَانِي مِنْ شُرُودِي.
أَرْفَعُ رَأْسِي لِأَرَى رَجُلًا يَبْدِلُهُ رِيَاضِيَةٌ يَمُرُّ بِجَانِبِي، يَرَبْتُ عَلَى سَاعَتِهِ بِإِيهَابَةٍ
مَبَالِغٍ فِيهَا مِنَ الْإِنزِعَاجِ. أَطْلُقُ صَفِيرًا حَادًّا اخْتَرَقَ هَدُوءَ الصَّبَاحِ، شَادًّا
إِنْتِبَاهَ جَمِيعِ الطُّلَابِ.

قَالَ: «أَسْرِعْ!» وَدَفَعَنِي بِلُطْفٍ عِبرِ الْبَوَابَةِ.

سَأَلَ أَحَدَ الطُّلَابِ، مُشِيرًا إِلَى بَوَابَةِ «خَاصِّ بِالْمُعَلِّمِينَ»: «أَسْتَاذُ يُجِبُّ، هَلْ
نَدْخُلُ مِنْ هُنَا؟»

رَدَّ الرَّجُلُ بِكَتْفٍ مُرْتَفِعٍ، وَبَادَلَنِي نَظْرَةً وَدِيَّةً قَائِلًا: «نَعَمْ، إِيهَابُ». بَدَأَ
شَابًّا، وَكَأَنَّ مَقَاعِدَ الْجَامِعَةِ لَفْظَتُهُ لِلتَّو. حَتَّى تَجَاعِيدُ قَمِيصِهِ الْأَبْيَضِ وَحِذَاؤُهُ
الْمَوْجِلِ يُوَحِّيانَ بِأَنَّهُ مَا زَالَ يَتَعَثَّرُ فِي خَطَوَاتِهِ الْأُولَى نَحْوَ عَالَمِ الْبَالِغِينَ.

سَأَلَنِي وَنَحْنُ نَدْخُلُ الْممرَ: «أَأَنْتَ جَدِيدٌ هُنَا؟». بِرُودَةٍ الْمَكِيفِ حَوَّلَتْ
عَرْقِي إِلَى طَبَقَةٍ مِنَ الصَّقِيعِ عَلَى جَبِينِي. أَوْمَأَتْ بِرَأْسِي.

«سَنَةِ أُولَى؟»

تَمَتَّتْ: «ثُمَّ... ثَالِثَةٌ».

قَالَ وَهُوَ يَتَعَدَّى: «حَسَنًا، تَوَجَّهْ إِلَى صَفِّكَ». تَوَقَّفَ فِي مُتَصَفِّ الْخَطْوَةِ
وَعَادَ أَدْرَاجَهُ، وَسَأَلَ: «أَنْتَ لَا تَعْرِفُ أَيْنَ صَفِّكَ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟»
هَزَزْتُ رَأْسِي نَفْيًا.

نَادَى فِي الْممرِ: «إِيهَابُ!»

«نَعَمْ!»

انْطَلَقَ إِيهَابُ نَحْوَنَا رُكْضًا، وَرَائِحَةُ عَطْرِهِ الْقَوِي وَصَلَتْني قَبْلَ أَنْ
يَتَوَقَّفَ. شَعْرُهُ مَحْلُوقٌ بِدَقَّةٍ عَلَى الْجَانِبَيْنِ، وَكُلُّ خَصْلَةٍ فِي الْأَعْلَى مُصَفَّفَةٌ
بِعَنَایَةٍ. بَدَأَ وَجْهَهُ مَأْلُوفًا بِطَرِيقَةٍ مَا، لَكِنِّي لَمْ أُسْتَطِيعَ تَحْدِيدَ السَّبَبِ.

هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ سَائِقُ الدِيدَسُونِ؟ أَسْلُوبُهُ لَا يُوَحِّي بِذَلِكَ، لَكِنِّي عَلَيَّ
أَنْ أَتَرَقَّبَ.

قال الأستاذ يحيى قبل أن يختفي داخل غرفة المعلمين: «خذ معك»
قادي إيهاب إلى الأعلى؛ الطابق الثاني، ثم الثالث، ثم عبر عمر ضيق.
توحي الفصول في الطابق الثالث بالقدم، أبوابها الخضراء متقشرة الطلاب.
ج3~

توقف إيهاب أمام الباب، وأشار لي بالدخول.
تناثر عدد قليل من الطلاب في أنحاء الفصل؛ بعضهم تكتل في الخلف
يتبادل أحاديث خافتة، ومجموعة في الوسط التفتت نحوي بنظرات فضولية،
في حين تمدد أحدهم فوق طاولة المعلم، غارقاً في نوم عميق.
قال إيهاب، وأشار بسبابته إلى ورقة مثبتة بشريط لاصق فوق مفتاح
الإضاءة: «هنا. ابحث عن اسمك».

ثم استدار نحو أحد الطلاب وسأله: «هل طبعت هذه اليوم؟»
تجاهلتهما، وانزلت عيناها على القائمة، تمسح الأسماء بلا تركيز:

نواف صالح

عيد خالد

تركي الخليل

سعد مبارك

ثم... وليد عابد

تجمد كل شيء. توقف الهواء في رثتي وتحول إلى كتلة من الجليد. اسم
وليد ما يزال هنا، مطبوعاً بالحبر الأسود على الورق، كما لو أنه لم يغادر قط.
كما لو أن قلبه ما يزال ينبض.

قال إيهاب من خلفي قاطعاً حبل أفكاره: «الورقة تقول الفصل الدراسي
الثاني. لماذا ما يزال اسمه هنا؟»

سأل شخص آخر: «من؟»

ردّ إيهاب: «وليد»

نهض مازن - الطالب الجالس في الخلف - ومرت بجانب إيهاب وبجانبني،
ومزق القائمة من على الحائط، وكورها بيده، ثم قال بتفاخر: «حلت
المشكلة»، وقذف الورقة جانباً.

أدار إيهاب عينيه، وأشار إليّ كي أتبعه.

قادني إلى مقعد في الخلف، بعيداً عن مازن، وقال: «يمكنك الجلوس
هنا»، ثم طرق بخفة على الطاولة التي خلف طاولته، ثم أضاف بصوت
مرتفع ليصل إلى مازن: «على طاولة وليد»

نهض مازن فجأة، يخطر نحونا، لكن الطالب الجالس أمامه أمسك
بذراعه، وأوقفه.

فقه إيهاب، وابتسم مازن بسخرية، ثم عاد إلى مكانه.

بدأت ملامح إيهاب منزعجة، وتلاشت ثقته السابقة. لم أستطع منع نفسي
من السؤال: «هل كان صديقك؟»

تقلب وجه إيهاب، ونظر إلى مازن قبل أن يجيب: «لا»

طرفتُ على مقعدي بخفة وقلت: «أقصد، الشخص الذي...».

اتسعت عينا إيهاب: «وليد»، ونظر إلى الأسفل وتهاوت كتفاه وتابع:
«نعم. كان صديقي»

ثم عاد إليّ بنظرة فزعة، كأنها لمح شبحاً، وقال: «انتظر. أنت... أنت
سعد؟»

«عذراً؟»

«تحدث وليد عنك»

ثم انحنى قليلاً ناحيتي، وحدّق في وجهي وأضاف: «نعم، أنت هو»

فقدت ساقاي الإحساس تحت الطاولة. تسعة أشهر من الصمت.
تسعة أشهر من الذنب. المرة الوحيدة التي حاولت فيها التواصل مع وليد،
اكتشفت أنني محظور. ظننت أنه نسي أمري.

سألت بصوت خافت، بالكاد يُسمَع: «ماذا قال؟»
حكَّ إيهاب ذقنه وقال: «أخبرني أنه تمنَّى لو ما تزالان صديقَيْن»
أغمضت عيني وتشوّشت رؤيتي. حتى بعد ما فعلته... أما يزال وليد
يهتم لأمرِي؟ انقبض صدري، وتهاوى الثقل كله عليّ.
دفعْتُ الكرسي إلى الخلف، وانطلقتُ خارج الفصل قبل أن يرى أحد
دموعي وهي تنهمر.

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص



@N_BHS2

وليد سابقا

على الرغم من حرها اللاهث، كانت شمس الظهر تلامس بشرته بلطف غريب، كأنها تحاول مواساته. ركض وليد عبر الأزقة الضيقة لحية المتآكل، يدفعه الهواء بقوة حتى بلغ الشارع الرئيسي.

هناك، توقف فجأة. الشارع أمامه نهر صاخب من السيارات المنطلقة، تلك الوحوش الحديدية التي لطالما حذرت أمه من عبور الشارع بمفرده بسببها. كان يطيعها دائمًا، ولكن ليس اليوم. اليوم، كان عليه أن يصل إلى بيت عمه منصور.

كان هناك أمل واحد يتعلق به: العم منصور. لن يرضى بما يفعله محمد. سيقف إلى جانبه، تمامًا كما فعل يوم سخر منه أولاده لأنه نحيف. كان عمه منصور طيبًا دائمًا، خاصةً في ذلك اليوم الذي انفرد به وأخذه إلى المتجر، واشترى له حلوى «سكيتلز» الحامضة وزجاجة كوكاكولا. لم ينس قط طعم الانتصار الحلو وهو يلتهم الحلوى أمام أبناء عمه حسن ونواف، وأخيه رامي، والفخر يفيض من وجهه.

نظر يسارًا ثم يمينًا. أخذ نفسًا عميقًا وحبسه في صدره، ثم انطلق. دوت أبواق السيارات خلفه كصرخات غاضبة، ولكنه وصل إلى الجهة الأخرى. توقف يلهث، يحاول أن يعصر ذاكرته المشتتة ليتذكر الطريق. هل هو المنعطف القريب من سوق الخضار؟ بدا له مألوفًا، لكنه لم يكن متأكدًا. لقد مضى وقت طويل منذ زيارتهم الأخيرة، منذ أن أصبحت رحلات التخميم هي نشاط العائلة الجديد.

تاه بين الأزقة المتشابكة، وقلبه يقرع ضلوعه بعنف، حتى وجده أخيرًا.
بيت عمه منصور، ذلك البيت الذي كان والده يذكره دائمًا بنبرة يغلفها
الحسد.

رفع جسده على أطراف أصابعه وضغط على جرس الباب مرارًا وتكرارًا.
انتظر. لم يأت رد. ضغط مرة أخرى، بقوة أكبر هذه المرة. لكن البيت ظل
صامتًا.

مرت الدقائق كأنها دهر. جلس تحت شجرة بجانب المبنى، في رقعة الظل
التي رسمتها الأغصان على الأرض. حديق في البيت المطبق، ينتظر عبثًا. أين
هم؟ أما زالوا في المخيم؟ لم تعد أصابعه تؤلمه، مجرد خدش جاف على طرفين
منهما. هل سيراه محمد ويصدق أنه فعل ذلك من أجل أمه؟ لم يعد يعرف. لم
يعد يعرف أي شيء.

«قل لهم ما قلته لي!»

كان صوت محمد يتردد في رأسه. أغمض ولید عينيه بقوة. كانت
الذكريات تهاجمه كشظايا زجاجية حادة: برودة قارسة، وهج نار يلتهم
الظلام، وملمس الرمل يغوص تحت قدميه الهاربتين. كان خائفًا. هذا كل ما
يعرفه. لكن ماذا قال لمحمد؟ ما الذي أشعل كل هذا الغضب؟

قرقر بطنه، قبض مخلب حاد من الجوع على أحشائه. انكمش على نفسه
تحت الشجرة، تملأه رهبة العودة إلى البيت. إن رآه محمد... إن حبسه في تلك
الغرفة مرة أخرى... لن يحتمل.

وقف، ونفض الغبار عن بنطاله، وفكرة واحدة تستحوذ على عقله:
أحتاج أن أكل.

سار نحو نهاية الشارع، تقوده ذكرى ضبابية لمتجر زاره في العيد مع
رامي وأبناء عمه. تذكر كيف خططوا لسرقته بدقة، وكيف تسللوا خارجين

بجيوب متنفخة، يضحكون بانتصار لأنهم وفروا نقود العيد. لم يشارك، لأن حسن رفض إشراكه. اكتفى بالمراقبة.

قال في نفسه: أحتاج لشيء صغير فقط. شيء يسكت هذا الجوع. إن لم يلاحظ أحد رامي يومها، فلن يلاحظني أحد اليوم.

كلما اقترب، ازداد صدره ضيقاً، وحين وقف أمام واجهة المتجر الزجاجية، شعر بساقيه كأنهما من رصاص. لم يكن المكان مزدحماً. ليس فيه سوى البائع خلف الطاولة.

دخل. صوت الجرس فوق الباب بدا كأنه إنذار. تسارع تنفسه، وساقاه متبستان وهو يشق طريقه إلى الممر الأخير. أبقى رأسه منخفضاً، يسرق نظرات خاطفة نحو البائع قبل أن يختفي عن الأنظار.

الممر الأخير كان هادئاً. يده ارتجفت. لامست غلاف فطيرة بلاستيكي. صوت الخرفشة بدا كصراخ في سكون الممر. التقط واحدة، تظاهر بتفحصها، ثم التفت بسرعة. لم يتحرك البائع.

الآن!

دس الفطيرة في جيبه بحركة خاطفة، وقلبه يدق في أذنيه. خرج من الممر، محاولاً أن يتذكر خطوات رامي. هل مشى بهدوء؟ هل ركض؟ أفكاره تتدافع في فوضى.

البائع يحدق به. جف حلقه. أجبر نفسه على النظر إلى الأمام، وسار نحو الباب. كل خطوة كانت أثقل من التي سبقتها.

«توقف!»

انطلق وليد. دفع الباب بكل قوته، وضربت قدماه الرصيف بعنف. ركض كما لم يركض من قبل في حياته.

ثم... ارتطم بشيء صلب، فدارت الدنيا به قبل أن يبتلعه الإسفلت. اخترق الألم جبهته، وخفق وجع حاد في جمجمته.

فتح عينيه. كان هناك صبي يقف أمامه، ويده على جبهته، والدموع تتلألأ
في عينيه.

تجمّد وليد، وصدره يعلو ويهبط بعنف، يحدق في الصبي الآخر الذي كان
يكافح، مثله تمامًا، كي لا يبكي.

وليد سابقا

ضحك الصبي، الذي كان يبدو في عمره تقريبًا، ضحكة مرتبكة خجولة وهو يحكّ جبهته المتورّمة. حطمت ضحكته جدار التوتر الذي شيّده الموقف. ودون أن يتفوّه بكلمة، أخرج بخاخ الربو من جيبه، وضعه على فمه، وسحب منه نفسًا عميقًا أعاد إليه هدوءه.

«انهض!»

قبل أن يتمكن وليد من الحركة، أحس بقبضة غليظة تسحبه من ياقة قميصه. إنه البائع. انتزع الرجل الفطيرة من جيبه ورماه بنظرة حادة جعلت وليد يتصلّب، مستعدًا لتلقّي صفعه لم تأت.

قال البائع بصوت خشن: «لا تعد إلى هنا مجددًا، وإلا اتصلت بالشرطة!» ثم استدار وعاد إلى ظلمة متجره.

توهج وجه وليد بحمرة الخزي، وظلّ واقفًا في مكانه، يتجنّب النظر إلى الصبي الآخر.

سأله الصبي، وقد ارتسمت على شفّتيه ابتسامة خفيفة: «أأنت من سرقها؟»

تمتم وليد: «لا»

ضحك الصبي مجددًا وهز رأسه وقال: «انتظر هنا لحظة». ثم استدار وعاد إلى داخل المتجر.

تأوه وليد وهو يفرك جبهته. خف الألم، ولكن لسعة الخجل تزداد حدة. استدار، عازماً على الهرب والعودة إلى منزل عمه، حين ناداه صوت من الخلف: «انتظرا!»

استدار وليد على مضض. كان الصبي يركض نحوه، وفي يده كيس بلاستيكي. توقف أمامه، منحنيًا وهو يلهث، ثم مدّ الكيس إليه وقال: «هذه فطيرتك».

تردد وليد، ثم امتدت يده بحذر وتناول الكيس. لم تكن الفطيرة وحدها بداخله، بل كانت معها عبوة مشروب غازي وقطعة شوكولاتة. قرقر بطنه بصوت مسموع. كان الجوع وحشًا لا يرحم، وقد انقض على الفطيرة دون انتظار الإذن.

فتح الصبي عبوة صودا بطعم البرتقال وارتشف منها رشفة طويلة بينما كان وليد يمضغ ببطء، وعينه تراقبان كل حركة. هل شعر بالذنب لأنه اصطدم بي؟

سأل الصبي وهو يقضم قطعة الشوكولاتة: «منزلك في هذا الاتجاه؟»

أوما وليد برأسه، وفمه ممتلئ. ماذا يريد؟

تذكر رامي. تذكر كيف كان يفاجئه بقطعة شوكولاتة من نوع «تويكس» لمجرد أنه أراد أن يسهر ليفتح له الباب عند عودته متسللاً. كانت تلك هي القاعدة التي علّمها له رامي: لا شيء يأتي مجانًا. كل لفطة لطف تخفي وراءها طلبًا.

نظر إلى الصبي من طرف عينه. لا بد أنه أمر مماثل. سأل الصبي ويقايا

الشوكولاتة تلوّن أسنانه: «ما اسمك؟»

رد وليد بنبرة حادة كاد أن يكون اتهامًا: «لماذا؟»

ضحك الصبي للمرة الثالثة وقال: «أريد أن أعرف اسمك فقط».

سارع وليد بالرد: «وما اسمك أنت؟»

قال الصبي ببساطة: «سعد»

«حسنًا»

«وأنت؟»

تردد وليد لحظة وقال: «وليد»

سأله سعد فجأة، وصوته يفيض بحماس غير متوقع: «هل ترغب في لعب

سنريت فايتز؟»

قطب وليد جبينه وسأل: «ماذا؟»

تابع سعد: «مللت من اللعب ضد الحاسوب. يمكننا الذهاب إلى منزلك،

وسؤال والديك إن كان بإمكانك المجيء»

فكر وليد وهو ينظر إليه بارتياح: إذا هذا هو الثمن؟ أعطاني طعامًا لكي

ألعب معه؟

لكن الفكرة لم تكن سيئة. في الواقع، كانت خطة. خطة أفضل من

الجلوس وانتظار المجهول أمام بيت عمه. إذا ذهب معه، سيكسب بضع

ساعات. سيلعب حتى يميل النهار نحو الغروب، وحينها، ربما يكون عمه

منصور قد عاد.

قال وليد وهو ينفذ فتات الفطيرة عن قميصه، محاولاً أن تبدو نبرته غير

مبالية: «لا مانع لديهما».

أغلقْتُ باب حجرة الحمام خلفي بقوة، وأسندتُ جبهتي إلى برودة الخشب محاولاً كبح جماح أنفاسي. لكن صدى كلمات إيهاب يتردد في رأسي كهدير الموج: «قال إنه يتمنى لو كتبنا ما زلتما صديقين».

عضضتُ على شفتي السفلى حتى شعرت بطعم الدم، وأنا أهدق في الباب الذي بدأت تفاصيله تنموه خلف غشاوة من الدموع. امتدت يدي إلى جانبي، وضغطتُ بقوة على الكدمة التي وشممت أضلاعي. اندفع الألم في جسدي، حاداً ولا يرحم، كانت طريقي في معاقبة نفسي، في استدعاء ألم حقيقي ملموس ليطنى على الألم الذي لا شكل له، والذي كان يلتهم روحي.

كان يجب أن أكون أنا من يموت، لا وليد.
صوتٌ قادم من جهة المغاسل قطع دوامة أفكاري.
«اهدأ يا عيدا»

كان صوت مازن، حاداً كشفرة.
رد صوت آخر، خافت ومتردد، تلاه صوت تدفق الماء: «إنه يكذب. لقد
كان هناك تلك الليلة»

كان هناك تلك الليلة؟

انقبض صدري. التصقتُ بالباب أكثر.
«كيف يمكنك أن تجزم؟ كنا جميعاً...»

صمت مازن فجأة.

أحسستُ بالبلاط يهتز تحت قدمي قبل أن أسمع وقع خطي ثقيلة تقترب.
تراجعتُ غريزياً إلى عمق الحجرة، وأسندت ظهري إلى الجدار البارد، وقلبي
يقرع ضلوعي بشدة.

تلاشت الخطي، وعاد الصمت، أثقل من ذي قبل.

عندما عدتُ إلى الفصل، لم يكن هناك معلم. مجرد وجوه متناثرة لم أتعرف
على أي منها. راحت عيناي تبحثان عن عيد. أيهم قد يكون؟
«أنت بخير؟»

فاجأني صوت إيهاب حين جلست خلفه.
تممتُ: «نعم»، بينما ظلت عيناي مثبتتين على مازن، الذي كان يتحدث
مع الشخص الجالس أمامه. لا بد أن ذاك هو عيد.
قلت فجأة دون أن أحرك نظري عن هدي «هل يمكتني أن أسألك
شيئاً؟»

استدار إيهاب نحوي بالكامل وقال: «آه... نعم؟»

«هل...»

ترددتُ، وشعرت بمعدتي تتلوى.

«هل دعاك وليد لرحلة تخيم... قبل بضعة أسابيع؟»

«تخيم؟»

رمش إيهاب، وارتخت ملامحه قليلاً، وأضاف: «نعم، دعاني. لكنني
كنت في المطار». توقف لوهلة، وهبط بنظره إلى طاولته، وأضاف: «في ذلك
اليوم... مات».

أطبقتُ على فكي بقوة. لا يمكن أن يكون حزنه بهذا العمق. لم يعرف
وليد سوى هذا العام.

انزلت الكلمات من فمي كإعلان حرب تافه: «عرفته منذ السادسة». وهي رغبة صيانية في إثبات أن حزني أقدم وأعمق وأكثر شرعية. تصلبت نظرة إيهاب للحظة، لكنه تجاهل التحدي وقال: «هل كنت في السيارة معه؟»

أجبتُ بحدة: «لم نصل إلى المخيم أصلاً». اتسعت عيناه فجأة: «كان ينبغي أن يسمعوا. المخيم كان قريباً جداً من مكان الحادث. لا بد أن أحداً سمع شيئاً»
شخص ما سمع.
«إلا إذا...»

انقطع صوته فجأة، وتحولت نظرتُه كالسهم نحو مازن، ثم عادت إليّ.
«كيف وقع الحادث؟ هل اعترض طريقكم أحد؟»
«لا، نحن... لا أعرف. انحرفنا عن الطريق»
«كيف؟»

جاء سؤاله حاداً، مشككاً.
انفجر صوتي، أقسى وأعلى مما أردت، كحيوان محاصر: «كان الظلام حالكاً، مفهوم؟ لا أعرف!»
قال إيهاب بصوت خفيض: «حسناً...»، وتراجع إلى الخلف، كمن يخشى لدغة.

أدخلتُ يديَّ المرتجفتين إلى جوف الطاولة، فلامست راحتاي برودة المعدن. كانت لمسة باردة، صلبة... ومألوفة بشكل مؤلم. كان وليد يفعل ذلك دائماً.

لم أحب هذا الشعور من قبل، لكن تلك البرودة الآن... جعلتني أشعر به وكأنه ما زال هنا، بجانبني.

لم يأتِ أي معلم. قال إيهاب إن هذا معتاد في اليوم الأول، وإنهم غالبًا ما يسمحون لهم بالمغادرة مبكرًا، ولكنني لم أنتبه إلا حين حل الصمت. الصمت الذي يأتي فجأة بعد ضجيج طويل. كان الفصل قد فرغ إلا مني.

«أحمق». كانت الكلمة تصرخ في داخلي وأنا أندفع خارجًا. كان هناك هتاف محموم واحد في رأسي: عليّ أن أسبق الجميع إلى الموقف... أن أصل قبل أن يغادر... هو. سائق الديدسون. الذي قتل وليد.

هبطتُ الدرج، أقفز خطوتين في كل مرة، فترددت أصوات من حُمام الطابق السفلي.

كان صوت مازن، قاطعًا وحازمًا: «فهد، افتح الباب».

أضاف عيد بنبرة معسولة لم تكن مقنعة: «نريد أن نتحدث فقط»

ألقيتُ نظرة خاطفة. مازن وعيد وشخص ثالث يحاصرون أحد أبواب الحجرات. الثالث هو نفسه الذي كان نائمًا على مكتب المعلم، ذاك الذي ناداه أحدهم «دحمي»

صرخ دحمي، وضرب الباب بقبضته: «افتح الباب!»

لحظتها، لمحني عيد. أدتُ وجهي على الفور، ومضيت في طريقي وكأنني لم أر شيئًا.

في الخارج، لطممني الشمس بقوة.

اتجهت إلى الموقف، حيث تشكلت مجموعات من الطلاب كجزر صغيرة من الدخان والأحاديث. بعضهم يدخن وبعضهم يتحدث وبعضهم يتقن الأمرين معًا.

ناداني شاب كان يجلس خلف عيد في الفصل. بشرته حنطية وأكمامه مطوية وسيجارة تتلألأ من زاوية فمه: «أنت أيها الطالب الجديد، معك قداحة؟»

قلتُ: «لا»، ولاحظت كدمة مزرقّة على ساعده وهو يبعد السيجارة عن فمه ويتنهد بضجر.

«لا أحد منكم يملك قداحة. ما بالكم، هل أنتم في الثانية عشرة من عمركم؟»

فجأة، اصطدم بي جسد من الخلف، ودفعني للأمام حتى كدت أسقط عند قدمي صاحب الكدمة.

صرخ صاحب الكدمة: «هيه! ما أتى بك يا فهد؟!»

فهد -الفتى الذي كان محاصرًا في الحمام- نظر إليّ بعينين زائغتين، يملأهما الفزع. قفزت واقفًا، مبتعدًا.

صرخ مازن وهو يمسك ذراع فهد: «توقف!». وفي لحظات، أحاط به عيد ودحي، كذئاب تطبق على فريستها.

همس فهد، وهو ينظر حوله بارتباك: «ليس هنا»

أدركوا خطأهم. انسحبوا إلى الزقاق الضيق بين المدرسة والسوبرماركت. لم أضع ثانية. اندفعت إلى سيارتي، وأدرت المحرك، وقُدت حتى وجدت زاوية تطل على الزقاق.

من خلف زجاج سيارتي، كان المشهد يبدو كفيلم صامت وعنيف. رأيت النقاش يتصاعد، والوجوه تتقلص غضبًا. ثم، في حركة مفاجئة، اندفع مازن ودفع فهد بقوة نحو سيارة متوقفة.

توقفت أنفاسي.

لم تكن أي سيارة. كانت هي. ديدسون بيضاء قديمة. الطراز نفسه... اللون ذاته... هل يُعقل؟

خفق قلبي بعنف وأنا أرى دحميًا يفصل بينهما. تفرق الجمع، وبقي فهد وحده. أشعل سيجارة، وفتح باب الديدسون.

ترجلت. سرت نحوه، وكل خطوة كانت تشعل الألم في كدماتي. كان
الألم وقودًا، كل وخزة في أضلاعي تدفعني خطوة للأمام. إنها هي. لا بد أنها
هي.

وصلت إلى الزجاج الأمامي، وراحت عيناï تمسحان الزاوية اليسرى
السفلى بجنون. لا يوجد ملصق. لا يوجد وجه مبتسم. انقبض صدري
بخيبة أمل حارقة.

صرخ فهد، وقد أدخل نصف جسده في السيارة: «ما الذي تفعله يا
طفل؟!»

طرقتُ الزجاج، وأفكاري تتسابق في فوضى. هل أزاله؟ هل يمكن أن
يكون قد أزاله؟ جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص
أدار فهد المحرك، فعلاً هديره كثير وحش. تراجعتُ خطوة إلى الوراء،
بالكاد أفلتُ قدمي من عجلاتها التي دارت بعنف.

دارت السيارة لتبتعد. تبعثها بنظري، يائسًا... ثم لمحته.
في الزاوية السفلية من الزجاج الخلفي؛ وجه أبيض صغير يبتسم.
الابتسامة الساخرة ذاتها التي طاردتني في كوابيسي. الملصق نفسه.
تجمد الدم في عروقي. كان هو. القاتل. يبتعد عني مرة أخرى.

وليد سابقا

تساءل وليد، وقد اتسع فمه من فرط الدهشة: «أهذا بيتك؟» لم يكن منزلاً، بل أشبه بقصر، تحيط بها جدران شاهقة، وتحرسها أشجار نخيل بأسفة.

قال سعد بلامبالاة لم تتناسب مع فخامة المكان: «أجل» واقترّب من الباب المعدني الضخم ووضع أذنه عليه.

قطب وليد حاجبيه: «ماذا تفعل؟»

همس سعد رافعاً كفه في الهواء: «ششش»

اتسعت عينا وليد أكثر. لماذا يتسلل المرء إلى منزله؟

دفع سعد الباب ببطء، بحذر لصّ محترف، ولوّح له أن يتبعه إلى الداخل. في الحديقة، ظهر أمامهما مبنى زجاجي صغير، يشبه مجلس الضيافة يطل على الحديقة.

همس سعد: «سنزحف من تحت تلك النافذة»

«لماذا؟»

«لأن والدي هناك. هيا»

وانخفض بجسده، مشيراً إلى وليد أن يحذو حذوه.

زحف الاثنان تحت النافذة، وركبتاهما تحتكّان بالعشب الندي. وما إن تجاوزاها، حتى نهض سعد فجأة وانطلق راكضاً نحو البيت الرئيسي. لحق به وليد، وقلبه يخفق بمزيج من الحيرة والإثارة.

من الداخل، كان المكان يخطف الأنفاس، أكثر بذخاً من أي شيء رآه
وليد حتى في مسلسلات أمه التركية. تسمرت عيناه بنجفة كريستالية هائلة
تتلى من سقف غرفة المعيشة، تشبه عنكبوتاً من الضوء والجليد، خُيِّلَ إليه
أنها قد تهوي في أية لحظة لثقلها.

ناداه سعد من أعلى الدرج: «أسرع!»

ركض وليد ليلحق به، وعقله ما يزال يكافح لاستيعاب كل هذه الفخامة.
غرفة سعد وحدها كانت تقارب في مساحتها غرفة المعيشة في بيتهم. سجادة
داكنة تغطي الأرض، ووسادة جلوس ضخمة تستقر بجانب شاشة تلفاز
بحجم حائط صغير.

أشار له سعد أن يجلس على الأريكة الزرقاء. ضغط زرّاً، فأضاء شعار
«بلايستيشن» على الشاشة. دبّت في جسد وليد رعشة طفولية مبهجة وهو
يرى اللعبة تبدأ بالتحميل، ورغم ذلك، لم يفلح في طرد السؤال الذي كان
يدور في ذهنه: لماذا كل هذا الحذر؟

صرخ سعد، قافزاً من مكانه: «لا! أنت تغش!»

رد وليد وهو يضحك: «كلا!»

ضاقت عينا سعد وهو ينظر إليه بشك: «قلت إنك لم تلعب ستريت فايتر
من قبل!»

«لم أعبها، أقسم بالله!»

فُتِحَ الباب فجأة، فتجمد الاثنان في مكانيهما.

وقفت امرأة عند المدخل، عيناها الحادتان تمسحان وليد بنظرة باردة قبل
أن تستقر على ابنها. لا شك أنها والدة سعد.

قالت بصوت قاطع كالسيف: «سعدا هل دخلت للتو من الخارج؟»

أجاب سعد بسرعة لم تخلُ من ارتباك: «ماذا؟ لا!»

ضيق عينها أكثر وسألت: «ومن هذا؟»
نهض وليد، وقد بدأ يشعر بأنه دخيل غير مرغوب فيه.
تدخل سعد بسرعة: «هذا صديقي. أتذكرين وليد؟ لعبتُ معه كرة القدم
في الحديقة في ذلك اليوم»
عبس وليد. الحديقة؟ لم نلعب معًا قط. حينها فقط، أدرك ما كان سعد
يفعله.

نظرت والدته إليها بعين مرتابة، تنتقل بين وجهيهما، وقالت وهي تضع
يديها على خصرها: «إذًا، من الذي ترك الباب مفتوحًا؟»
رد سعد بنبرة ثقة مصطنعة: «لا أعلم. أنا هنا منذ الصباح»
زفرت بضيق، وتقدمت خطوة، وقالت: «افصل جهاز البلايستيشن،
وأحضره لي»

توسل سعد: «لا، لا، أمي، أرجوك!»
«إذًا أخبرني الحقيقة. هل تسلفت خارجًا مرة أخرى؟»
«لا»

وقبل أن يمنح عقله فرصة للتفكير، انزلت الكلمات من فم وليد: «لم
يتسلف. أنا من تسلفت»

نظرت إليه، وخفت حدة عينها قليلًا، ثم عادت بنظرها إلى سعد.
تهددت تنهيدة طويلة وقالت: «حسنًا. لكن لا تطيلا النظر إلى الشاشة»
ثم أغلقت الباب خلفها.

ما إن سمعا صوت النقرة الخافتة للباب وهو يُغلق، حتى ارتسمت
ابتسامة عريضة على وجه سعد. ابتسم وليد بدوره.
وفي لحظة، انفجرا معًا في الضحك بصوت عالٍ.

تجمدتُ. شهقتُ، وسحبتُ الهواء إلى رئتي من فرط الدهول.

كان هو. القاتل يهرب أمامي مرة أخرى!

قفزتُ إلى داخل السيارة، وضغطت على دواسة الوقود بكل ما أوتيت من قوة. كانت سيارتي تلتهم الإسفلت، وأنا ألاحق ذلك الشبح الفضي الذي يشق طريقه بين السيارات. تلاشت المحال التجارية خلفي كأطياف، لتحل محلها بيوت صامتة. علت أصوات الأبواق كشتائم، وعيناي مثبتتان على الديدسون، لا تحيدان عنها قيد أنملة.

سرعان ما وصلنا إلى طريق رئيسي، وفي الأفق البعيد، رأيت إشارة المرور. خضراء.

ضغطت أكثر على دواسة البنزين، فزجر المحرك. زاد فهد سرعته بدوره، ثم تحولت الإشارة إلى اللون الأصفر. الوقت لا يكفيه للمرور. لن يمر. ثم أصبحت حمراء.

التصقت قبضتاي بعجلة القيادة حتى ابيضت مفاصلي. بدأت الديدسون تخفف سرعتها، وانتقلت من المسار الأوسط إلى اليمين عند الإشارة. ثم حجبت سيارة جيب رؤيتي للحظة.

ضغطت الفرامل فجأة، وصوت احتكاك الإطارات على الإسفلت أخاف فتاتين في المقعد الخلفي للسيارة التي أمامي. التفتت إليّ جديلتان ورديتان بعيون متسعة.

انحنيت فوق المقعد المجاور، ومددت عنقي لأنظر باتجاه الديدسون.

رأيت بوضوح. كان يستدير بهدوء إلى اليمين، متجاوزًا الإشارة الحمراء
في انتهاك صارخ.
لا لا لا! قفزت من السيارة، وحدثت بصدمة في فهد وهو يتعد مسرعًا،
ثم ابتلعه الأفق.



لم يستوعب عقلي ما حدث إلا حين عدت إلى المنزل. أوقفت السيارة
تحت الظل، والمكيف ما يزال يصدم وجهي بهواء بارد.
طوال هذا الوقت... كنت أبحث عن الملصق في مقدمة الدبسمون، لا
في الخلف.
ارتدّ عقلي إلى تلك الليلة، إلى الظلام والرمال، وعيناي تغمضان بعد أن
لمحت تلك الابتسامة الساخرة.
لقد رأي أطارده... فهرب. إن كانت لديّ ذرة شك في أن فهد هو سبب
موت وليد، فقد تحوّلت الآن إلى يقين تام.
نظرتُ إلى المرأة الداخلية، ولاحظت أمرًا غريبًا في انعكاسي. كانت
عيناي تلمعان، ثم أدركت. كنتُ أبتسم.
لم تكن ابتسامة فرح، بل كانت شيئًا آخر. شيئًا حادًا، و... حيا.
للمرة الأولى منذ شهور، شعرت بنوع من السعادة لمجرد كوني على قيد
الحياة. كانت مجرد مسألة وقت. وسيدفع فهد الثمن.



بدا والداي مندهشين لرؤيتي على مائدة الغداء. كان مشهدًا نادرًا هذه
الأيام. كل صينية كانت أمي تجلبها إلى غرفتي تعود باردة، لم تُمس. بلغ بها
البأس حدّ أنها بدأت تطلب لي وجبات سريعة، وهي التي لطالما حاربتها.
«عزيزي!»

ابتسمت، وتبادلت نظرة سريعة ذات معنى مع أبي.

سأل والدي وهو يأخذ صحنًا ويملاه بالأرز: «هل تشعر بالجوع؟»
التهمتُ الطعام كمن لم يأكل منذ دهر. كانت نكهة البرياني قوية، وكل
لقمة أكثر إشباعًا من التي قبلها. وفي كل مرة أرفع فيها بصري، أجدُهما
ينظران إليّ بمزيج من الدهول والأمل الهش.
سألتُ، وحبّات الأرز عالقة بشفتي: «ما الأمر؟».

في وقت لاحق من تلك الليلة، أضاء هاتفي على الطاولة الصغيرة بجانب
السريّر. أمسكته وسقطتُ على ظهري، ومعدتي ما تزال تتأقلم مع إحساس
الشبع القديم.

مجهول يتابعك الآن على إنستجرام.
ارتبكت. فتحت الحساب. لا صورة شخصية. لا منشورات. ثم لاحظت
النقطة الحمراء على أيقونة الرسائل.

مجهول: مرحبًا، سعد

مجهول: رأيتك اليوم في مدرستنا

سعد: من أنت؟

مجهول يكتب...

ثم اختفى النص.

سعد: مرحبًا؟

سعد: فهد؟

طوال الليل، ظللت أراجع الهاتف، ويعصف بي إحساس غريب. هل
يمكن أن يكون فهد حقًا؟ هل بدأ يشعر بالذعر؟ هل يحاول التواصل؟ هل
هو يائس؟ خائف؟

وقبل أن أغفو، أرسلت له رسالة أخيرة.

سعد: أراك غدًا.

وليد سابقاً

تناولا العشاء في غرفة سعد، الذي أصر على طلب وجبات سريعة بدلاً من طعام والدته. شعر وليد بامتلاء لذيذ في معدته، حتى أحس بأن سرواله بدأ يضيق عليه.

سأل سعد، وهو يمسح يديه بمنديل ورقي: «مباراة أخيرة؟». نظر وليد إلى الساعة المعلقة فوق التلفاز: العاشرة وأربع وثلاثون دقيقة. لعل العم منصور عاد الآن. راوده شعور حاد بالرغبة في تجميد هذه اللحظة، في تأجيل الخروج من هذا الملاذ الآمن ومواجهة ما ينتظره في الخارج. قال وهو يتناول جهاز التحكم: «نعم!» أعلن سعد: «سأهزمك هذه المرة!» «سنرى».

صرخ سعد منتشياً بالنصر: «هزمتك!». ابتسم وليد، إذ تعتمد الخسارة في الضربة الأخيرة. لقد أهدي لصديقه الجديد فوزاً صغيراً، كهربون شكر صامت.

قاطعتها طرقات هادئة على الباب.

نادى سعد: «نعم؟»

فُتِحَ الباب، وظهر والد سعد مرتدياً ثوب نوم رمادي.

«هل انتهيتما من الطعام؟»

«نعم، أبي! شكرًا على الطلب»

«والآن، كما اتفقنا... اغسل أسنانك ثم اخلد إلى النوم»

ثم التفت إلى وليد بنظرة أبوية دافئة وقال: «هل سيأتي أحد ليوصلك، يا بني؟»

أجاب سعد بسرعة: «لا، منزله قريب جدًا»
نهض وليد واقفًا.

عرض والد سعد بلطف: «أمتأكد أنك لا تريد أن أوصلك؟»

«أنا بخير، عمي... شكرًا جزيلًا لك»

ودعه والد سعد، ثم مضى في الممر تاركًا الباب مواربًا خلفه.

همس سعد لوليد: «انتظر، سأتي معك. علينا فقط إنجاز أمر واحد».

في وسط غرفة المعيشة، حيث جلست والدة سعد تتابع مسلسلًا تلفزيونيًا،
مر الصبيان. كانت مسرحية قصيرة ومتقنة، أداها بتواطؤ صامت.

قال سعد بصوت مرتفع: «حسنًا يا وليد». مد يده، فتصافحا وهما يكتمان
ضحكة خافتة.

أضاف سعد، بينما ألقي نظرة خاطفة نحو والدته التي ارتشفت من كوب
الشاي دون أن تبعد عينيها عن الشاشة: «سأذهب الآن لأغسل أسناني وأنام»
«مع السلامة»

اتجه سعد ببطء نحو الممر، في حين مضى وليد نحو الباب الخارجي. وبعد
لحظات، وكما اتفقا، تسلل سعد خلفه، وابتسامة المغامرة تغشى وجهه.

سأل وليد: «هل رأيتك؟»

هز سعد رأسه وقال: «لنذهب»

سأل وليد وهما يسيران في الشارع الهادئ الذي تغمره أضواء المصابيح
البرتقالية: «لماذا لا تسمح لك بالخروج؟»
أجاب سعد ببساطة: «إنها قلقة»
«قلقة من أن تُختطف؟»

«ربما... لكن الأمر يتعلق أساسًا بهذا..»
ثم رفع قميصه، كاشفًا عن أثر باهت، كأنه خيط فضي منسوج في جلده
يمتد عبر صدره.

أشاح وليد بنظره، وشعر بوخزة ألم بالنيابة عنه.
قال سعد، وهو يتابع قطعة تتسلق شجرة: «لم يعد يؤلمني. إنه من عملية
قلب أجريتها عندما كنت صغيرًا جدًا. لا أذكرها حتى. أنا بخير الآن.
لكنها... تقلق كثيرًا».

قلد وليد حركة ضغط البخاخ على فمه وقال: «ولهذا السبب تحمل ذلك
الشيء؟»
«البخاخ؟»

أخرجه سعد من جيبه وقال: «نعم، تصرّ على أن أحمله دائمًا، تحسبًا لأي
طارئ»

«طارئ مثل ماذا؟»
هزّ سعد كتفيه.

حين لاح منزل العم منصور في الأفق، غمر وليد شعور بالارتياح. سيارة
عمه متوقفة في الخارج. أخيرًا، سينتهي هذا الكابوس.
ضغط على جرس الباب.

سأل سعد: «هذا منزلك؟»

ضغط وليد الجرس مرة أخرى، بقوة أكبر.

أضاف سعد بشكل عابر: «أظن أن والدتي تعرف والدتك. لقد أوصلناها إلى هنا للعزاء».

تجمدت يد وليد وهي ما تزال على الجرس. استدار ببطء: «أي عزاء؟»
شحب وجه سعد فجأة، وأدرك أنه قال شيئاً ما كان يجب أن يقوله: «آآ...
إخوتك»

«ما بهم إخوتي؟»

«الحريق... سمعت والدتي تتحدث...»

تشقق صوت وليد، وتحول إلى همس أجش: «أي حريق؟»
في تلك اللحظة، فُتِحَ الباب.

خرج منه رجل لم يكن عمه منصور الذي يعرفه، بل كان طيف رجل.
وجهه مجعد ومنهك، تحيط بعينه هالات داكنة ككدمات قديمة. كانت
ملاعجه خريطة للحزن. رمق وليد بنظرة قاسية، خالية من أي أثر للشفقة.

نطق وليد برجاء، والقلق يمزق صدره: «عمي منصور...»

خرج صوت عمه مرهقاً، تماماً كملاحه: «ما الذي أتى بك إلى هنا؟»
فتح وليد فمه ليتكلم، لكن شفثته ارتجفتا. انهمرت دموعه قبل أن يتمكن
من نطق حرف، فغطى وجهه بكفيه خجلاً وعجزاً.
لم تتغير ملامح عمه. استدار إلى الداخل، ثم أغلق الباب في وجهه دون
أن ينبس بكلمة أخرى.

رفع سعد حاجبيه بدهشة: «أهذا هو عمك؟»

استولى الدوار على وليد، فجلس على حافة الرصيف، ممسكاً رأسه بين
يديه.

قال سعد بتردد: «الأولاد...» ثم نظر إلى المنزل ثم إلى وليد وأضاف:
«الأولاد الذين احترقوا... هل كانوا أبناء عمك؟»

همس وليد، وصوته يضيع في الهواء: «أي حريق؟»

تردد سعد.

صرخ وليد، وقد علا صوته واشتد اضطرابه: «أي حريق؟!»، فقفز سعد إلى الخلف.

«لا أعلم! سمعت والدتي تتحدث عن حريق!»

بدأ رأس وليد يطن. وعقب روائح وهمية - رائحة وقود ودخان - تملأ أنفه. وأصوات بعيدة، كأنها صراخ مكتوم، تردد في أذنيه.

قال سعد: «أستطيع أن أسألها إن أردت...»

لكن وليد لم يعد يصغي. ارتد عقله فجأة إلى تلك الرحلة، إلى الخيمة التي نام فيها بجانب أخيه رامي وابني عمه.
لا لا لا.

قبض الذعر على صدره، فانطلق. لم تعد قدماء ملكه، لقد انطلقنا من تلقاء نفسيهما، تركضان بلا وعي نحو البيت.



www.101482

لم يكن وليد ليبتظر.

جلستُ وحدي في الصف، وأفكاري تتشابك في دوامة من الماضي والحاضر. استيقظتُ عند الرابعة فجراً، وصورة فهد لا تفارق ذهني. تخيلته بعد الحادث، بعد أن صدم سيارتنا وفرَّ، معتقداً أن الظلام سيبتلع جريمته.

هل نوى قتلي أنا أيضاً في تلك الليلة؟

بالطبع فعل. لقد ضغط على دواسة الوقود بقوة ليصطدم بنا. لم يكن السؤال «هل»، بل «لماذا».

وماذا سأفعل حين أراه؟ سألت نفسي هذا السؤال مراراً، وكانت الإجابة دائماً هي نفسها، رغم أنني كنت أتوق لغيرها: التجمد.

لكن وليد لم يكن ليتجمد. وليد لا يسمح لأحد بالإفلات بفعلته. وليد يتصرف، تقوده غريزته قبل أن يفكر عقله. هذا ما يفعله الشجعان. هذا ما يجب عليّ فعله.

شعرت بالغضب يغلي في عروقي، كان نظري مسمراً على الباب الأخضر. دخل طالب، ثم آخر، ثم ثالث. أصواتهم وضحكاتهم كانت ضجيجاً بعيداً. ناصر، صاحب الكدمة، دخل، ثم تبعه مازن، ثم عيد، ثم... أين هو؟

دخل إيهاب، ولوّح لي وهو يتجه نحو الزحام المتزايد عند السبورة
البيضاء. كانت المقاعد مُحجّزة، والتحيات تُبادل.
أين فهد؟

تمطى إيهاب أمامي وتشاءب... ثم توقف كل شيء.
كان فهد عند الباب.

دقت نبضات قلبي في أذنيّ كالرعد. تدفق الدم في جسدي. لم يكن قرارًا.
كان انفجارًا. قبل أن يدرك عقلي ما يحدث، تحرك جسدي. كنت أقف،
أركض نحوه، وأدفعه بكل قوتي ليرتطم بالحائط بجانب الباب. انغلقت
قبضتي من تلقاء نفسها.

صرخ فهد: «اتركني!»، ودفعني بعيدًا عنه. تراجعْتُ واصطدمتُ
بالبطولة الأمامية، وواصل: «ما خطبك؟»
«ستأتي معي إلى الشرطة، أيها القذر...»

تشكلت حولنا دائرة من الطلاب، عيونهم تلمع بمزيج من الخوف
والفضول.

قال فهد بحدة: «ابتعد عني»، واستدار نحو مكتبه. سحب حقيبة زرقاء
صغيرة، وتوجّه بخطى سريعة نحو الباب.
اعترضت طريقه، وتحول جسدي إلى حاجز.
صرخ: «تحرك!»

«لن أتحرك قبل أن تعترف بما فعلته بوليد»
قال ناصر وهو يتقدم: «اهدؤوا يا شباب...» وتبعه مازن وعيد، والحيرة
ترسم على وجوههم.

همس أحدهم في الخلف: «ماذا فعل لوليد؟»
صرخت في وجه فهد، والغضب يتفجر من حنجرتي: «أخبرهم!»
قال مازن فجأة: «أغلق فمك» ووقف بيني وبين فهد.

التفت فهد نحو الباب.

قبضت على كتفه: «توقف!»، لكنه نفض يدي بعنف واندفع خارجًا.
أردت الركض خلفه لكن مازن اعترض طريقي، ثابتًا كالصخر عند عتبة الباب.

زجرت: «ابتعد!»

قال مازن بصوت منخفض، والضيق يلمع في عينيه: «هذئي من روعك!»
دفعته بكل قوتي وركضت خلف.

وجدته في دورة المياه، مختبئًا في الحجرة الأخيرة.

صرخت: «اخرج!»، وركلت الباب المعدني. وقف مازن وعيد ودحمي خلفي، عند المدخل، يصرخون في بقية الطلاب ليقفوا خارجًا.
«فهد!»

ركلت الباب مرة أخرى، فارتج، ثم فُتح ببطء.
وقف هناك، يتصبب عرقًا، وفي يده إبرة رفيعة يلمع سننها تحت الضوء الخافت، دسها في جيبه بحركة خاطفة، لكنني رأيتها.
أغلق باب دورة المياه الرئيسي بصوت خافت. أصبح مازن وعيد خلفي مباشرة، وملاحظهما مغلقة ككتاب سري.

سأل فهد باستهزاء: «ماذا؟»، لكن سؤاله لم يكن موجهًا لي وحدي.

«أريدك أن تذهب الآن إلى الشرطة وتخبرهم...»

أمسكت يد قوية بكتفي، وقال مازن بصوت هادئ: «مهلاً، لا داعي لتصعيد الأمر»

قال عيد والدهشة تعزي صوته: «الشرطة؟»

صرخت: «لقد قتل صديقي!»

قال فهد ساخرًا: «لم أقتل صديقك. ليست غلطتي أنه لم يكن يعرف كيف
يقود...»

انقضضت عليه بلكمة، لكنه كان أسرع. أمسك قبضتي في الهواء ودفعني
نحو الحائط، واحمر وجهه من الغضب.

زجر وقبضته الفولاذية تشد على يدي: «أتريدني أن أكرها؟ ها؟»
فجأة، انطفأ كل شيء. انسحب الدم من أطرافي. تسلل الخوف إلى
أوصالي، وعاد الجليد الذي أعرفه جيدًا ليشلني. تجمدت. سال العرق على
ظهري وأنا أحاول تخلص ذراعي بلا جدوى.

قال دهمي وهو يتدخل ليفصل بيننا: «فهد، كفى»
امتلات أذناي بطنين خائق، ابتلع كل الأصوات. وقفت هناك، عاجزًا،
متجمدًا، في حين يغادر قاتل وليد دورة المياه.
لا لال لن أتركه يذهب.

اندفعت خلفه، وقبضتي مشدودة من جديد.

غسلت أنفي الدامي في المغسلة، وراقبتُ الماء وهو يدور في دوامة وردية
شاحبة قبل أن يتلعه المصرف.
«هل أنت بخير؟»

جاء صوت إيهاب من خلفي. سحب منديلًا ورقيًا وناولني.
مسحتُ أنفي، وتركتُ أثر الدم والماء خلفي وخرجت من دورة المياه.
اتجهت مباشرة نحو الدرج. لم أنو طلب الإذن من أحد، ولم تكن لدي نية
لحضور حصة أخرى. كنت ذاهبًا إلى الشرطة.
لحق بي إيهاب، وصوته يتردد في الممر شبه الفارغ: «قلت إنه قتل وليد،
صحيح؟ كيف حدث ذلك؟»

رغمته بنظرة حارقة، لكنني واصلت السير، وكفائي مشدودتان.

قال وهو يسرع ليمشي بجانبى: «اسمع يا رجل، إذا كنت تظن أن الذهاب إلى الشرطة فكرة جيدة، فأنت مخطئ»
توقفتُ عند أول الدرج، والتفتُ إليه، وقلت: «لماذا؟ لقد اعترف للتو بكل شيء»

رفع إيهاب كمّه ببطء، كاشفاً عن ندبة قديمة خشنة الملمس وقال: «هذا ما يحدث عندما تتحداهم»
«فهد فعل هذا بك؟»
«ليس وحده»

أشاح بنظره بعيداً، وتنهد: «صدقني. لا تريد أن تتورط مع هؤلاء الأربعة»

اشتدت قبضتاي، وشعرت بحرارة الغضب تتصاعد في صدري: «أربعتهم؟»

ناولني إيهاب منديلاً آخر وقال: «أنفك». تحول المنديل إلى اللون الأحمر ما إن ضغطته على وجهي.
جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص

بدأ إيهاب مرة أخرى، وصوته خافت، ومُصِرّ، والقلق مرسوم على ملامحه: «إذا... قلت إن فهد قتل وليد... كيف حدث ذلك؟»

وليد سابقا

فُتِحَ الباب بعنف، ودخل وليد متارجحًا على حافة الانهيار.
صرخ في فراغ البيت الصامت: «رامي!». والداه ومحمد لم يعودوا بعد
من المستشفى.

وصل إلى باب غرفة رامي، وطرق عليه بقبضة يده المرتجفة وصوته
يرعش. لم يرَ رامي منذ أيام، وغيباه الآن بات نذير سوء لا يطاق، ولكن عمه
في منزله، وهذا يعني أن الجميع عادوا من المخيم.
الحريق.

«رامي، أرجوك، افتح!»

شعر بخدر يسري في يده وهو يواصل الطرق. كان بإمكانه محاولة فتح
القفل كما فعل سابقًا، لكن الخوف شلَّ أطرافه. ماذا لو لم يكن رامي في
الداخل؟

قل لهم ما قلته لي.

انهار على الأرض، وانفجر في بكاء صامت أمام باب أخيه. ماذا فعلتُ؟
أغمض عينيه بقوة، محاولاً يائسًا أن يتذكر.

كانت الشمس تنزف ألوانها الأخيرة خلف التلّ الرملي المطلّ على
المخيم. هذا العام، استأجر العم منصور موقعًا جديدًا بثلاث خيام: واحدة
للنساء، وأخرى للرجال، وثالثة أصغر حجمًا في منتصف المسافة، قرب سياج

المخيم. تلك الخيمة الوسطى، المتموضعة على حافة التلال الرملية، وقد أثارت حماس رامي أكثر من أي شيء آخر. هذا العام، الخيمة للصبية وحدهم. شعر وليد بعقدة باردة في معدته. كان يعلم أن تلك الخيمة سيشاركها ابنا عمه، ورامي، وربما، ربما، سيُسمح له بالانضمام.

بعد ساعات قليلة من وصولهم، شعر بالتحوّل في رامي. لقد التصق بحسن، أكبر أبناء عمهم منصور، ذاك الذي كان يحول رامي إلى شخص غريب، قاس ومتعالٍ. في العام الماضي، طردوه من مجموعتهم، وسخروا منه، وقالوا له أن يذهب ليلعب مع من هم في سنّه. لم يكن هناك أحد في سنّه، أقربهم نايف، الذي ما يزال ينادي والده «بابا».

هذه المرة، لم ينتظر وليد حتى يُستبعد. غادر خيمة الأولاد من تلقاء نفسه، وجلس قرب نار الرجال، يرسم بعضا في الرمل. مرّ النسيم الخفيف على وجهه، وكان منهمكا في رسمه؛ طائر... أو شيء كان من المفترض أن يكون كذلك.

محت قدّم أحدهم ما رسمه، وبددت الرمل. رفع بصره.

«أوه، خربت غرابك!»

كان رامي واقفاً فوقه، وعلى وجهه ابتسامة ساخرة يعرفها وليد جيّداً.
«أم كانت دجاجة؟»

ها نحن ذا. سيقضي رامي اليوم في مضايقته، وإذا اشتكى وليد، سيخبره أبوه ومحمد أن «يكون قويا». ربما عليه أن يكون كذلك، على الأقل لهذا الأسبوع. بعدها سيعودان إلى المنزل، وربما يعود رامي شقيفاً له من جديد.

قال رامي: «أعطني يدك»

أحكم وليد قبضته على العصا وسأل: «لماذا؟»

«هل تريد أن تجلس هنا وحيداً طوال الرحلة، يا أحمق؟»

ابتسم رامي وأضاف: «هيا!»

«إلى أين؟»

«سنستأجر دبابات. ستأتي معنا»

«حقاً؟ وماذا لو طردني حسن؟»

«لن يفعل. لقد كبرت الآن. يمكنك البقاء معنا»

لاحقاً، وقفوا قرب خيمة الرجال، وألسنة النار تتراقص خلفهما.

قال رامي واضعاً يده على كتف وليد: «اسمع. حسن ونواف ينتظراننا.

الجميع معهم نفود للدبابات»

هبط حجر ثقيل في معدة وليد. كان رامي يريد أن يطلب المال من والده.

في العام الماضي، ونّخه أبوه أمام الجميع بسبب ذلك.

قال وليد بنبرة مهزومة: «سيقول لا»

«أعلم، ولذلك لن نطلب منه. نحتاج مفتاح السيارة فقط»

«لماذا؟»

«محفظة أبي في السيارة، سنستعير بعض النفود. لن يلاحظ أبداً»

اقترح وليد بصوت خافت: «هل يمكننا أن نلعب كرة القدم بدلاً من

ذلك؟ لقد أحضرت كرة محمد...»

قاطع رامي بحدة: «لا!»، ثم تنهّد وخفّف نبرته: «نريد أن نستمتع مثل

الآخرين فقط، أتفهم؟»

نظر وليد إلى قدميه. لم يرد أن يترك وحيداً، لكنه كره أن يستغل، ورغم

ذلك، لم يتحمل فكرة أن يشفق عليه الكبار، أو أن يُجبر على مرافقتهم بدافع

الأدب. قبض على يديه بقوة وقال: «ماذا أقول له؟»

«قل له إن سترك بقيت في السيارة»

«لكنني أرتديها»

سحب رامي السترة عن كتفي وليد، وارتداها هو.

تنهد وليد: «حسناً»

نجحت الخطة. عاد وليد بمئة ريال، وقضوا فترة العصر وهم يقودون الدبابات بجنون عبر الصحراء. للحظة واحدة، قصيرة وهشة، وهو يطارد سحابات الغبار الذهبي تحت سماء الصحراء، صدق وليد حقاً أنه واحد منهم. للحظة واحدة، كان كل شيء على ما يرام.

حين تحول لون السماء إلى البرتقالي، انضم وليد إلى رامي وحسن ونواف عند سفح التلّ، والابتسامة لا تفارق وجهه. شعر بأن قلبه أخفّ من حبة رمل، يطفو في بحر من السعادة. تلك الليلة، بدت وكأنها ستكون أفضل ليلة في حياته.

هبة نسيم باردة جعلته يرتجف. أخرج حسن من جيبه علبة سجائر، وابتسم بزهو.

قال نواف بدهشة: «مستحيل! من أين حصلت عليها؟»
«اشتريتها»

تردد رامي لحظة، وألقى بنظرة سريعة نحو وليد، كأنه يبحث لديه عن إذن أو طمأنينة.

قال وليد بجرأة لم يعهدها في نفسه: «هل يمكنني أن آخذ واحدة؟»
صرخ رامي: «لا»، ولكن رفضه لم يلقَ اهتماماً.

أشعلت السجائر كنجوم صغيرة في العتمة المتزايدة. سعل رامي بعد أول نفس، وتبعه وليد، وشعر بالدخان يمزق حلقه، لكنه كتم السعلة وأبى أن يتراجع أمام نظرات حسن الفاحصة. كان يقلد رجولة لم يمتلكها بعد.

قال حسن فجأة وهو ينظر خلفهم: «أطفئوا السجائر»
«لماذا؟»

«أحد ما قادم»

تمتم نواف: «لا يوجد أحد»

تطوع وليد، راغبًا في إثبات جدارته: «أستطيع أن أتحقق»

تسلل خلف التل، فرأى صغيرًا يركض مبتعدًا باتجاه المخيم. كان نايف،
أصغر أبناء العم منصور. ما الذي يفعله هنا؟

صاح وليد: «هيه!»

استدار نايف وفرَّ هاربًا.

رآهم وهم يدخنون... إذا عرف والده سوف يعاقبهم وسيكره رامي وليد.
لن يسمح بحدوث ذلك. انطلق خلف نايف، وأمسك بقميصه.

صرخ نايف وهو يتلوى: «دعني! سأخبر أبي!»

كذب وليد، وصوته يرتجف: «لم تكن ندخن»

ضرب نايف يد وليد وأفلت، محاولًا الهرب مجددًا: «أنت تكذب!»

طرحه وليد أرضًا، وثبت ذراعه وهمس: «اغلق فمك»، والهلع يتسرب
إلى نبرته.

لكن صرخات نايف ازدادت. اجتاح الذعر وليد، فدفع وجه نايف في
الرمل، محاولًا كتم الصوت. ازداد الطفل مقاومة، ثم توقف.

صُعِقَ عقل وليد. تجمّد، يحمق في جسد نايف الساكن. قلبه على ظهره،
ويداً يمسح الرمل عن وجهه.

«نايف؟»

صفعه على وجهه، ولكنه لم يرد.

يا إلهي. إنه لا يتحرك. ماذا فعلت!

جلس إيهاب قبالي، وقد تجمدت ملامح وجهه في مزيج من الصدمة وعدم التصديق. ظلَّت عينا مازن تراقبنا من الطرف الآخر للغرفة، مما أضفى على كلماتي ثقلاً أكبر.

قال إيهاب بصوت مرتجف: «حين قلتَ إنه قتله... ظننتك تبالغ»
ارتعشت نظراته الدامعة نحو مازن. فتبعْتُ نظرتَه.

سألتَه: «فيمَ تُفكِّر؟»

«المخيم. أين موقعه؟»

«أنا... لست متيقناً»

«لا، أعني، هل كان خالياً؟ أم حوله مخيمات أو سيارات قريبة؟»

سحبني السؤال بقوة إلى الوراء، إلى الحادث؛ صحراء موحشة، وتلال تقف صامتة كالشهود، وريح تصفر بجانب وجهي.

«كان خالياً»

فرك إيهاب ذقنه، وغاصت نظراته في أعماقه: «ما الذي يدفع وليد إلى التخيم معهم؟ الأمر غير منطقي»

ازداد اضطراب نبضات قلبي. كان محقاً. وليد يمقت التخيم.

تمنيت: «أجل. وليد كان يكره التخيم»

تحولت نظرات إيهاب إلى فهد، الجالس في الصف الأمامي، رأسه منحني فوق شيء يتظاهر بقراءته، ثم إلى دحي، الممدد على طاولة المدرس، وعيناه مركزتَان على هاتفه تحت الطاولة.

«حين صرخت على فهد قبل قليل، بدا أن مازن تصرف... على نحو مختلف. حاول تهدئك، وهذه ليست طباعه»

نظرت إلى مازن، الذي أشاح بوجهه بسرعة، وقلت: «ماذا تقصد؟»
«ظننت أنه لو اكتشف مازن أو أي منهم أنك صديق وليد، لكانوا أكثر عدائية، لكن بدا عليهم التوتر، وكأنهم يخفون شيئاً ما»

أخذت الفكرة تدور في رأسي، ثم سألت: «لم قد يكرهونني؟»

أجاب ببساطة: «لأنهم كانوا يكرهون وليد»

هل تصل الكراهية إلى حد الرغبة في موته؟ ومضت في ذهني صورة سيارة الديدسون. كان فهد وحده في تلك الليلة.

أضاف إيهاب بابتسامة واهنة: «أنا أحن فقط. ما أعلمه أن وليد كان مستهدفاً باستمرار. أظنهم كانوا يخشونه، أو لعلمهم أرادوا تجنب مواجهة علنية، فامتنعوا عن المواجهة المباشرة».

«ماذا فعلوا إذن؟»

غامت ملامح إيهاب، وقال: «كثيراً ما اختفت أغراضه؛ الكتب، والدفاتر. وفي إحدى المرات، بعد درس الرياضيات، كانت لدينا حصة تربية بدنية، وأنت تعلم كم كان يحب كرة القدم، أليس كذلك؟ سرقوا ملابس الرياضة الخاصة به في ذلك اليوم، فقط من أجل مضايقته».

«وماذا فعل؟»

«لا شيء في البداية»

«لا شيء؟ ذلك لا يشبه وليد».

«لكن في الأسبوع الأخير قبل الاختبارات النهائية، طرأ عليه تغير. عاد يوماً من التربية البدنية... وكان مضطرباً، ثم اقترب منه فهد، هنا تحدثا»

أشار إيهاب إلى الموضع المجاور لي وواصل: «وطلب أن يتحدثا»

«وماذا حدث؟»

«انهال وليد عليه بالضرب. مرة تلو أخرى. كان الدم في كل مكان. حاول
فهو الدفاع عن نفسه، لكنه لم يُفلح»
انخفض صوت إيهاب، وتابع: «ثم انقضَّ عليه دحى ومازن. بادلوهُ
الضرب، لكن كل شيء جرى بسرعة. تدخل بعض الطلاب لفضِّ الاشتباك،
لكن قبل ذلك... فهذه...»
توقف قليلاً ثم واصل: «قال أحدهم إن فهذه فقد سنّا»
«هل قدّم بلاغاً ضده؟»
«وذلك ما يثير الريبة. لم يفعل. عاد دحى ومازن لاحقاً، وهددونا جميعاً
إن تكلم أحد»
«لم فعلاً ذلك؟»
هزَّ إيهاب كتفيه، وتسلسل ضجيج خافت في الغرفة إلى أذنيّ، في حين غابت
ملاحظته في شرود ثقيل.
قال: «ربما...»، ثم صمت.
ضغطتُ عليه للحديث: «ماذا؟»
ارتسمت على وجهه ابتسامة محرّجة وقال: «لا شيء»
«قل ما لديك»
قال ببطء: «لم يكن فهذه ليتجاوز ما فعله وليد له دون رد. ماذا لو أنهم
دعوه إلى الصحراء للانتقام منه؟»
همست: «الـ... لقتله؟»
لم يجب، لكن صمته جوابٌ كافٍ. أخذ رأسي يدور.
«لم يذهب وليد إن علم بنيتهم في إيدائه؟»
أصبحت نظرة إيهاب حادّة، وقال: «لم يذهب بمفرده. اصطحبك معه،
أليس كذلك؟»

اخترقتني كلماته كالسهم. بعد تسعة أشهر من الصمت، بعد كل ما اقترفته
في حقّه... لجأ إليّ ولید حين احتاج إلى من يثق به. منحني فرصة ثانية، مؤمناً
أنني سأدافع عنه، كما فعل هو مراراً من أجلي.
تسللت فكرة إلى ذهني؛ كنت أعلم أنني لن أقدم عليها، ومع ذلك،
أمدّني بشيء من الطمأنينة: أردت قتلهم جميعاً، بدءاً من فهد.

وليد سابقاً

ركض وليد عائداً إلى التلة الرملية، وقلبه يقرع طبولاً في أذنيه، ويداه ترتجفان ووقع ما فعله يفوح في أعماقه. لم يعرف ما يجب فعله، لكنه أدرك أن تلك الليلة ستكون أسوأ ليلة في حياته.

جلس بجانب رامي، مرعوباً، يحدق في النار التي أشعلوها في غيابه.
قال حسن لنواف، الذي كان يسعل: «توقف عن التدخين هكذا! انظر إلى رامي، إنه يفعلها كما ينبغي!»

سحب رامي نفساً من سيجارته ونفث الدخان بعيداً، لتوجهه الريح مباشرة إلى عيني وليد.

دوى صوت عالٍ من الظلام: «هيه!» كان صوت عمه منصور. هرع الأطفال، ودفنوا السجائر في الرمال.

صاح نواف مجيئاً: «نعم يا أبي!». ظهر عمهم من العتمة... حاملاً نايف على خصره. هناك، يتشبث بيد أبيه، ووجهه أحمر ومبلل بالدموع.

سأل حسن، محدقاً في نايف، الذي تورمت عيناه: «ما الذي يحدث؟»
صاح العم منصور: «من فعل هذا؟»
«فعل ماذا يا أبي؟»

وُئِخه والده عندما اكتشفوا ما فعله. غير أنهم لم يعرفوا حقاً مدى ما أقدم عليه لإيقاف نايف. بالكاد نطق الصبي الصغير بشيء، سوى أنه تعرض للضرب. وبما أن وليد الأصغر في المجموعة، ألقى اللوم في قضية التدخين على حسن ونواف ورامي. قضى الثلاثة الليلة بأكملها في جمع القمامة، ونقل اللوازم بين الخيام، والأسوأ من ذلك كله، عوقبوا بالحرمان من أنشطة اليوم التالي. حتى كرة القدم التي أحضرها وليد فقد صودرت.

هزّت نسمة لطيفة مدخل خيمة الأولاد، فتسلل الهواء الصحراوي البارد إلى الداخل. ارتجف وليد، منكشاً في الركن، في حين جلس حسن ونواف ورامي قبالة، والتوتر يخنقه.

فكر في نفسه: كنت أحاول المساعدة فقط. لكنه علم أنهم لا يرون الأمر على هذا النحو. باتوا يكرهونه الآن. حتى رامي.

ظن أن هذه المرة ستكون مختلفة، وأنه أخيراً سيصبح جزءاً من المجموعة، يتسكع ويمرح معهم حتى يعودوا إلى المنزل.

شعر بحرقه في عينيه، وبدأ بالبكاء.

قال نواف بصوت يقطر احتقاراً: «هل ستبكي فعلاً الآن، يا طفل؟»

أضاف حسن: «اصمت!»

ظل رامي صامتاً.

هدّد حسن: «إن لم تصمت، سأضع قدمي في فمك»

وخنّر حسن رامي وقال: «اجعل أخاك يصمت»

انحنى رامي لوليد: «اصمت. أنت تخرجنا»

رد وليد بيأس: «أ... أنا لم أقصد أن أوقعكم في مشكلة»

قال نواف من الطرف الآخر من الخيمة: «لكنك فعلت ذلك يا طفل»

رد وليد، وقد بلغ به الغضب حد الانفجار: «اخرس يا كلب!»

ما إن دخلت غرفتي، حتى رأيت هاتفي يضيء. بدافع العادة، أسرعت نحوه، آملاً أن يكون وليد، لكنه لم يكن سوى إشعار عشوائي من إنستجرام. بالطبع، لم يكن وليد، لأن وليد مات، وهؤلاء الذين تحدث عنهم إيهاب هم السبب. أرادوا قتله في الصحراء، لكن الحادث وقع. وبدلاً من ذلك، تركوه يموت وحده.

هل كان فهد وحده في تلك السيارة؟ لم أر أحداً سواه تلك الليلة. حتى الوجه المبتسم الذي ظننته على الزجاج الأمامي، تبين أنه على الزجاج الخلفي. حين أفكر في الأمر الآن، لا يسعني إلا تخيل الأربعة: فهد ومازن ودحي وعيد، يخططون لكل شيء بابتسامات ساخرة وضحكات خافتة، ويستدرجون وليد إلى الصحراء كي يقتلوه. جعلتني الفكرة أرتجف.

أضواء هاتفي مجدداً بالإشعار ذاته من إنستجرام. ضغطت عليه بقصد مسحه، لكنه فتح التطبيق، وقادني إلى رسالة مباشرة.

مجهول: أنا لست فهد

مجهول: لقد كنت اليوم شجاعاً حين واجهتهم

سعد: من أنت؟

مجهول: من الأفضل ألا تعرف هويتي

إن لم يكن فهد، فربما أحدهم، أو جميعهم. اجتمعوا على وليد؛ والآن يجتمعون عليّ.

سعد: ولماذا؟ هل تخشى أن أذهب إلى الشرطة؟
مجهول: أكرر، أنا في صفك. أريد العدالة لوليد أيضًا
العدالة لوليد؟ على حد علمي، الوحيد الذي بدا مهتمًا به هو إيهاب. وإن
كان هو، فلم لم يخبرني ببساطة؟

مجهول: إن ذهبت إلى الشرطة، لن أستطيع مساعدتك
سعد: مساعدتي؟ وكيف تنوي فعل ذلك؟

مجهول: يمكننا قتلهم، ولن يعرف أحد أننا فعلناها
«حبيبي؟»

دفعت الهاتف تحت الغطاء في اللحظة التي ظهرت فيها والدتي عند
الباب، عباءتها على كتفها وهي تعدل وشاحها فوق رأسها.
«هل أنت جاهز؟»

رمشت بعيني نحوها، مشوشًا. ثم تذكّرت على نحو باهت: العشاء
خارج المنزل. طلبت ذلك في وقت سابق، ويبدو أنني وافقت دون تفكير.
قلت قابضًا على الهاتف: «أمي، أعتقد أنني بحاجة إلى قيلولة»

قالت، مبتسمة بود وهي تقترب: «تستطيع النوم بعد عودتنا. هيا بنا
حبيبي»

لورفضت، ستشك ربما أن «النسخة القديمة» مني لم تعد كما ظنت.
قلت بسرعة وهي تقترب من سريري: «حسنًا. انزلي أنت، سأبدل ثوبي
والحق بك».

نصف شاشة هاتفي يظهر تحت طاولة المطعم. حدثت في آخر رسالة من «مجهول»، محاولاً فهم ما إذا كانت هذه مزحة. هل اعتقد أحدهم فعلاً أن هذا أمر مضحك ليترحه؟ أم أنه جاد؟

هل كنت لأفعلها؟ هل أستطيع؟

قال والدي، قاطعاً شرودي: «لا، بالتأكيد لا». كان يتحدث إلى والدي التي ناولته ملعقتها بعد تذوقها الشورية. قالت: «لا، أعتقد أن السبب هو الليمون. ربما أضافوا الكثير منه. سعد، جرب هذه...» مدت الملعقة نحوي، لكن نظري بقي ثابتاً على طبق المعكرونة أمامي ولم ألمسه. شعرت أنني لا أستحقه، مهما بلغ جوعي.

اعتاد وليد المجيء إلى هذا المطعم معنا أيام المدرسة الابتدائية. هو من جعلني أكل هنا، كان يقول بعد اقتراح سباق أكل المعكرونة: «يمكن أن تكون خالتي هي الحكم».

في نهاية الأمر، كلانا ممتلئ لدرجة أننا بالكاد نتنفس، ونتجشأ طوال الطريق إلى المنزل في المقعد الخلفي.

استغرق الأمر سنوات لأدرك أن كل تلك «السباقات لأكل المعكرونة» هي فكرة وليد. لقد سمع والدي يتحدثان بقلق عن كوني نحيلاً بالنسبة لعمرى، فابتكر اللعبة للمساعدة.

غرزت الشوكة في المعكرونة وبدأت أتناولها، قضمة بعد قضمة، حتى فرغ الطبق. ثم استأذنت، ومررت بين العائلات من حولنا وخرجت إلى ضوء الشمس.

سعد: كيف تنوي فعل ذلك تحديداً؟

بدأ المجهول في الكتابة على الفور. الشارع أمامي يضج بأبواق السيارات عند الإشارة الخضراء.

مجهول: هل هذا يعني أنك موافق؟

سعد: أحتاج إلى معرفة المزيد. كيف سنفعلها؟ كيف تضمن ألا يكتشف أحد الأمر؟ ومن تكون أصلاً؟ كيف لي أن أثق بك؟

مجهول: أسئلتك كثيرة يا سعد

مجهول: أنت لا تثق بي وأنا لا أثق بك، كيف تتوقع مني إخبارك بهويتي؟

سعد: لم أقل ذلك

مجهول: هههه

مجهول: ستكون أحق إن وثقت بي فقط بناءً على هذه المحادثة

مجهول: لكنك ستعود. خاصة بعد أن أغضبت فهد. سيستهدفوك كما

استهدفوا وليد

مجهول: ميزتك الوحيدة الآن أنني أستطيع مساعدتك على رؤية مدى

دناءتهم

مجهول: هذا ما قتل وليد. ظن أنهم سيواجهونه كالرجال

وليد سابقا

منذ خروج والدته من المستشفى، خيم الصمت على المنزل. مات رامي،
ومعه أبناء عمومته، رغم أن وليد بالكاد فكّر فيهم.
التهمتهم النار في الخيمة وهم نائمون. لم يكن وليد هناك، لكنه لم يتذكر
السبب، ولا ما قاله لمحمد في تلك الليلة.
أخبرهم بما فعلت!

ماذا فعل؟ كل ما استطاع تذكره هو... ضربة على الرأس من حسن بينما
كان يحاول الهرب من الخيمة. بعدها، رائحة البترين، وارتجافة البرد، ثم
استيقاظه في غرفة الغسيل والدم اليابس يغطي رأسه.

دوى صوت التلفاز ليغطي على الصمت، والدخان يلتصق بالجدران
في حين يلدخن والده سيجارة تلو الأخرى، والوجبات تصل في أكياس
بلاستيكية. توقف محمد عن الاطمئنان عليه، وبالكاد يلاحظ تسلل وليد
من وإلى المنزل.

وللحظة، ظن أن محمداً يتمنى ألا يعود. ووليد تمنى الشيء ذاته.
ألقي نظرة على ساعته - 2:32 ظهراً - وتأفف، نافذ الصبر على انتظار
زيارته لسعد. يفعل ذلك يومياً منذ أن اصطدم به خارج المتجر. يلعبان
البلايستيشن حتى تغرب الشمس، وأحياناً يخدعان والدي سعد ويسهران
حتى الصباح، وهما يكتهان حماسهما ويخفضان صوت التلفاز.

في الساعة 3:50 مساءً، أمسك باللازانيا التي أرسلتها والدته سعد؛
واحدة من صوان عديدة في ذلك الأسبوع. لم يشاركها قط مع عائلته؛ كانت
سره الخاص.

حمل الصينية وهو يتأوه، تفقد الردهة، ثم ركض نازلاً على الدرج إلى
شمس الظهيرة.

«مفتوح!»

جاء صوت سعد عبر سماع الباب. دخل وليد، ورائحة الحديقة الخضراء
تملاً أنفه وهو يطأ العشب بحذائه المهترء.

قال حين دخل المطبخ: «خالتي». كانت والدته سعد واقفة عند الطاولة،
تعصر البرتقال، ودلة القهوة تغلي بهدوء على الموقد.

ابتسمت وقالت: «أهلاً، وليد. كيف حال والدتك اليوم؟»

قال وهو يضع الصينية على جزيرة المطبخ: «بخير. شكرًا على المعكرونة»

قالت بلطف: «على الرحب والسعة في أي شيء تحتاجه»

قبل أن يصعد، ناولته صينية كعكة شوكولاتة، ورائحتها الطازجة ملأت
فمه باللعب.

قال سعد بينما شاشة التلفاز متوقفة عند تحميل لعبة ستريت فايتر:

«أخيرًا! أسرع، يا رجل!»

قفز وليد إلى الأريكة، وأمسك يد التحكم، ووضع الكعكة على الطاولة.

قال مبتسمًا: «أستعجل على الخسارة؟»

ضحك وأجاب: «سنرى»

أعلن وليد متصراً: «ابلع ا» وهو يشرب عصير البرتقال، في حين عقد سعد حاجبيه وارتشف من كوبه.

تمتم سعد: «أنت تغش»

«ألديك حجة أخرى؟»

«لنلعب مرة أخرى، سأريك!»

مرّت الليلة بفوز واحد لسعد. تنقلاً بين الفيفا وستريت فايتر، وأخيراً انتقلاً إلى مشاهدة فيلم، حتى حان وقت رحيل وليد.

هذه المرة، كانت لدى سعد خطة... قد تجرّ عليها المتاعب.

أعلن سعد: «سنخرج»

أجاب وليد: «أستطيع الذهاب وحدي»

«أعلم، لكنني...»

نظر سعد إلى الباب، ثم واصل: «سئمت البقاء في البيت طوال اليوم. أحتاج إلى بعض الهواء، أتفهمني؟»

وليد لم يفهم لم يكون العيش في بيت كبير مع والدين يجبانك أمراً سيئاً. كان ليحبّ أن يعيش هنا، بل حتى لم يكن ليعترض لو أقفلوا عليه في غرفة في كل ليلة.

«ماذا لو اكتشف والداك الأمر؟»

«لن يعلما»

ثم اقترب سعد وهو على الأريكة، وقال: «أفعل هذا دائماً. لا تقلق» عرف مدى خطورة هذا الأمر، خاصة بالنسبة له. إذا اكتشف والدا سعد، فقد يمنعانه من المجيء. لا يستطيع المخاطرة بذلك.

«لن يعرفا! أعدك!»

تنهّد وليد.

«أقول لك إنني أفعل هذا دائماً!»

«وماذا لو حدث لك شيء؟ مرضت مثلاً أو ما شابه؟»

«ماذا؟ لا أمرض أبدًا. والدتي تقلق كثيرًا فقط»

فكر وليد في الأمر. في كل الأوقات التي قضاها مع سعد، لم يره مريضًا قط، لم يستخدم بخاخه حتى.

«هيا! لن نطيل البقاء، ولن نبتعد. فقط جولة سريعة في الحي!»

وهكذا، تسللوا إلى هدوء الليل. أضواء البيوت المحيطة مطفأة، وصوت صرصار الليل يتردد من بعيد.

سارا في الشارع، مرورًا بالمنازل الفخمة، حتى وصلا إلى الحديقة.

سأل وليد: «هل هذه وجهتك؟»

رفع سعد حاجبيه بخبث وهو يتجه نحو بوابة الحديقة.

تمتم سعد عند رؤية القفل: «أوه، لا»

قال وليد ساخرًا: «هل أنت حزين لأنك لا نستطيع اللعب على الأرجوحة؟»

ضحك سعد وقال: «اصمت»

التفت وليد حوله. الشارع خالٍ، لا أحد فيه سوى سائق جالس أمام فيلا، يتحدث في الهاتف.

فتح وليد كفيته، وأدخل أصابعه بعضها في بعض وقال: «إليك إذن»

«ماذا؟»

«تسلق»

«متأكد؟»

«أجل! البوابة قصيرة. تسلق أولًا، وسأتابعك»

تسلق سعد بخفة مرتبة وقفز إلى الجهة الأخرى، لاهثًا. تحسس جيبه بحثًا عن بخاخه.

تعلق وليد بالقضبان المعدنية، وسحب جسده للأعلى. غطى العرق جبينه
وهو يحدّق إلى سعد في الأسفل... ثم قفز.
ما زال سعد يفتش جيوبه، فسأله: «ماذا تفعل؟»
«أبحث عن البخاخ»

نظر وليد إلى الأرض بجوار البوابة.

«ليس هنا. أظنتني نسيت في البيت»

تمتم وليد: «هل تريد العودة؟»

«لا... سأكون بخير»

توجّهوا نحو الأرجوحة. جلس سعد أولاً، ونظر إلى وليد نظرة دعوة
للانضمام.

لو كان أبناء عمه هنا، لسخروا منه لجلوسه على الأرجوحة، حتى رامي
كان سيفعل. لكن ثمة شيء في سعد جعله يشعر بالراحة. كأن لا أحد
سيحكم عليه مهما فعل.

لذا، انضم إليه، وراحا يتأرجحان، يشقان الهواء، وصرخات وصيحات
سعد يتردد صداها في الليل.

لاحقاً، تجولا على العشب حتى وصلا إلى مبنى شاهق، نصف مكتمل،
يطل على الحديقة. مجرد مبنى رمادي عظمي بفراغات فاغرة بدلاً من
الجدران. سواء أكانت فكرة وليد أم سعد، فقد انتهى بهما المطاف في الطابق
الثالث، تتلى أقدامهما والليل يزداد برودة.

سأل سعد مشيراً إلى الحديقة في الأسفل: «هل تشعر بالرضا هنا؟»
«ماذا تعني؟»

«من هذه النقطة، أقصد. النظر إلى الأشياء من هنا وكيف تبدو صغيرة»
تنهد، وتابع محدّقاً في أصابعه: «أحياناً أتمنى لو يرى والداي هذا»

«المشهد من هنا؟»

ضحك سعد وقال: «لا. أتمنى أن يريا أنني بخير. أنني أستطيع الاعتناء

بنفسي، أتفهم؟»

لم يفهم وليد.

«طوال حياتي، عاملاني وكأنني معطوب. وكأنني بحاجة إلى حماية. حتى

أنهما لا يسمحان لي بالخروج دون مراقبتي»

فكر وليد في العكس تمامًا؛ في كل تلك المرات التي تجاهله فيها والده،

كما تجاهل تومسات وليد أثناء شجاراته مع رامي. أو محاولات أمه الفاترة

للتدخل عندما يأخذ محمد جهاز البلايستيشن ليلعب وحده في غرفته،

تاركًا وليد يستشيط غضبًا من الظلم... يبدو أن والدي سعد يهتمان، ولثانية

واحدة، شعر وليد بالحسد. والداه لم يلاحظا حتى أنه ليس في المنزل الآن.

يمكن أن يُختطف، أو تصدمه سيارة، أو يتعرض لهجوم، ولن يهتما. أما سعد

فمتزعج لأن... والديه يحبانه؟

قال وليد: «على الأقل، إنَّها يحبَّانك»

ضحك سعد، ثم سعل.

سأل وليد، وقد بدا عليه التوتر: «ماذا؟»

«لا، أنا...»

سعل سعد مجددًا.

«هل أنت بخير؟»

بدأ سعد يفتش جيوبه مرة أخرى، والسعال يزداد: «أنا...»

اتسعت عيناه وليد.

إنه... يخنق.

ظللت أحدّق في هاتفي، ذراعاي مستندتان إلى المقود.

مجهول: هل تراجععت؟

تلك الرسالة من أمس. ولم أجب بعد.

لم تعد مواقف المدرسة فارغة كما من قبل. عند الساعة 6:10 صباحًا، مرّ الأستاذ يحيى؛ مدرّس التربية البدنية، بجانب السيارات والطلاب المتناثرين حولها، صارخًا: «خمس دقائق وسأقفل البوابة»

دخلتُ، أسير مع جموع الطلاب نحو ساحة المدرسة. ظهرت لي أولاً ساحة كرة القدم، ثم المبنى الأصغر المجاور لها تعلوه لافتة كُتب عليها «المقصف». امتلأت الساحة سريعًا بالطلاب.

لم تكن هذه المدرسة بالسوء الذي توقّعتُه، لكن شعور الذنب ظلّ يخفق في صدري. في آخر سنة قضاها وليد معي في مدارس النهضة العالمية، بذل جهدًا هائلًا، حتى قبل أن يعرف مصيره في برنامج اكتشاف المواهب في كرة القدم.

لوّح إيهاب من باب المقصف، ثم أسرع نحوي ركضًا.

«هلا سعد»

قال، مشيرًا إلى المبنى الصغير: «إننا نجهّز الإذاعة المدرسية»

سألته: «في المقصف؟» في مدارس النهضة، كانت لدينا غرفة مخصصة

للإذاعة.

«لا، في غرفة التربية البدنية»

قادني إيهاب إلى داخل المبنى الصغير. في الردهة رأيت بايين متقابلين، قاعة المقصف، والآخر رمادي صغير على اليمين، نافذاته المستطيلتان تكشفان عن جزء من الداخل. ألقيت نظرة قبل الدخول. في أقصى الصالة على اليسار، رأيت مكتبًا، وبجانبه رفّ يحتوي على دروع وكؤوس كرة قدم... لم أبال حتى دخلنا...

إحدى هذه الكؤوس كانت من برنامج اكتشاف المواهب.

تسارعت أفكاري. هل هو البرنامج نفسه؟ هل يشمل المدارس الحكومية أيضًا؟

دخل ناصر مسرعًا خلفي، يتبعه طالب آخر. جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص

سأل ناصر إيهاب: «أي جزء ستقوم به؟»

أجاب وكأن الأمر محسوم: «المقدمة». «قلت لك أمس في الوتساب!» أطلق ناصر زفرة ضيق.

سأل إيهاب، لكن ناصر تجاهله: «هل أستاذ يحيى يعلم أنك هنا؟»

سأل الطالب الآخر: «أين فهد؟»

نظر إيهاب إليّ. لاحظ ناصر ذلك.

دخل أستاذ يحيى الغرفة: «يا شباب! هل أنتم جاهزون؟ سنبدأ بعد

قليل»، وأشار إلى الميكروفون على مكتبه، فسلمه له إيهاب بسرعة.

«ماذا تفعل هنا؟»

لم يكن سؤال أستاذ يحيى موجهًا إليّ، لكنه أربكني رغم ذلك.

بدأ ناصر، متقدمًا ويداه مرفوعتان بتوسل: «أستاذ يحيى، أنا...»

قاطعه أستاذ يحيى: «لا تقل ولا كلمة زيادة يا ناصر. اخرج، ولا أريد

رؤية وجهك هنا مرة أخرى»

خرج ناصر غاضبًا بينما أستاذ يحيى يمسك الباب مفتوحًا، وقال قبل أن يغادر: «أقفلوا الغرفة حينما تنتهون»

سأل الطالب الآخر إيهاب: «هل أعطاك المفتاح؟»

أجاب إيهاب: «لا، أستاذ يحيى فتح الباب لي»

شعرت بأنني في غير مكاني، فاتجهت نحو الباب... لأصطدم بفهد الذي يسد الطريق.

الهالات السوداء تحت عينيه جعلته يبدو وكأنه لم ينام. ارتسمت في ذهني رسالة مجهول: أعلم أنك ستعود، خاصة بعد أن أغضبت فهد.

حاولت المغادرة، ويدي على مقبض الباب.

ناداني فهد من الخلف، ونبرته مشوبة بالضيق: «طلب مني المدير إيلاعك أنك ستشارك معنا في الفقرة»

قلت بحزم: «لن أفعل». وليس معه خصوصًا.

خرج إيهاب، ونظر بيننا بحدة: «ما الذي يجري؟»

انفجر فهد وقال: «لا تدخل لك يا كورنان».

«اهدأ، يا ذا البقعة البنية...»

طارت يد فهد إلى وجه إيهاب.

هدد فهد: «كررها إن كنت رجلاً»

خفق قلبي بشدة، وعينا فهد تحدقان في عيني.

بدا صوت إيهاب ضعيفًا، وشعرت بالخجل من أجله: «ما خطبك أنت؟!»

«ماذا!!» زجر فهد نحوي بينما صوت الأستاذ يحيى يتردد من الخارج وهو يقود تمارين الصباح.

سأل إيهاب بصوت منخفض: «هل تتعاطى شيئًا؟»

اندفع فهد نحوه مجددًا، لكن الطالب الآخر أوقفه.

«دعنا ننتهي من الأمر يا رجل، يمكنك ضربه لاحقاً»

ثم التفت إلى إيهاب وقال: «أغلق فمك»

بعد دقائق، نودي علينا. تبعتهم بخطى مترددة، مشوشاً. لم يعطوني شيئاً لأحضره، ولا حتى ورقة أقرأ منها.

شعرت بقشعريرة وأنا أمشي متجاوزاً صفوف الطلاب في ساحة كرة القدم، عندما وقفنا أمامهم جلث ببصري حتى وصلت إلى الصف الثالث «ج» في أقصى اليسار. كل تلك العيون الثقيلة عليّ. لطالما كرهت هذا الشعور، خاصة بعد تقديمي الإذاعة المدرسية مرة في مدرستي السابقة.

قال لي وليد في الصف الرابع محاولاً تهدئتي: «تذكر فقط، لا أحد يصغي فعلاً»

ناول الأستاذ يحيى الميكروفون إلى إيهاب. نقر إيهاب عليه، وابتسم، وبدأ مقدمته.

همس المدير: «هل أنت سعد المبارك؟». أومأت برأسي، في حيرة. كل أعين الطلاب كانت عليّ.

«كيف حالك يا بني؟»

«بخير»

ابتسم المدير، وربت على ظهري مرتين، ثم وقف بجوار الأستاذ يحيى. أنهى إيهاب المقدمة، وبدأ الطلاب الآخرون فقرائهم: القرآن، والحديث، ثم فهد، الذي تمت بشيء عن أعلى جبل وأطول نهر، قبل أن يعيد الميكروفون إلى إيهاب.

أخذ المدير الميكروفون، وقال: «صباح الخير»، فردّد الطلاب التحية. فجأة، وجدت نفسي الطالب الوحيد الواقف بجانبه. عاد الآخرون إلى أماكنهم، وحين هممت باللحاق بهم، أوقفني الأستاذ يحيى، مشيراً إلى المدير.

«آمل أن عطلتكم الربيعية مضت بخير، وأنكم مستعدون للفصل الدراسي الثاني. معلموكم ينتظرونكم بشوق»

ضحك أحدهم على يميني. نظر إليه معلم عابر بحدة، فأسكته.

«لا أريد أن أطيل عليكم، لكنني أودّ أن أرحب بسعد المبارك، زميلكم الجديد. لديه بضع كلمات ليقولها لكم»
ماذا؟!!

صار الميكروفون في يدي، وقلبي يضرب في صدري. كل العيون شاخصة إليّ.

قال المدير مبتسمًا: «خذ نفسًا». هززت رأسي، وأعدت الميكروفون إليه.

التفت المدير نحو الحشد. ركضت مبتعدًا نحو المبنى الصغير.

«كما يعلم بعضكم، فقدنا هذا الربيع أحد أفضل طلابنا في حادث سيارة»
توقفت، قدمي اليمنى خارج ساحة كرة القدم.

«وليد عابد - رحمه الله - كان يقوم بشيء خطير. تعلمون جميعًا أننا حذرناكم كثيرًا من مخاطر التفحيط»

التفحيط. حلقت الكلمة فوق رأسي كعلامة استفهام لم أتوقعها قط.

تفحيط؟ عمّ يتحدث؟

«أراد أن يشارككم هذا الشاب اليوم تجربته مع ذلك»

وأشار المدير إليّ وقال: «عد يا بُني، لا بأس»

شعرت روحي وكأنها ابتعدت عن جسدي بمقدار شبر واحد بينما كنت أعود.

همس المدير بعيدًا عن الميكروفون: «لا بأس. يمكنك أن تخبرهم»

دوى صوتي المذعور في الميكروفون: «أخبرهم بماذا؟»

تقدّم أستاذ بحى بسرعة، وتمتم بشيء لم أستطع استيعابه وهو يأخذ الميكروفون.

ارتبكت تمامًا وأنا أغلق باب مكتب المدير خلفي. سرْتُ نحو الفصل،
أحاول استيعاب ما سمعته للتو.

بريد إلكتروني، هذا ما قاله المدير. بريد أرسل بالأمس من والدي، يدَّعي
فيه أنني أرغب في تقديم فقرة في الطابور الصباحي ومساعدة طلابه على
فهم مخاطر التفحيط.

بالطبع، ذكر الحادث.

أبي لم يرسل ذلك البريد اللعين.. فهو لا يعلم أن هذه المدرسة هي مدرسة
وليد، وحتى لو كان على علم، فلن يخاطر بتذكيري بتلك الليلة - ناهيك عن
فضح الأمر هكذا أمام الكل.

في أثناء صعود الدرج، مررت ببعض الطلاب المتجمعين خارج الفصول.
قبل أن أصل إلى الثالث «ج»، توقفت.

ماذا لو أن فهد هو من أرسل البريد؟ شعرت بالغباء لأنني لم أفكر بذلك
من قبل. إنه المستفيد الأكبر من هذه الحيلة. بعد اتهامي له بالأمس، لا بد أنه
أرسل البريد ليصرف الأنظار عنه.

«سيستهدفوك كما استهدفوا وليد» أليس هذا ما قاله مجهول؟ «هذا ما
قتله. ظن أنهم سيواجهونه كالرجال»

دخلت الفصل، فتوجهت أنظار المعلم والطلاب نحوي. مقعد فهد
فارغ. تابعتني عين دحي حتى جلست.

قال إيهاب بمجرد أن جلست خلفه: «كلام فارغ. تفحيط؟ هل هم
جادون؟»

سألت وعيناي على مكتبه: «هل رأيت فهد؟»

«في الحمام، يأخذ...»

أشار إيهاب بحركة غريبة بثلاثة أصابع.

«ماذا؟»

«يحقن نفسه»

ثم كرر الإشارة، فانقبضت جبهتي.

ضحك إيهاب: «ليس مخدرات يا رجل. إنه مصاب بالسكري»

هز كتفيه، غير مبالي بما حدث للتو، وأضاف: «لكن ربما مخدرات أيضًا...

من يدري».

صفق المعلم بيديه وهو يقف، جاذبًا انتباه الفصل. انخفض الهمس قليلًا.

ثم بنقرة أعلى على الطاولة، خفت الصوت تمامًا.

قال الأستاذ سامي، وهو يحمل كوبًا ورقيًا من القهوة: «صباح الخير»

ردّ عليه بعض الطلاب بتمتمات خفيفة.

«افتحوا كتبكم»

سأل ناصر، الجالس في الزاوية المقابلة لي: «سندرس اليوم يا أستاذ

سامي؟»

أجابه بجفاف: «ذلك واضح». ثم محا التاريخ في زاوية السبورة واستبدله

بتاريخ اليوم.

قال أحدهم من الصفوف الخلفية خلف مقعد فهد الفارغ: «ولكننا لم

نستلم الجدول بعد»

سمعت حركة عند الباب، فالتفتُ فورًا.

دخل فهد، وابتسامته تشقُّ الغرفة كحدُّ السكين، وعينانا تعلقتا ببعض.

لم ترتجف يداي ولم ترمش عيناي. كنت أعلم تمامًا ما سأفعله. سأقتل

فهد.

وليد سابقاً

اندفع وليد هابطاً سلام المبنى الهيكلي إلى الشارع. التفت إلى الطريق خلفه؛ بدا البيت بعيداً رغم وضوحه من مكان وليد. لم يستطع ترك سعد هنا يخبث. رأسه يدور، وقلبه يدق في أذنيه. ثم تذكّر السائق الجالس أمام الفيلا المطلة على الحديقة، فركض من دون تردد نحوه.

الباب نصف مغلق، وضجيج التلفاز يتسرب منه.

طرق وليد بجنون وهو يصرخ. استغرق الأمر ثانية ليشرح، لكن السائق بدا مرتبكاً. أمسك وليد بيده، والرعب يملأ عينيه، يائساً. أخيراً، فهم السائق.

لم يكن وليد مستعداً لخسارة سعد. ليس الآن، ليس وهو الشيء الوحيد الجيد في حياته.

حمل السائق سعد، الذي استمر في السعال، وأدخله السيارة. صعد وليد إلى جانبه في المقعد الخلفي، يصرخ بالتوجيهات نحو السائق.

قال بصوت مرتعش بينما احمر وجه سعد والدموع تنهمر من عينيه: «لا بأس، ستكون بخير».

وصلوا أمام بيت سعد، وتوقفت السيارة بصوت صرير حاد.

«يا إلهي!»

صرخت والدة سعد بينما أخذ سعد نفسين من بخاخه، ثم انزلق على الأريكة.

«بماذا كنت تفكر؟!»

بدت كلماتها كاتهام موجه إلى وليد.

تمم وليد، بصوت مرتعش: «آسف يا خالتي»

رفعه والد سعد بلطف إلى الأريكة.

وجه سعد شاحب ومنهك. دفع يد أمه بتعب، وفتح عينيه، ونظر إلى

وليد بنظرة كأنها تقول: «أرأيت ما أعنيه؟ أرأيت كيف يعاملونني؟»

تمم سعد: «أنا بخير»

قال والده: «سعد. لا يمكنك فعل ذلك بنا يا بني»

تنهدت أمه بضيق، والدموع تترقرق في عينيها.

أخذت نفساً عميقاً، ثم قالت: «انتهى الأمر. سنقفل باب غرفتك ليلاً

من الآن فصاعداً»

صرخ سعد ووالده في آن واحد: «ماذا؟»

توسل سعد، ووجهه الأحمر يتشنج وهو يكافح ليتنفس: «أمي، لا!»

استغرب وليد. توقع منهم أن يلوموه، أن يتهموه بأنه السبب خلف ما

حدث، لكن تركيزهم انصب بالكامل على سعد، وكأن تركه يغيب عن

أنظارهم قد يكلفه حياته.

توسل سعد: «أبي، أرجوك»

هدأه والده، مربتاً على كتفه: «ششش، ششش. استرخ فقط»

بعد فترة، بينما هدأ الأمر، انسحب وليد بهدوء نحو الباب. شك أن أحداً

سيلاحظ مغادرته، لكن والد سعد ناداه.

«إلى أين؟»

أجاب وليد، يده على مقبض الباب المعدني البارد: «إلى البيت»
«دعني أوصلك»

وقف والد سعد بالفعل، ووضع يده بلطف على كتف وليد، وقاده نحو الباب.

قال وليد: «عمي، أنا آسف»

«على ماذا؟»

قال والد سعد وهو يقوده نحو الكراج: «حتى لو لم تكن معه، لفعل الأمر نفسه»

تردد وليد وهو يفتح باب السيارة: «مثل الهروب؟»
«أجل»

ضحك والد سعد وهو يركب خلف المقود، وقال: «حاولت إيقافه أكثر من مرة. دائمًا يجد طريقًا آخر. أنا متأكد أنه هو من أقنعتك»
أثناء القيادة في شوارع الحي، تابع والد سعد: «إلى أين ذهبتם؟ إلى البقالة؟»

كذب وليد بصوت مرتجف: «ل...لا، تمسينا في الشارع فقط»
نظر إليه والد سعد نظرة يعرف معناها. فاعترف وليد أخيرًا، بتردد:
«ذهبنا إلى الحديقة»

«ثم؟»

«تسلقنا البوابة، وأعتقد أنه تعب بسبب ذلك»

«ثم؟»

«ل... لا أعلم. بدأ نختنق، ولم أعرف ماذا أفعل. لم أستطع العودة إلى البيت لإحضار بخاخه، فتحدثت مع السائق في الخارج، وساعدنا»
ابتسم والد سعد، وقد بدا عليه الرضا، وقال: «تصرفت بذكاء. تحركت بسرعة لإنقاذ صديقك»

«نـ... نعم، أعتقد ذلك»

استرخى وليد قليلاً، حتى أنه تمكن من رسم ابتسامة صغيرة.
على الرغم من الاتجاهات التي أعطاهها وليد، اتجاهات خاطئة تؤدي إلى
منزل عمه، فقد قاد والد سعد ببطء، وهو يتحدث على طول الطريق. سأل
عن وضع وليد الدراسي، مما فاجأ وليد. لم يفكر في هذا الأمر مؤخراً. عمره
ست سنوات، لذا ربما من المفترض أن يلتحق بالمدرسة. هل هو مسجل
أصلاً؟

اعترف وليد: «لست متأكداً»

في تلك الليلة، طلب والد سعد عنوان وليد الحقيقي، متجاوزاً أكاذيبه.
في الأسبوع التالي، أخبر سعد وليد بحماس أنها سيذهبان إلى المدرسة معاً.

صحتُ باتجاه المطبخ الذي تفوح منه رائحة الكبسة: «لا تحسبوا حسابي!»،
وركضتُ صاعدًا إلى غرفتي، موَّصِدًا الباب بكومة من الكتب المدرسية.
فتحتُ إنستجرام وراسلتُ (المجهول)، جالسًا على الأريكة. عكست
شاشة التلفاز السوداء صورتني، جالسًا إلى اليسار قليلًا. في مكان وليد.
قفزت بذهني ذكرى تلك الليلة الباردة، لكن بدلًا من رؤية وليد يجتصر
داخل السيارة، رأيتُ فهذا، فانقبضت معدتي.

المجهول: مرحبًا مجددًا يا سعد

سعد: أريد أن أفعلها

سعد: أريد قتل فهد

المجهول: ما الذي غيَّر رأيك؟

سعد: وهل هذا مهم؟

المجهول: نعم، مهم، لأننا إن بدأنا وغيَّرت رأيك في منتصف الطريق،

فستواجهنا مشكلة

سعد: أخبرني المدير أنه تلقى بريدًا إلكترونيًا من والدي بخصوص

حادثتنا

المجهول: أهذا ما حدث...

سعد: فهد هو من أرسل البريد الإلكتروني، وليس والدي

المجهول: بالطبع. هذا هو أسلوب فهد. حتى بعد موت ولید، لم یستطع
تمالك نفسه عن زیادة الطین بلة وتشویه سمعته

المجهول: لقد جعلتَ على نفسك هدفاً یوم أعلنتَ أنك صديق ولید

المجهول: والآن لن یركك وشأنك

اقشعرّ بدني. شعرتُ وكأنني أختنق، أنفاسي غیر منتظمة. ألقىتُ نظرة
على انعكاسي على شاشة التلفاز المعتمة، مشوّهاً، محطّماً، كشخصٍ بالكاد
أتعرفُ علیه. أشحتُ بوجهي بعيداً بسرعة.

سعد: إذن كيف سیحدث الأمر؟ كيف سنقتله؟

المجهول: سوف نسّمه

حبستُ أنفاسي، محاولاً تهدئة روعي. قرأتها مراراً وتكراراً. تجسّدت
كلمة «سُم» في عقلي، ثقيلة وغريبة، كحجرٍ ألقى في الماء، مُحداثاً تموجات
تشوّه كل شيء.

المجهول: ما زلت هنا؟

سعد: أجل، أجل. هل يمكنك أن توضح أكثر؟

المجهول: فهد لا یشتري طعاماً من المقصف، بل یشتري غداءه من
الخارج كل یوم. كل ما عليك فعله هو وضع السم في حلیبه

حليب؟ أیحضر حليباً معه إلى المدرسة؟

سعد: وهل ستعطيني أنت ذلك السم؟

المجهول: لا. ستشتریه بنفسك

سعد: كيف؟

المجهول: أتعرف صیدلية الزهور؟

سعد: أجل؟

المجهول: توجد واحدة بالقرب من سوبرماركت الجمعة في حي قرطبة.
اذهب واطلب منهم قطرة العين (فیراسین)

سعد: قطرة عين؟

المجهول: فقط تأكد من الذهاب إلى تلك الصيدلية تحديداً. إنها الوحيدة

التي تباع النوع السام

سعد: قطرة عين؟ كيف ستكون سامة؟

المجهول: هي كذلك حين تؤخذ فمويًا

سعد: كيف سأضعها في حليبه؟

المجهول: تعال باكرًا. فهد دائماً ما يأتي باكرًا أيضًا، لذا كل ما عليك فعله

هو انتظاره حتى يضع أغراضه في درج طاولته. حينها يمكنك فعلها... لن

يراك أحد

سعد: كيف يعمل السم؟ هل يموت بسرعة؟

المجهول: سيختنق، ثم يصاب بنوبة قلبية. إذا كانت الجرعة عالية،

سيموت قبل وصوله إلى المستشفى

ارتجفت يداي وأنا أقرأ رسالة (المجهول). ومض وجه فهد في ذهني،

وللحظة عابرة، شعرتُ بوخزة من التردد. لكن تسَلَّل صوت وليد بعدها

هامسًا عبر شقوق ذاكرتي، حاثًا إياي على المضي قدمًا. لعلّ فهدًا يظنني جبانًا

لن يفعل شيئًا للرد عليه... لعلّ هذه نقطة قوتي الآن.

سعد: هل سيتعذَّب؟

المجهول: لن أكذب عليك، أجل. سيكون موتًا بطيئًا

سعد: جيد

أتيتُ باكراً اليوم، تماماً كما أمرني «المجهول»، مترقباً ظهور فهد. قال «المجهول» إن فهداً سيصل قبل السادسة صباحاً. أيّاً يكن هذا «المجهول»، فيبدو أنه يعرف الكثير عن فهد، مما منحني ثقة أكبر للمضي قدماً في الخطوة. ربّْتُ على جيبِي مجدداً، مستشعراً شكل قارورة الماء الصغيرة المليئة بسائل قطرة العين الشفاف الذي اشتريته الليلة الماضية. قلتُ لنفسي: أستطيع فعل هذا. للمرة الأولى في حياتي، صدّقتُ ذلك. ثمة شعور مختلف اليوم. جسدي متوتر، ليس بسبب القلق كالعادة، بل ترقباً.

سمعتُ وقع خطواتٍ خافتة خارج الفصل، وانفتح الباب على مصراعيه. ارتسمت نظرة مفاجأة على وجه فهد وتوقف عند المدخل، ثم دخل كما لو أنني لستُ موجوداً. نقرت قدمي تحت الطاولة وأنا أحدّق مباشرة من خلاله. من بعيد، أمكنني رؤية الهالات تحت عيني فهد، وهي علامات إرهاق واضحة.

حشر فهد كتبه في درجه مع كيس بلاستيكي أصفر يحتوي على طعامه وقارورة حليب. سحب حقيبة زرقاء صغيرة - شيء عرفته من مقتنيات عمي مريض السكري - ووضعها في درجه، ثم اتجه إلى الباب. دفعه ليفتحه لكنه لم يتحرك، كما لو أنه يتأمل في شيء ما. ثم استدار، فاتحاً فمه بتردد. سأل فهد: «أستبقى هنا؟»

دمستُ يديَّ تحت الطاولة الباردة وأخذتُ نفسًا وقلت: «أجل»،
وخرجت بصوت واثق أكثر مما توقعت، ثم أضفت: «الديك مشكلة في ذلك؟»

استدار فهد مجددًا، ودفع الباب ليفتحه على نطاق أوسع، ثم خرج.
أسرعتُ إلى الباب، منصتًا لخطوات فهد وهي تتلاشى.

الآن! فتحتُ الكيس الأصفر، وسحبتُ قارورة الحليب، وأدرتُ الغطاء
وفتحته بنقرة خفيفة. وضعتُ القارورة على طاولة فهد، فتحتُ قارورة فطرة
العين، وشربتُ القليل من الحليب بسرعة، متقززا من طعمه الذي أكرهه،
قبل أن أصب السائل فيه. أغلقتُ قارورة الحليب، ورججتها جيدًا.

هناك أصوات في الخارج. أحدهم قادم
أعدتُ كل شيء إلى مكانه بسرعة واتجهتُ إلى الباب، دافعًا إياه لأجد
فهدًا أمامي مباشرة.

سأل فهد بتردد: «هل أخبرت المدير؟»
تجمدتُ في مكاني، مأخوذاً على حين غرة وسألته: «أخبره بماذا؟»
همس فهد بنبرة حادة رغم خلو الرواق: «بشأن اتهامك»
«أتقصد بشأن تخطيطك لقتل وليد وشروعك في قتلي؟»
قهقه فهد ساخرًا: «ما ال...، أنت مجنون مثله تمامًا»
تمالكتُ نفسي، وتجري في عقلي فكرة السم يمتزج بالحليب.
ثم قال فهد: «لن أطيل هذا الأمر أكثر من اللازم؛ عليك أن تكف عن
الحديث عني تمامًا. لا أريد أي علاقة بك أو به. مفهوم؟»

صمتُ للحظة، محدقًا في عيني مباشرة، ثم استدار ليغادر باتجاه الدرج.
ناديته من خلفه: «لم لا تنطق باسمه؟»
هز فهد رأسه وأطلق ضحكة مريرة.

قلتُ: «أنت قتلتَه. فعلتَ ما أردتَ فعله، فلمَ لا تكونَ شجاعاً وتنطقَ باسمه؟»

صرخ فهد مقترباً مني: «أنا لم أقتله، هل جنت؟»
لم أصدقه، وحتى لو صدقته، فكيف يمكن لفهد أن يبرر دهسي بالسيارة؟
لا يهم الآن.

قلتُ وقد ارتسمت على جانب فمي ابتسامة: «أجل، بالتأكيد. إنه خطأ وليد. كان عليه فقط ألا يفحط في الحلاء، أليس كذلك؟».

همس فهد، ملقياً نظرة حوله: «أخفض صوتك! لم يكن من المفترض أن يكون وليد هناك في تلك الليلة. أنا لم أدعه. لم أعرف أنه تعرض للحادث حتى اهتمتني أنت، مفهوم؟! هل هذا يكفيك؟ أم أنك تريد تدمير حياتي تماماً كما حاول صديقك قبلك!؟»

توقف، متداركاً نفسه كما لو أدرك أنه قال أكثر من اللازم.

وليد أراد تدمير حياته؟ هل كان يشير إلى الشجار؟ ما كان وليد ليفعل ذلك من فراغ. لقد كان يدافع عن نفسه فحسب.

«لا تجعلني أسمع اسمي في لسانك مرة أخرى يا سعد» ثم أضاف يائساً:
«أرجوك...»

لمست يدي الطاولة، طاولة فهد، وأنا أحدى في المقابل بفهد الواقف عند الباب. إن سار اليوم كما هو مخطط له، فسأحقق له أمنيته.
لأن تلك الأمنية ستكون الأخيرة له.

حلّ اليوم الأول في المدرسة الابتدائية، ذلك اليوم الذي لطالما تطلّع إليه وليد منذ أن ذهب هو وسعد مع والد سعد لتسجيلهما. في ذلك اليوم، حين قاما بجولة، وقف وليد مذهولاً من ضخامة هذه المدرسة. لم تضم ملعب كرة قدم يبلغ ضعف حجم الملعب الموجود في الحديقة القريبة من منزل سعد فحسب، بل ضم أيضاً مسبحاً بمبنى كامل له، أكبر من أي مسبح رآه في الاستراحات التي استضافت تجمعاتهم العائلية قبل أن يتحول العم منصور إلى التخميم.

اختار سعد مقعديهما: الصف الثاني على يمين الفصل. طاولتان متلاصقتان، وأخذ وليد تلك المجاورة للجدار. صمت مطبق في الفصل بأكمله، تملأه وجوه متوترة من عالم لم يتم إليه وليد قط. أطفال ما كان ليخالطهم لولا إقناع والد سعد لأبيه بتسجيله في هذه المدرسة.

أول صوت كسر صمت الفصل المربك جاء من طفل في الخلف يتحبب. التفتت الرؤوس، وانطلقت بضع ضحكات مكتومة من الصف الأخير خلف وليد وسعد. غطى الطفل الباكي وجهه، وزاد نحيبه.

وكز سعد وليداً، ونظرته المتوترة تعكس جو الزحام. لم يعتد سعد على هذا أيضاً، وثمة شيء أخبر وليد أن الطفل في الخلف كان يمكن أن يكون سعداً لو لم يكن وليد معه.

صاح طفل في الخلف ساخرًا: «يا بكاء! أتريد ماما؟» ثم ضحك.

همس سعد: «ما خطبه؟»

وقف المتنمر، طويلًا ممتليء الجسم، مبتسمًا بأسنان تبدو وكأنها تتقاتل على مكانها. سار نحو الطفل الباكي، مستمتعًا بالاهتمام بشكل واضح. طريقته في التحرك، والمظهر، والتصرف، ذكَّرت وليدًا بابن عمه حسن، الذي أبكاه ذات مرة خلال مباراة كرة قدم مع غرباء في الحديقة.

نعت المتنمر الطفل الباكي بأنه «وجه الطماطم» وحاول رفع رأسه حين دفعه الطفل بين ذراعيه. دفع الطفل المتنمر بعيدًا، لكن محاولاته بدت واهنة. ضحك عدد قليل من الطلاب، بينما ظل البقية صامتين. بدأ قلب وليد يتخفق بقوة حين نهض، ووجهه متشنج من الغضب.

صاح عبر الفصل: «يا دب! لست مضحكًا!»

توقف الصخب. تحول كل الانتباه إلى وليد.

التوى وجه المتنمر غضبًا وهو يقترب وقال: «ماذا قلت؟». ارتجفت يدا وليد، وشعر بخدر في قدميه، لكنه لم يكن وحده، بل سعد معه.

«توقف!»

وقف المتنمر الآن أمامه، لا يفصلهما سوى سعد.

«وماذا ستفعل إن لم أتوقف؟»

تلثم سعد، وقال بصوت مرتعش: «مهلاً، لم يقصد أي شيء، هو فقط...»

أمسك المتنمر قميص سعد، شاذًا إياه من طاولته، وألقاه جانبًا ليصل إلى وليد.

صاح المعلم الواقف عند الباب: «هيه!» نهض سعد بسرعة، والدموع تترقرق في عينيه.

اقترب المعلم، هازأ يده في إحباط: «ما الذي يحدث هنا؟!» صمت.

وجَّه سؤاله للمتنمر: «ما المشكلة؟»

«لا شيء»، نحن نلعب فقط»

«عودوا إلى أماكنكم! سأعود بعد لحظات»

غادر المعلم وعاد بعد لحظات، وجلس متنهّداً. لاحظ الطفل الباقي في الخلف وتحرك ليواسيه. ثم رحب بالطلاب وطلب منهم التعريف بأنفسهم، بدءاً من اليمين إلى اليسار.

قال المتنمر بابتسامة مستفزة: «جمال علي»

في تلك اللحظة، ورغم التوتر في جسد وليد، لم يستطع تمالك نفسه عن الضحك الخافت. نظر إليه سعد، مرتبكاً، ثم أدرك تمامًا ما يدور في ذهنه. جمال. اسمه جمال. وبدأ كل شيء إلا جميلاً. وكان والديه أطلقا عليه الاسم من باب السخرية.

تحولت ضحكات وليد الخافتة إلى ضحك عالٍ وهو يدفن وجهه في ذراعيه لكتم الصوت.

سأل المعلم مبتسماً: «ما المضحك؟» رفع وليد رأسه، ليرى وجه سعد محمراً وهو يكافح لكبح ضحكته أيضاً.

قال وليد: «لا شيء»، مع أن الكلمة انتهت بضحكة خافتة. سحب سعد بخاخ الربو الخاص به وضغطه في فمه.

صاح جمال من الخلف: «يا ولد، ما المضحك؟»، ومن الواضح أنها ليست المرة الأولى التي يشير فيها أحدهم إلى هذا التناقض.

قال المعلم، مستعيداً السيطرة: «حسناً، فلنبدأ الآن». عرّف بنفسه وبدأ يتحدث عن كيف أن هذه هي بداية مستقبلهم وكم ستكون المدرسة ممتعة. عندما غادر المعلم بعد أن قرع الجرس، اقترب جمال من طاولتيهما، منتصباً فوقهما بوجه غاضب.

«هل ستخبرني ما المضحك؟»

تبادل وليد وسعد نظرة. سحب سعد بخاخه، فانتشله جمال منه على الفور. راقب الجميع في صمت.

صاح وليد: «أعده!» ثم نهض. مهبطاً حدث هنا، فهو ليس وحده. سعد معه. يمكنهما معاً التعامل مع هذا.

«والا ماذا أيها الصغير؟»

قال وليد بهدوء: «ابتعد عن الطريق يا سعد»

توسّل سعد مادّاً يده: «أرجوك، لا تريد أن نسبب أي مشكلة»

«إذن أخبرني ما المضحك»

دفع وليد سعداً الذي تنحى جانباً على مضض.

قال وليد بحزم، مواجهها جمالاً وجهها لوجه: «اسمك. اسمك مضحك!»

وفي لمح البصر، أمسك جمال بوليد من يافته ودفعه على الطاولة. حاول وليد استعادة توازنه وقد آله ظهره. اندفع مرة أخرى، ليجد نفسه على الأرض وركبة جمال تضغط على صدره.

قال جمال وأنفاسه حارة ثقيلة: «وماذا الآن، أيها الوغد الصغير؟» نظر وليد إلى سعد، الذي عكست ملامحه المتجمدة عجزاً تاماً. رفع جمال ركبته عن صدر وليد وبصق عليه قبل أن يسير بهدوء إلى سلة المهملات ليرمي البخاخ فيها.

وليد سابقا

لبقية اليوم، لم ينطق سعد بكلمة، فيما ظل وجهه لا يفارق ذهن وليد؛ كم بدا جبانًا. اثنان ضد واحد، أو هكذا على الأقل كان يفترض بهما أن يكونا. دافع وليد عنه، بينما تركه سعد يتعرض للإذلال دون أن يحرك ساكنًا. تمامًا مثل رامي.

طارده الأمر، خاصة عندما حاول أخذ قيلولة في صمت شقة عائلته الخائقة. وجه سعد، متجمدًا من الصدمة بينما ركبة جمال تنزع الهواء من رثييه. وجه سعد. عدم فعله شيئًا.

لكن ماذا عساه أن يفعل؟ إن بدأ بكره سعد، فمن سيتبقى له؟ كره عقله أكثر. عقله الذي يتشبث بأضعف لحظات سعد، متجاهلاً كل الأشياء الجيدة.

الأشياء الجيدة؟

نعم، الأشياء الجيدة. كل يوم يضحكان حتى تؤلمهما معدتاها وهما يلعبان البلايستيشن، أو يشاهدان الأفلام، أو يتناولان العشاء مع عائلة سعد. عائلة سعد أيضًا، لم يستطع نسيان ذلك. لا سعد، ولا والديه، ولا كل ما فعلوه من أجله. مثل كيف اشترت له والدته سعد الملابس، تمامًا كما تفعل مع سعد. وكيف توقفت عن وضع المايونيز في شطيرة البيض الخاصة به بعد أن رآته يتقرز من القضم الأولى. أو كيف أن والد سعد دائمًا ما يعطيه نقودًا كلما أعطى سعدًا بعضًا منها، وكيف أخذهما في جولات بالسيارة ووعد بتعليمهما كليهما القيادة. وكيف وثق به والد سعد ليعتني به عند الحاجة.

لم يستطع أن يدع هذا الأمر يفسد كل شيء. مهما شعر بالخذلان، أجبر
الفكرة على التراجع. بعيدًا جدًا. مع الذكريات الضبابية لما حدث خلال
رحلة التخيم تلك.

ترك الباب مفتوحًا، كالعادة. دخل، مازًا بالفناء، والحديقة، وإلى المنزل،
حيث سمع صوت برنامج والدته سعد التلفزيوني المفضل.
قالت، واطعة كوب الشاي على الطاولة ومائلة قليلاً على الأريكة لتقابل
نظرته: «أهلاً، مرحباً بك يا وليد!»

«أهلاً يا خالة. هل سعد مستيقظ؟»

«أجل، إنه يلعب في غرفته»

ابتعد خطوة.

رفعت إصبعًا، ثم ربت على الأريكة بجانبها ليجلس: «انتظر يا حبيبي»
ثم سألت مبتسمة: «كيف سار الأمر؟»

جلس على حافة الأريكة، مرتبكًا: «كيف سار ماذا؟»

«اليوم الأول في المدرسة»

«أوه! أجل، أجل. كان ممتعًا»

«هل أنت متأكد؟ لم يقل سعد أي شيء عندما سألته، ولم يرغب في تناول
الغداء»

«ربما هو متعب فقط لأن...»

ثم تلثم بحثًا عن عذر وأضاف محاولاً أن يبدو واثقًا: «لأنه كان يومًا
متعبًا»

«هل أنت متأكد؟»

قال، مصطنعًا ابتسامة: «نعم، نعم يا خالة». تنهدت لكنها عادت لترسم
تعبيرها اللطيفة مرة أخرى.

أشارت نحو الدرج وقالت: «يمكنك الذهاب الآن؛ وأرجوك أخبر سعدًا أنه بحاجة لتناول الطعام!»

لم يطرق الباب، بل دخل مباشرة. غرفة نوم سعد الكبيرة مرتبة كمعادنها، باستثناء السرير، التلفاز أمام الأريكة مطفأ. أين سعد؟

بالحمام؟ انتظر على الأريكة قليلًا، لكنه عندما لم يسمع أي شيء، بدأ القلق يتسرب إليه. طرق باب الحمام وتوقف مناديًا باسمه. لم يسمع صوتًا. حاول فتح الباب، لكنه موصد.

«سعد، أنت هناك؟»

لا إجابة.

«افتح، أرجوك»

بدأ قلبه يتسارع، متذكرًا كل مشكلة صحية سمع والديه يتحدثان عنها بشكل غامض. فكر في الليلة التي كاد فيها سعد أن يموت لأنه لم يكن معه بخاخه. جالت عيناه في الغرفة حتى استقرتا على المنضدة بجانب السرير. بخاخ سعد هناك. وخلفه علبة دواء ملقاة مقلوبة على جانبها.

تجمد. تتبع نظره المسار من العلبة إلى الأرضية الرخامية البيضاء، حيث تناثرت بضع حبات دواء. حدّق، مرتبكًا، قبل أن تصرخ كل خلية في كيانه بأن ثمة خطبًا ما.

«سعد! افتح الباب!»

وليد سابقا

أخذ وليد يطرق بكلتا قبضتيه حتى شعر بهما تخدران: «سعد! افتح الباب!»

نصرف بسرعة. هذا ما أثنى عليه أبو سعد من قبل. إنه يستطيع التصرف بسرعة! تراجع بضع خطوات واندفع نحو الباب.
«سعد!»

أنت والددة سعد راکضة: «ما الذي يحدث؟»

نادت وهي تقترب: «سعد!»

انفتح الباب بطفة خفيفة، كاشفاً عن وجه سعد المنهك.

«كنت أقضي حاجتي يا أمي»

لم يكن كذلك. لاحظ وليد يدي سعد الجافتين.

إنه... يختبئ؟ من من؟ مني؟

تنهدت والددة سعد، وعيناها الدامعتان تتفحصانه قبل أن تعانقه. فشل في دفعها بعيداً.

تركته، مربته بابتسامة على كتف وليد الذي غطى الحبوب على الأرض بجسده حاجباً أم سعد عن رؤيتها. استدارت قبل أن تغادر وقالت بصوت حازم: «سأحضر لكم الغداء، وستأكل هذه المرة! مفهوم؟»

أوما سعد برأسه للباب وهو يغلق.

«ما خطبك؟ هل كنت تحاول الاختباء مني؟»

تمتم سعد، سائرًا إلى الأريكة وجالسًا في خمول وهو يشغل البلايستيشن:
«لم أكن أفعل شيئًا»

سأل وليد، مقتربًا أكثر: «لم علبة الدواء ملقاة على الأرض؟»
أمسك سعد بذراع التحكم وبدأ يضغط على الأزرار مع ظهور شاشة
التحميل.

ناداه وليد مجددًا: «سعد!»

أجاب بضعف: «لا أحταجه. إنه للحساسية»

لم يعرف وليد ما يعنيه ذلك، لكنه أدرك كم يبدو سعد فارغًا. بالكاد
يتكلم، ولم ينظر في عينيه قط، وحتى وهما يلعبان البلايستيشن، بدا شاردًا.
عندما قُدم الغداء، اكتفى سعد بتحريك المعكرونة بملعقته.

قال وليد بعد ابتلاع بعض الطعام: «اسمع. إذا كان هذا بسبب جمال،
أعدك أنني لن أسمح له بأن يفعل لك أي شيء».

ابتسم سعد بضعف وقال: «ماذا؟»

رفع سعد نظره أخيرًا، وعيناه دامعتان وهو يحدق في صمت. ثم هبطت
نظرته إلى طبقه مرة أخرى.

«لا تكن هكذا»

صاح سعد، وصوته مرتعش وكأنه على وشك البكاء: «ماذا تريدني أن
أقول؟! «أنا جبان! لم أستطع الدفاع عن نفسي أو عنك» أهذا ما تريد سماعه؟»
أرخى وليد قبضته على ذراع التحكم، فقال سعد، مغطيًا وجهه، ومختنقًا
بدموعه: «أنا آسف حقًا»

اقترب وليد على الأريكة، واضعًا يده على كتف سعد: «كفى يا صديقي،
لا بأس. الأمر ليس كبيرًا كما تتصور»

«ليس أمرًا كبيرًا؟ أنت مثل أخي، ولم أستطع فعل أي شيء لإيقاف ذلك»

شهق سعد، كاشفاً عن عَيْنَيْنِ حمراوَيْنِ، ثم قال: «بل كنتُ أنا السبب في مهاجمته لك»

ردَّ وليد بحزم: «لستَ السبب! أعرف فتياناً مثله، وأعدك أنه كان سيفعل الشيء نفسه حتى لو لم تكن موجوداً!»

شهق سعد، وعيناه تلتقيان بعيني وليد: «أبناء عمك؟»
«أ... أجل... أبناء عمي. كلاهما عاملني دائماً أسوأ معاملة لأن... لا أعرف... ربما لأنني أصغر منهما»

سأل سعد، وقد هدأ صوته: «وهل كنت خائفاً منهما؟»
أدرك وليد أن سعداً يحاول أن يفهم ما إذا كان قد تجمد مثله في وقت سابق من ذلك اليوم.

كذب وليد قائلاً: «لكنهما لم يفعلا ذلك كثيراً»
«أراهن أنك ورامي أخفتاهما»

ثم ضحك سعد ضحكة خافتة وتابع: «أتمنى لو أن لي أخاً مثله»
شعر وليد وكأنها صفة على وجهه. كيف يفترض سعد أن رامي كان ليفعل أي شيء لمساعدته بدلاً من الخضوع لحسن. حتى ذلك اليوم في المسبح عندما كاد حسن أن يغرق وليد على سبيل المزاح، لم يسأله رامي عندما أخبر والدهما؛ والأسوأ من ذلك، عندما عادا إلى المنزل، طلب رامي منه أن يلعبا البلايستيشن وكأن شيئاً لم يحدث.

كره رامي بقدر ما أحبه، وحاول جاهداً ألا يشعر بهذا الشعور تجاه سعد.

قال وليد، شاعراً بغضب يتصاعد في داخله: «رامي لم يساعدني قط. لم يفعل أي شيء لإيقاف ذلك. وأبي ومحمد أيضاً. لم يساعدني أي منهم، ولا مرة واحدة». ثم اشتدت قبضته وقال: «أنا من دافعت عن نفسي عندما هاجماني نواف وحسن. لم أقبل الأمر ببساطة»

بدا سعد مركزاً الآن.

«وعندما ألقى حسن الفانوس عليّ وطردي من الخيمة في تلك الليلة، لم أتقبل الأمر، بل...»

توقف فجأة، وعيناه متسعتان. فقال سعد مضيقاً عينيه: «حسن ونواف. الولدان اللذان ماتا في الحريق؟ مع أخيك؟»
أوماً وليد، شاعراً بثقل مفاجئ يزاح عن صدره. ثم، في لحظة الإدراك تلك، توقف، مذهولاً.

«لا يمكنك إخبار أي شخص يا سعد. أرجوك»

صمت سعد، محققاً به. مع كل ثانية تمر، شعر وليد بخدر يتسلق من قدميه إلى صدره.

ماذا فعلت؟

لا.

لا، لا، لا!

صديقه. والداه الجديدان. حياته الجديدة. سيفقد كل شيء.

توسل وليد مرة أخرى، ويداه ترتجفان بين ركبتيه: «أرجوك»

كسر سعد الصمت أخيراً، والفضول واضح في صوته: «كيف فعلتها؟»

أشاح وليد بوجهه، لكن سعداً وضع يده برفق على كتفه.

قال سعد بهدوء: «يمكنك أن تخبرني». تردد وليد، شاعراً وكأنه يطفو.

وقال في نفسه: (قد يدمر هذا حياتي). ثم تذكر الشعور البغيض الذي يتنبه

كلما رأى عيني أمه الشاحبتين. كلما رفض والده النظر إليه. كلما مرّ بجانب

غرفة رامي وشعر بسكين حاد في قلبه.

إنه يحتاج إخراج هذا من صدره.

قال وليد بصوت مرتعش: «لا أتذكر جيداً. تلك الليلة ضبابية جداً. أتذكر ثلاثة أشكال في الظلال، والمصباح يضيء ظهورهم. عرفتُ أنها حسن ونواف». ثم نظر إلى يديه.

«ورامي؟»

«أجل. قال حسن شيئاً عن أن الجميع نيام وأنهم الآن يستطيعون تلقيني درماً. أتذكر أنني شعرت بالدوار، منادياً رامي للمساعدة»
«هل ساعدك؟»

هز وليد رأسه وقال: «حذراني من أنني إذا أخبرت أي شخص، فسيجعلون الرحلة بأكملها جحيماً بالنسبة لي، ولكنني أتذكر مغادرة الخيمة ليلاً»

انحنى أقرب إلى سعد ثم واصل: «وآخر ما أذكره من ذلك الصباح هو أنني نائم في المقعد الخلفي لسيارتنا وهي تسير. كانت هناك رائحة وقود في ملابسي».

سأل سعد بفضول: «ألهذا السبب غادرت الخيمة؟»

فوجئ وليد لحظة وقال: «لا أعرف. أعتقد أنني كنت غاضباً، ولكنني كنت خائفاً أيضاً من البقاء حولهم. لا أعرف ما إذا ... ما إذا كنت أرغب في الانتقام منهم بهذه الطريقة، أتعرف؟ لم أرغب في إيذاء رامي أيضاً. لقد كان فظيلاً في بعض الأحيان، لكنه أخي»

صمت، ثم توسل: «سعد، عدني أنك لن تخبر أي شخص بهذا. أرجوك يا سعد!»

هز سعد رأسه وقال: «أعدك»

لكن سعد ظل يشيح بنظره. كاد وليد أن يسمع أفكاره. مع كل ثانية تمر، شعر وليد بأنه ارتكب خطأ بمشاركته هذا الأمر.

الآن سيعتقد أنني شخص فظيع. الآن سيخبر والديه، ولن يسمح لي
بالدخول إلى هنا مرة أخرى.
ماذا فعلت...

تجمّع حاجبا سعد وقال: «وليد... أبناء عمك... كانوا أشخاصا فظيعين،
أليس كذلك؟»
أوما وليد.

«إذن أتمنى أنهم تعذبوا في ذلك الحريق»

بدا اليوم وكأنه اليوم الدراسي الرسمي، بما أننا حضرنا أول حصتين للتو: الرياضيات (مع الأستاذ علي، الذي هددنا بصعوبة هذا العام) واللغة العربية. عيناى على فهد طوال الوقت. مضى الآن حوالي أربعين دقيقة على بدء الحصة الثالثة، مما يعني أنه في غضون خمس دقائق سيشرّب فهد السم. قال إيهاب، ممسكًا بالجدول الدراسي الذي بسطه مازن في وقت سابق: «مهزلة! أقسم بالله إنها مهزلة!»

استدار، ليريني مكان حصة التربية البدنية: الحصة السابعة يوم الخميس. هز كتفيه، محبطًا: «هل سنلعب في الشمس مثلًا ثم نعود إلى المنزل؟»
«أتلعب كرة القدم؟»
«لا. لكن هذه مهزلة»

رفع ذراعيه، مثبتًا الورقة على طاولتي، وأضاف: «نادرًا ما نكمل الحصة السابعة كاملة».

عادت عيناى إلى فهد ودحمي. بدا أنهما في محادثة لا يريد فهد أن يكون جزءًا منها.

«أعني، في الفصل الدراسي الماضي، كانت الحصة الثالثة، وكنا نحصل على استراحتي غداء عمليًا»
امتزج صوت إيهاب بالضوضاء.

سحب فهد قارورة ماء وشطيرة بدأ يفتح غلافها. أستطيع شم رائحة البيض من هنا.

لم تكن قارورة الماء موجودة هذا الصباح، ولا أستطيع رؤية الحليب. هل شربه بالفعل؟

قال إيهاب: «توقف! أرجوك يا سعد، فقط دع الأمر وشأنه»
لقد رأني أنظر إلى فهد.

نظرت إليه، مصدومًا وقلت: «أدع ماذا وشأنه؟»
«إذا واصلت إقحام نفسك هنا، فسيؤذونك. إذا كنت تؤمن حقًا بأنهم قتلوا وليد...»

سألته وأنا أرى فهدًا ينهض، مرتبطًا على جيوبه، ثم يلقي نظرة خاطفة داخل درجه بحثًا عن شيء ما: «أأنت خائف منهم؟»
وجده؛ حقيبة زرقاء صغيرة.

أجاب بفخر: «أ... أجل. لست خائفًا من الاعتراف بذلك»
شعرت بالاشمئزاز من إيهاب، متذكرًا النظرة التي رماني بها وليد في أول يوم دراسي عندما هاجمه جمال. استحققت تلك النظرة حينها، وإيهاب يستحقها الآن.

«أهذا لأن فهدًا صفعك على وجهك؟»

صمت إيهاب، وابتسم بارتباك وقال: «كنتُ أحاول المساعدة فقط».
خرج فهد من الفصل. نهضتُ لألقي نظرة في درجه، لكنه بدا فارغًا. لا حليب في ذلك المكان.

ربما شربه بالفعل. حاولتُ أن أتذكر ما قاله (المجهول) بينما دسستُ يدي في الدرج، مستشعرًا برودة المعدن على يدي.

إنه موت بطيء، كما ذكر. سيختق، وبحلول وقت وصول سيارة الإسعاف، سيكون الأوان قد فات. هل يعني هذا أن السم في عروقه الآن، يتراكم بسبب نوبة قلبية أو شيئاً من هذا القبيل؟

هزئت رأسي، مذكراً نفسي بأن هذا لا يهم، طالما أنه سيموت.

بطبيعة الحال، وقعت عيناى على مؤخرة رأس إيهاب. رأيتُ تدريج شعره، كم هو دقيق، وكم تبدو قصة الشعر حديثة. هل يذهب إلى الحلاق كل يوم؟ تساءلتُ كم مرة راودت وليداً الفكرة نفسها.

تخيلتُ وليداً يقول: «ربما يذهب يومياً، إذ يبدو ثرياً»

تخيلتُ نفسي أجيب: «أعني، ليس كل شخص ثري يبدو حسن المظهر».

ثم ابتسمت.

«معك حق. أنت تبدو مهرج»

ثم ضحك ولید.

«وأنا جبان»

«وأنت جبان»

اختلفتُ، شاعراً بشيء يحترق في داخلي. حولتُ تفكيري من وليد إلى فهد، محاولاً تخيله يكافح ليتنفس، لكنني لم أستطع، لأنني كنتُ أنا من يكافح ليتنفس.

سأل إيهاب، ثم قفز رعباً عندما رأيته: «سعد، هل أنت بخير؟».

حاولتُ استنشاق الهواء، لكن أنفاسي بدت ضحلة. أسرع إيهاب لفتح زر ثوبي بينما بدأ الناس يراقبونا.

أعتقد...

أعتقد أنني أموت.

وليد سابقا

شعر وليد بضالته الشديدة وهو يدخل مع الصف الأول «أ» إلى ملعب كرة القدم. الإنارة مشتعلة بالكامل، والمكان محمي من الشمس، والصفوف المتراصة من الكراسي توحى وكأن هذا المكان مخصص لمباريات احترافية. نظر وليد إلى حذائه الجديد الذي اشترته له والدته سعد في الأسبوع الماضي وقالت: «هكذا أنتم متشابهان، أنت وسعد». لم يعرف ما الذي ينبغي أن يشعر به حيال ذلك. لكنه فهم لماذا تلقى أيضًا قميصًا لنادي القادسية يحمل اسم ماجد إسماعيل على ظهره. كان قد ذكر لسعد أكثر من مرة، أثناء لعبهما فيفا، أن ماجد إسماعيل هو لاعبه المفضل، وكونه من نفس المدينة جعله يشعر بفخر أكبر في تشجيعه.

قال الأستاذ عادل، واقفًا أمامهم مرتديًا الأسود بالكامل: «اصطفوا»، وقد برزت الصفارة الصفراء المتدلية من عنقه أكثر. بدا عجوزًا، حسبما رأى وليد، أكبر من أن يدرس رياضة، ومع ذلك، بدا قويًا وطويلاً.

سأل الأستاذ عادل: «من يريد أن يكون الكابتن؟»، وبالطبع، كان جمال أول من رفع يده.

أراد أن يكون كابتن، لكنه تردّد. ثمة شيء في الأستاذ عادل أثار الشك. طلب من الستة الذين تطوعوا أن يتراجعوا ويجلسوا. ضيق وليد عينيه. «الآن، من يريد أن يكون الكابتن؟»

قالها وهو يمشي أمام الصف، ومرّ بجانب وليد وسعد، تاركًا خلفه أثرًا عطريًا قويًا، فلم يرفع أحد يده هذه المرة.

فكر مجددًا في نفسه: «أريد أن أكون الكابتن»، مسترجعًا كيف أن كل مباراة كرة لعبها في الماضي بدت مختلفة تمامًا؛ وكأن كل شيء آخر في حياته يتلاشى، حتى مع أبناء عمومته أحيانًا، كانوا ينسون فارق العمر لأنه كان جيدًا في اللعب، وكانوا يستمعون لتعليقاته ليكسبوا المباراة.

قال الأستاذ عادل مبتسمًا: «لن تلعبوا إن لم يتقدم أحدكم»
همس سعد لوليد وهو يدفعه بكوعه: «ارفع يدك». تردّد وليد، وخفق قلبه بقوة، ثم رفع يده أخيرًا. وقعت نظرة الأستاذ الحادة عليه.
«تقدّم»

رفع فتى آخر يده، فأصبح الكابتن الثاني، ثم بدأ اختيار اللاعبين، بينما ظل وليد طوال الوقت مشوشًا لأن المجموعة الأولى التي رفعت يدها في البداية بقيت على مقاعد الاحتياط.

بعد أسابيع، امتلك وليد الجرأة ليسأل الأستاذ عادل عن السبب. قبل انتهاء حصّة الرياضة، عاد بالكرة، ودخل مكتب التربية البدنية بعد أن طرق الباب.

كان الأستاذ عادل يحتسي القهوة من كوب أسود، وعيناه ما تزالان على ملف أمامه، ثم أشار إلى السلة بجانب مكتبه.
أسقط وليد الكرة.

تقدّم خطوة نحو المكتب وعيناه على الرف الزجاجي خلفه المليء بالكؤوس وقال: «أستاذ عادل»
رفع الأستاذ عادل رأسه.

«كنت أود سؤالك... لماذا اخترتني كابتن؟»
«ماذا؟»

«في أول مرة، وفي كل حصّة رياضة بعدها، كنت تختارني الكابتن مع أن كثيرين كانوا يرفعون أيديهم قبلي»

«آه... حسناً»

أشار إليه أن يجلس، ثم شبك يديه وقال: «لم أختَر من المجموعة الأولى لأنهم عادةً لا يكونون جادين»

«جادين؟»

ارتشف من قهوته، وتابع: «يتطلب الأمر شجاعة لرفع يدك بعد أن ترى لاعبين تم استبعادهم لقيامهم بالشيء ذاته قبلك مباشرة»

انزلت عينا وليد خلف الأستاذ عادل نحو الرف الزجاجي. شد انتباهه شيء تحت الكؤوس. صورة يتوسطها الأستاذ عادل، وإلى جواره شخص يشبه ماجد إسماعيل.

سأل وليد بدهشة: «هل هذا ماجد إسماعيل؟»

التفت الأستاذ عادل وقال: «نعم، هو»

«هل درس في هذه المدرسة؟»

«نعم»

ابتسم الأستاذ بفخر وقال: «كان أحد طلابي»

قال وليد، وعينه على صورة ماجد إسماعيل المبتسم إلى جانب الأستاذ:

«تمزح!»

ضحك الأستاذ عادل.

خرج من المكتب ورأسه في السحاب، لا يعرف تمامًا ما الذي يشعر به...

حتى أدرك أنه شيء يشبه الأمل.

شعر بالأمل، ولم يستطع الانتظار ليخبر سعد. بل سيطلب منه أن يجهز

بخاخ الربو قبلها.

حاولت أن أتَنفَّس، لكن الهواء لم يبلغ رثتي كما ينبغي. ارتجفت يداي، وتشوش بصري.

اندفع إيهاب إلى جانبي، وركع على الأرض. قال أشياء لم أستطع فهمها على الفور. صرخ في الطلاب الذين تجمَّعوا من حولنا، فتفرَّقوا كطيور مذعورة. وفجأة، شعرت أنني أُسحب. لُفَّت ذراعاي حول كتف إيهاب وهو يحاول حملي بصعوبة.

«هل من أحد يساعد؟!»

بلغنا باب الصف، فأسرع ناصر من الزاوية، وأمسك بذراعي الأخرى ليلفها حول كتفه.

قال إيهاب ونحن نقرب من الدرج: «إنه في نوبة هلع». ثم توقف، وحدَّق في عيني مباشرة.

سأل ناصر، عابسًا: «ما الذي تفعله؟»

قال إيهاب بصرامة: «سعد. هل تستطيع أن تخبرني كم أصبغًا أرفع الآن؟»
«ما هذا؟»

تمتَّتُ بصوت واهن: «ثلاثة»

«ما اسمك؟»

سأل ناصر بدهشة: «ماذا؟»

«سعد... سعد مبارك»

«ما هو فريقك المفضل؟»

أجبت تلقائياً: «نادي القادسية»

خفَّ الثقل على صدري قليلاً. بدأ جسدي يستعيد خفته، واستطعت أن أتَنفَّس مجدداً.

قال ناصر بإعجاب: «اللجنة!»، فارتسمت ابتسامة رضا على وجه إيهاب.

سأل ناصر: «هل تستطيع المشي وحدك؟»

أومأت، رغم أن ساقَيَّ ظلَّتا مرتجفتين. انقشع ضباب الرؤية، لكنَّ شعور الانهيار ظلَّ يهدِّدني.

قال ناصر: «هيا. ما يزال علينا أن نأخذه إلى مكتب المرشد...»

«لا، أنا...»

أخذت نفساً عميقاً وقلت: «أحتاج فقط إلى دورة المياه»

نظرت خلفي نحو الصف. خرج حشد من الطلاب إلى الممر، يحدِّقون بنا بعيون ملأى بالفضول.

مد إيهاب يده وقال: «يمكنني أن أرافقك...» ولكنني دفعته، وبدأت المشي وحدي.

دوى صوت معلم بعيداً، متردداً في الطابق الأرضي للمدرسة: «ما الذي يحدث هناك؟!». استدرت لا إرادياً، ورأيت إيهاب وناصر وبعض الطلاب العابرين يقتربون من الحاجز، يحدِّقون إلى الأسفل.

تبعنا أنظارهم، واتجهت نحو السياج. ظهرت ساحة الطابق الأرضي أمام بصري، ورأيت الأستاذ يحيى، والمدير، وعددًا من المعلمين، يندفعون نحو شيء خارج مجال رؤيتي.

اندفع إيهاب وناصر نحو السلم، وترددت للحظة، أخذ شعور فظيع في التصاعد داخل معدتي. ثقلت قدماي مع كل درجة أهبطها. حين بلغت

القاع، كان حشد من المعلمين، والطلاب، والمدير، قد تجمعوا، يفلقون مدخل دورة المياه.

صرخ الأستاذ يحيى: «تراجعوا»، وقد شقَّ صوته العميق الفوضى. المدير يضغط الهاتف على أذنه، ويتحدث بعجلة.

ملاً صفير مزعج أذني وأنا واقف متجمّداً، أراقب. ضاق صدري من جديد، لكن هذه المرة لم يكن هلعاً، بل رعباً خالصاً.

خرج الأستاذ يحيى من دورة المياه، يحمل شخصاً... فهد.

وجه فهد شاحب كصفحة ورق، وأطرافه تتلألأ بلا حياة. إنه ميت.

وليد سابقا

دوى صوت سعد في الممرات: «حقًا! ماجد إسماعيل بنفسه؟ متأكد؟»
أمسك وليد بكتفه وقال: «نعم! أقسم أنه هو»
«درس في هذه المدرسة؟»
«نعم!!»

«ونادي القادسية أخذه؟»
ردَّ وليد وهما يصلان إلى الصف: «ولم لا؟ إنه أفضل لاعب عندهم الآن».

قال سعد لاحقًا، وهما جالسان في مقعديهما: «هل تتذكر حين قلت لامي
أني أريد أن أكون طيارًا عندما أكبر؟»
«نعم؟»

«وسألتك ماذا تريد أن تكون»
وضع سعد رأسه على طاولته وتابع: «وقلت إنك لا تعرف؟»
«أجل»

تثاءب وقال: «ربما هذا ما تريده؛ أن تكون مثل ماجد إسماعيل»
قال وليد، مركزًا تمامًا الآن، واكتسب شعور الأمل معناه أخيرًا.
هو؟ لاعب محترف؟ بدت الفكرة مستحيلة. لم يفكر وليد في الأمر من
قبل. ولكن الآن، هل يمكن أن يكون ذلك حقيقة؟

حطمت صرخة في مؤخرة الفصل هممة الغرفة الخافتة. ذراع جمال
ملتفة حول عنق باسل، يعصره بنظرة متعجرفة على وجهه. ساد الصمت

في الفصل. صمت مطبق، والجميع يراقب باسل يكافح من أجل استنشاق الهواء.

ألقي سعد نظرة رعب على وليد. لم يدرك وليد أنه واقف بالفعل، وجسده يتصرف بطريقة غريزية لفعل شيء ما، ولكن سعدًا جذبه عائداً إلى مقعده.

همس سعد: «لا نريد مشاكل»

توقف وليد، محققاً في وجه سعد، فرأى الخوف في عينيه. اشماز من الجبن الذي يظهره، مع أن وليداً وعد نفسه بالتغاضي عن ذلك بعد المرة الأخيرة.

سأل وليد، بنبرة متحدية: «لم لا تذهب أنت وتوقفه؟»

«ماذا؟»

«لا تقلق. لن أسمح له بأن يفعل لك أي شيء... فقط اذهب، وسأكون

خلفك مباشرة»

«لا أستطيع، أنا...»

فُتِحَ الباب على مصراعيه ودوى صوت الأستاذ فيصل صارخاً في جمال:

«يا ولد!!»

قال جمال وهو يسير إلى الباب: «كنا نلعب. اسأل أي أحد». بدأ باسل في

البكاء، ووجهه أحمر تخطيطه الدموع.

رفع سعد يده وقال: «أستاذ فيصل، إنه يكذب. لم يكونا يلعبان»

نظر الأستاذ فيصل بين جمال وباسل.

صاح باسل، وصوته يتصدع وهو يمسح دموعه: «لقد كان يخنقني»،

أطلق الأستاذ فيصل تنهيدة محبطة، متمثلاً بشيء، ثم أمر جمال وباسل أن

يتبعاه. سأل جمال: «إلى أين؟» فردَّ الأستاذ فيصل وعيناه متسعتان من

الغضب: «إلى المدير».

في وقت لاحق من ذلك اليوم، عاد جمال إلى الفصل، حاملاً كُتبه بصمت دون أن ينظر إلى أحد. انحنى وليد ليرى من خلال نافذة الباب. في الخارج، كان الأستاذ فيصل يتحدث إلى والد جمال.

فُتِحَ الباب، ودخل والد جمال قليلاً، طارقاً أصابعه لجمال كي يسرع. قال والد جمال، وجسده الضخم يسد المدخل: «أليس هناك شيء آخر عليك أن تقوله؟»

جاء صوت جمال متحدثاً: «لا»، ولكن يده والده قبضت على كتفه. استطاع وليد رؤية وجه جمال يتلوى، وعيناه تلمعان وهو يحاول كبح دموعه. لم يتدخل الأستاذ فيصل، مدركاً على الأرجح أن جمالاً نسب في معظم المشاكل خلال الأسابيع الأربعة منذ بدء الدراسة.

صاح جمال: «لن أعذره!»، ثم شق طريقه خارجاً، ووالده يتبعه بتعابير متجهمة.

زأر الأستاذ قاسم، وصوته يشق حشد الطلاب المتجمعين على الدرج:
«إلى فصولكم». وقفتُ متجمداً على الدرجة الأخيرة، والعرق يسيل على
ظهري وصدري يعلو ويهبط.

مر دحي محتكاً بكتفي، شاقاً طريقه بين الطلاب. توقف أمام الأستاذ
قاسم، وتعايره متوترة.

قال دحي، وصوته مشحون بالإلحاح: «إنه ابن عمي. أحتاج أن أراه».

الجو خائق في الفصل. صمت يلف الغرفة، لا يقطعه سوى همسات تبدو
وكأنها تحمل سكاكين.

قال إيهاب، كاسراً الصمت بنبرة خالية من التعابير بشكل غريب: «أعتقد
أنه ميت»، فسقطت كلماته كالقنبلة.

صاح مازن من مقعده، ونبرته مشوبة بالحنق: «اصمت يا كونان». نهض
عيد، مركزاً تماماً.

اتكأ ناصر على الحائط، عاقداً ذراعيه، وترسم ابتسامة مأكرة على شفتيه،
وسأل مثبتاً عينيه علي: «برأيكم من القاتل؟»

شعرت أن قلبي توقف، وتلعثمت وقد شعرت بثقل نظراته: «أنا ... أنا
لا...»

قلب ناصر عينيه وقال: «ليس أنت». ثم أضاف بصوت أكثر حدة مخاطبًا إيهاب: «كونان»

تجاهله إيهاب، مركزًا على شيء بعيد. خفضتُ بصري إلى طاولتي، متبعمًا النقوش البالية والرسومات المحيرة على سطحها. أردتُ أن أغيب في هذه الخربشات التي لا معنى لها، وأن أظاهر بأنني لستُ هنا. سأل صوت من طاولة فهد: «هل هو ميت حقًا؟» سخرَ تركي قائلاً: «لم؟ أتريد مكانه؟»

أجاب الصوت بخنوع: «لا، كنتُ أسأل فقط»

تدخل صوت آخر: «من منكم رآه؟»

اقترح زياد: «لا يمكن أن يكون ميتًا. ربما نسي أن يأكل فقط»

أضاف يوسف: «أجل، مثل العام الماضي؟»

«تمامًا. أتذكرون عندما وجدناه مغشيًا عليه في الساحة؟»

«لكنني رأيته يأكل في وقت سابق!»

«أنت القاتل؟»

رفعت رأسي والهلح يجري في عروقي وقلت: «ماذا؟». إيهاب ينظر إليّ، ولكن تعابيره صعبة التفسير.

كرر إيهاب، وصوته أهدأ هذه المرة: «قلتُ، أنت بخير؟»

رمشتُ، شاعرًا بالحرارة تتصاعد في وجهي وقلت وقد تصدع صوتي وأنا

أنظر إلى طاولتي مجددًا: «أوه. أنا آسف.. على ما قلته لك».

قال إيهاب بابتسامة باهتة: «لا داعي للاعتذار؛ وبصراحة، لقد استحققتُ

ذلك»

«لا، لم تستحق...»

قاطعني، ونبرته خفيفة لكنها مشوبة بشيء أكثر قتامة: «أتعرف لم يلقبوني

بكونان؟»

«ماذا؟»

أطلق ضحكة صغيرة، متكئاً إلى الخلف في كرسيه، وقال: «حذرنى وليد من أنهم سيستمرون في مناداتي بذلك. لم أستمع». صمت، ولانت نظراته ثم قال: «أتمنى لو كنتُ بشجاعته، أو شجاعتك»
«أنا؟»

تصدع هدوء إيهاب لجزء من الثانية، وضائقنا عيناه قليلاً وهو يتفحصني وقال: «أجل. أنت»

انقبض صدري. إيهاب صديق وليد الوحيد هنا. لعل هذا سبب كونه أول من قال إن فهذا ميت. أو لعله تمنى أن يكون ذلك حقيقة. أو -تقلصت معدتي- لعله أجبن من أن ينتقم لوليد بنفسه. لعله هو من تواصل معي كمجهول.

«أهو أنت؟»

تفوهتُ بها، وصوتي لا يكاد يعلو على الهمس.

تلاشت ابتسامة إيهاب وسأل: «ماذا؟»

«هل أنت (المجهول)؟»

تحولت تعابيرهِ فوراً. تلاشى الهدوء من وجهه، ليحل محله شيء فج ومرعب. للحظة، لم يقل شيئاً. ثم انفصلت شفتاه كما لو أنه سيقول شيئاً، لكن لم تخرج أي كلمات.

31

وليد

سابقا

تلاشى خوف سعد من استهداف جمال له. منذ ذلك اليوم، اقتصر تنمر جمال على السخرية اللفظية التي يلقيها وذراعا معقودتان، وكرسیه مائل على جدار الفصل الخلفي. ربما بسبب الإحراج الذي شعر به من تدخل والده. شعر وليد أيضا بحرج يلزمه كلما قضي وقتا أطول مع سعد في المدرسة. لم يكن متأكدا لم يشعر بذلك، مهما حاول تنحيته جانبا. ثمة أشياء جيدة -الكثير من الأشياء الجيدة- في سعد، ويحتاج أن يذكر نفسه بذلك بدلا من كل شيء آخر.

سأل سعد وهما يسيران إلى الفسحة: «ما خطبك؟»

«لا شيء»

لم يفتنع سعد.

«أغاضب مني؟»

«لا»

«إذن لم تتصرف بغرابة؟»

وصلا إلى البوابة الزجاجية التي تفتح على الساحة. صاح أحدهم، ضاحكا في مكان ما خارج نطاق الرؤية، حتى أتى طفل نحيل راكضا نحوهما.

تردد صدى صوت معلم خلفهما: «سلمان! عد إلى الساحة!»

سأل سعد: «دورك أم دوري؟»

رَبَّتْ وَلِيدَ عَلَى جِيْبِهِ وَأَشْعَةَ الشَّمْسِ تَلَامِسَ بَشَرَتِهِ: «دُورِي»

مَدَّ سَعْدَ عَشْرَةَ رِيَالَاتٍ وَقَالَ: «تَفْضِلُ»

هَذِهِ هِيَ الْعَشْرَةُ رِيَالَاتٍ الَّتِي مَرَرَهَا وَالِدُ سَعْدٍ إِلَى الْمُقْعَدِ الْخَلْفِيِّ لِيَأْخُذَهَا أَحَدُهُمَا ذَلِكَ الصَّبَاحَ. تَرَدَّدَ وَلِيدٌ، مُشِيحًا بِنَظَرِهِ وَالْأَلَمَ يَعْتَصِرُ مَعْدَتَهُ. لَمْ يَرْغَبْ حَتَّى فِي التَّفَكِيرِ فِي مَقْدَارِ الْمَالِ الَّذِي يَدْفَعُهُ وَالِدُ سَعْدٍ لِيَكُونَ فِي هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ.

أَخَذَ الْوَرَقَةَ النَّقْدِيَّةَ وَذَهَبَ إِلَى الْمُقْصِفِ الْمَزْدَحِمِ. عِنْدَمَا حَانَ دَوْرُهُ لِلشِّرَاءِ، لَمْ يَأْخُذْ سِوَى شَطِيرَةٍ جَبْنٍ وَاحِدَةٍ وَعَصِيرٍ تَفَاحٍ، مُتَجَاوِزًا الْفَلَاقِلَ الَّتِي يَطْلُبُهَا عَادَةً. لَمْ يَكُنْ جَائِعًا، مَعَ أَنَّهُ يَفْتَرِضُ بِهِ أَنَّهُ يَكُونُ كَذَلِكَ. سَلَّمَ الطَّعَامَ إِلَى سَعْدٍ عَلَى أَحَدِ مَقَاعِدِ السَّاحَةِ، مَعَ الْبَاقِي.

«مَاذَا عَنْكَ؟»

«سَأَذْهَبُ إِلَى الْحَمَامِ»

مَرَّ وَلِيدٌ بِمَبْنَى كُرَةِ الْقَدَمِ، بَعِيدًا عَنْ بَقِيَّةِ الْحَشُودِ، وَلَيْسَ فِي ذَهْنِهِ سِوَى الْمَهَاطَلَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ الْفَسْحَةُ. ثُمَّ سَمِعَ صَوْتَ مِبَارَاةٍ تُلْعَبُ، وَصِيحَاتٍ مَكْتُومَةٍ مِنَ الْأَسْتَاذِ عَادِلٍ. بِدَافِعِ الْفُضُولِ، انْحَنَى لِيَرَى مِنْ خِلَالِ نَافِذَةِ الْبَابِ، مُرَاقِبًا الْكُرَةَ تُرْكَلُ مِنْ قَبْلِ طُلَّابِ الصَّفِّ السَّادِسِ. مَطَارِدَةٌ، صَافِرَةٌ، وَشَيْءٌ يَحْدُثُ خَارِجَ نِطَاقِ رُؤْيَيْهِ أَوْقَفَ الْمِبَارَاةَ.

انْدَفَعَ إِلَى الدَّخْلِ، وَالْفُضُولُ يَجْذِبُهُ، تَمَامًا عِنْدَمَا انْحَنَى الْأَسْتَاذُ عَادِلُ عَلَى أَحَدِ اللَّاعِبِينَ. لَمْ يَدْرِكْ وَلِيدٌ أَنَّهُ فِي الْمَلْعَبِ حَتَّى اسْتَقَامَ الْأَسْتَاذُ عَادِلُ.

«هَلْ تَسْتَطِيعُ الْوُقُوفَ؟»

مَدَّ الْأَسْتَاذُ عَادِلُ يَدَهُ لَطَالِبِ الصَّفِّ السَّادِسِ، الَّذِي أَمْسَكَهَا وَيَدَأُ يَعْجِجُ نَحْوَ أَحَدِ الْكِرَاسِيِّ مَاشِيًا فِي اتِّجَاهِ وَلِيدٍ.

أَطْلَقَ الْأَسْتَاذُ عَادِلُ صَافِرَتَهُ وَقَالَ: «هَيَّا»، ثُمَّ عَادَ الْفَرِيقَانِ إِلَى جَانِبَيْهِمَا. نَادَى الْأَسْتَاذُ عَادِلُ: «وَلِيدُ!»، بِأَحْثَا فِي جِيْبِهِ.

إنه يتذكر اسمي؟

أخرج الأستاذ عادل ورقة نقدية من فئة 5 ريالات وقال: «اذهب وأحضر له ماء»؛ ثم أطلق الصافرة مرة أخرى.

سأل الأستاذ عادل بابتسامة عندما عاد وليد: «أليس لديك حصّة تعود إليها؟». جلس الأستاذ على كرسي يطلّ على الملعب الفارغ، يأكل من علبة بلاستيكية. لاحظ وليد أنها تحوي شطيرة مقسومة إلى نصفين. أشار الأستاذ عادل إلى الكرسي المجاور له.

سأل وليد بعد أن جلس: «لماذا كانوا يلعبون وقت الفسحة؟»

«إنني أدرهم»

«على ماذا؟»

لم يرد الأستاذ فوراً. بدلاً من ذلك، أشار إلى المكتب ليدخل وليد. جالت نظرات وليد نحو لوحة فلّين معلقة على الجدار. علّقت عليها صور، وأسماء فرق، وقصاصات صحف. في المنتصف، تميّزت صورة واحدة: ماجد إسماعيل شاباً، مع فريقه مرتدين زيّاً مطابقاً لما ارتداه الأطفال في المباراة قبل قليل؛ ألوان الفريق الرسمية للمدرسة، الأسود والأصفر، تتوهج تحت أضواء الملعب. يحمل كأساً لامعاً، وابتسامات النصر تعلو شفّيته.

أجاب الأستاذ عادل: «برنامج اكتشاف المواهب في كرة القدم»

«كان ماجد إسماعيل فيه، صحيح؟»

«نعم، صحيح»

ناوله النصف الآخر من الشطيرة، ثم انجبه ليجلس خلف مكتبه. تبعه وليد واقترب أكثر.

قال وليد وهو يأخذ قضيعة: «ولكن ما هو البرنامج بالضبط؟». طعم اللبنة الباهت، وقرمشة الخيار ملأت فمه.

«هل ترغب بالانضمام؟»

«أهو مكلف؟»

قالها وهو لا يعرف تفاصيله. رأى فقط أن هذا هو المسار الذي سلكه لاعبه المفضل.

«إنه مجاني»

قال بحماس: «إذن أريد الانضمام»

ضحك الأستاذ عادل وقال: «ليس بهذه السرعة. يجب أن تكون في المرحلة الثانوية لتتقدم»

«لكن أولئك الأولاد لم يكونوا في الثانوية! كانوا في الصف السادس!»

استند الأستاذ عادل إلى ظهر كرسيه وسأل: «هل تظن نفسك جيدًا؟»

قال وليد، رغم شعوره بالدونية تحت نظرة الرجل: «نعم، أنا كذلك»

«رأيتك تلعب. لم تكن بذلك المستوى الذي تظنه يا وليد»

تجمّد وليد، تفاجأ بالكلام.

«لكن هذا لا يعني أنك لا تملك الإمكانية لتكون عظيمًا»

«مثل ماجد إسماعيل؟»

«نعم... بل أفضل، إن بدأت من الآن»

أفضل. شعر وليد بشيء بارد يلتف داخل معدته، تلاه ضحكة انزلقت منه دون أن يدري.

سأل الأستاذ عادل: «ما المضحك؟»

تلاشت ابتسامة وليد عندما أدرك أن الأستاذ كان جادًا تمامًا.

بإمكانه أن يصبح محترفاً. ولم يعد وحده من يعتقد بذلك، بل الأستاذ عادل نفسه، الرجل الذي ساعد ماجد إسماعيل ليصبح لاعباً محترفاً. وإن حقق ذلك، فهذا يعني... أن ذلك الشعور القبيح، الذي يزحف إليه كلما أعطاه سعد أو والده شيئاً، سيتلاشى. لن يشعر أنه حالة إنسانية؛ بل سيكسب مكانه... وربما، أخيراً، يستطيع أن يستمتع بوقته مع سعد دون أن يحوم فوقه ذلك الشعور بعدم الارتياح.

أخبرني إيهاب أن أنتظر حتى نخرج من المدرسة، مما جعلني أكثر يقيناً بأنه (المجهول). بدا متوتراً طوال الوقت، ولا أعتقد أنه نطق بكلمة حتى مُسح لنا بالانصراف.

قادني إلى سيارته، متفحصاً عدة مرات ليري ما إذا كان أحد يراقب. تفحصتُ أنا أيضاً، وبدي قابضة على قلم في جيبِي، مع أنني لست متأكداً لم احتجْتُ إليه ونحن الاثنان نبدو على وفاق.

قال، وهو يرفع المكيف إلى أقصى درجة: «اسمع؛ هل ... هل لك علاقة بما حدث لفهد اليوم؟»

أهو يستجوبني؟

صاح: «هل فعلت أم لا؟»

«لا، أنا...»

«كيف عرفتُ بشأن (المجهول)؟»

حدّثتُ في وجهه المرتعب. يتحدث عن (المجهول) كما لو أنه ليس هو.

سألتُ، كالأبله: «أليس أنت؟»

«لا، اهل جنت؟»

صحتُ، مستعيداً بعض السيطرة. فهو من يُستجوب لا أنا: «إذن كيف

عرفتُ عنه؟» ثم ضغطتُ عليه: «هل تواصل معك؟»

«أجل، قبل فترة»

«ماذا أراد؟»

تنهد: «قال إنه يعرفني، واقترح فكرة»

«أي فكرة؟»

«مقلب»

شعرتُ برأسي على وشك الانفجار فسألته: «أي مقلب؟»

تردّد ولكنه أجابه: «كان لدينا يوم مفتوح. قال إنه يجب عليّ...»

«يجب عليك ماذا؟»

«أرادني أن أسمم الجميع!»

حدقتُ فيه، مصدومًا.

«قال إنه يجب أن أحضر مشروبًا غازيًا بحجم عائلي للفصل، ولكنه

أرادني أن أفعل شيئًا به مسبقًا»

خفض شدة المكيف، ثم تابع: «أرادني أن أضع فيه حبوبًا»

«أي نوع من الحبوب؟»

«لا أعرف. حبوب منومة أو شيء من هذا القبيل»

تحولت نبرتي إلى اتهامية: «هل فعلتها؟»

«بالطبع لا»

«أهذا كل شيء؟ لم يطلب أي شيء آخر؟»

تردد إيهاب وأجاب: «لقد تواصلت معي قبل أسبوع، محاولًا إثارة غضبي

بشان موت وليد. أعتقد... أعتقد أنه هو من وضع في رأسي فكرة أن الشبان

دعوا وليدًا لقتله»

«هل كان صديق وليد؟»

«لا. لم يكن كذلك. لم يكن لوليد أصدقاء هنا. لهذا السبب لم أثق

بالمجهول. حاول توريطي مرارًا وتكرارًا. في كل مرة يناديني أحدهم

بكونان أو أي شيء آخر، يرأسني، مقترحًا شيئًا ما، حتى حظرته»

تمخضت معدتي، متذكراً ما قاله لي المجهول، وكيف أقنعني. ذكر وليداً
كما لو كانا صديقين. أكان كل ذلك أكاذيب؟ فقط ليجعلني أقتل فهذا؟ لم؟
سألتُه: «برأيك، من أيضاً يرغب بموت فهذا؟»

أشاح إيهاب بنظره حين مرور بعض الطلاب بجانب السيارة وقال: «لا
أحد أحبّ فهذا، ولكن لا أعتقد أن أحداً كرهه بما يكفي لقتله»
حدّق بي، والرعب في عينيه وقال: «هل يمكنك مغادرة سيارتي، من
فضلك؟»

تحدّرت ساقي وأنا أدرك الحقيقة: لم أقتل فهذا فحسب، بل أفصحت
عن جريمتي لإيهاب.

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص

وليد سابقا

عام واحد فقط يفصلهم عن التخرج من الثانوية، لديهم اختبارات الصف الثاني ثانوي ثم الإجازة الصيفية، ثم عام آخر وينتهي الأمر. فكر وليد وهو يحدق في النافذة فوق سرير سعد، مراقبًا خيوط ضوء الشمس تسقط على الملاءات البيضاء. عدّل جلسته على الأريكة، محدّقًا في شاشة القائمة الرئيسية للعبة فيفا. اليوم، سيختار نادي القادسية ليلعب ضد سعد، كالعادة، فقط ليلعب بماجد إسماعيل ويذكر نفسه بما قاله له الأستاذ عادل قبل سنوات: كيف أنه في يوم من الأيام، قد يصبح أفضل حتى من ماجد إسماعيل نفسه. لم يتوقف عن تخيل تلك الصورة. هو، يلعب مع نادي القادسية، أو أي نادٍ حقيقي. تخيل المباريات تُبث مباشرة على التلفاز ليشاهدها الملايين وهو وزملاؤه يلعبون كوحدة واحدة. يساندوهم ويساندوه على الفوز.

همس سعد عند الباب، حاملًا صينية قهوة وتمر: «أطفئه»

اعتدل وليد بسرعة أمام طاولة القهوة، مطفئًا البلاستيشن وراميًا ذراع التحكم تحت الطاولة. نحّى كتب الرياضيات جانبًا ليفسح المجال للصينية. نادى والدته سعد من عند الباب: «أهلاً يا أولاد! كيف تسير الدراسة؟»

أجاب وليد بسرعة: «بخير»

«أجائعان؟»

تذمر سعد قائلاً: «أمي، لقد تناولنا الفطور للتو!»

«حسنًا يا حبيبي. إنني أتأكد فقط»

وقفت للحظة، ثم اختفت في الرواق.

ارتسمت ابتسامة على وجه وليد، وسعد يقلب عينيه. قال سعد متجهًا نحو الكتاب المدرسي: «توقف يا رجل»
ردَّ وليد ماذًا يده إلى دلة القهوة: «لقد ذهبت؛ يمكننا أن نلعب»
سأل سعد متفاجئًا: «ألا تريد أن تدرس؟»
«ليس الأمر وكأنهم سيرُسبوننا»
«يا أخي...»

أمسك سعد بدفتره من حافة الطاولة، وواصل: «بالتأكيد، قد لا يرُسبوننا، لكنني وعدتُ أبي بأن أحصل على أكثر من 93% هذه المرة»
ضحك وليد ضحكة خافتة، ممسكًا ذراع التحكم من تحت الطاولة ومشغلًا البلايستيشن مجددًا: «هيا، سأُساهل معك»
«الاختبارات النهائية بعد شهر!»
«وليد، أنا جاد»

سكنت الأجواء بينهما. تردد وليد، ثم أطفأ البلايستيشن مرة أخرى وألقى بذراع التحكم على الأريكة.

شردت عيناه عن مسألة الرياضيات للمرة المئة، عاجزًا عن التركيز على معناها. لن يحتاج إلى هذا عندما يصبح محترفًا. كره شعوره بالالتزام بالدراسة لمجرد أن سعدًا اهتم فجأة بالمدرسة. والأسوأ من ذلك، كره عدم قدرته على الرفض.

التوقع غير المعلن أصبح شعورًا مقيتًا. هو لا يدرس من أجل مستقبله، بل هو يدرس لأن والد سعد يدفع رسومه الدراسية.

سيرد لهم الجميل في النهاية، أليس كذلك؟ لقد حسبها من قبل: رسوم اثني عشر عامًا، بالإضافة إلى الملابس والأحذية، حتى هاتف سعد القديم الذي أعطي له بعد أن اشترى سعد هاتفًا أحدث.

كل ذلك سيرد. لن يشعر بالذنب لعدم الدراسة.

سأل سعد، رافعًا نظره ووليد ينهض: «إلى أين أنت ذاهب؟»
«للتدريب»

توتر سعد وقال: «لمباراتنا القادمة؟»

«أجل»

«لكن اليوم السبت!»

«وماذا في ذلك؟»

«المباراة ضد الصف الثاني يوم الثلاثاء»

تحرك وليد نحو الباب وقال: «أجل، صحيح، يجب أن نتأكد من أننا

سنفوز»

«ضد فريق جمال؟»

فريق جمال ليس بجودة فريق وليد بالتأكيد، لكن وليد لم يرغب في شرح أنه لا يتدرب لتلك المباراة. إنه يتدرب لشيء أكبر؛ فريق المدرسة الذي سيلعب في دوري برنامج الموهوبين الخاص. ذلك الذي سيقام في العطلة الصيفية.

قال وليد، فاتحًا الباب: «أراك غدًا»

أشار سعد إلى مكتبه: «مفاتيحي هناك...»

أغلق وليد الباب خلفه وغادر.

المجهول: لقد فعلتها

هذه أول رسالة رأيتهما عندما فتحتُ هاتفي. على سريري، نظرتُ خلف
كتفي إلى باب غرفة نومي، الذي حرصتُ على سده بكرسي مكتبي.
أحاول أن أكتب للمجهول، وأصابعي ترتجف على الشاشة. لا أعرف
ماذا أقول.

المجهول: هل شعرت بالرضا؟

في اللحظة التي انزلت فيها الرسالة على الشاشة، واصلتُ قراءتها، مرارًا
وتكرارًا.

هل شعرتُ بالرضا؟

أشعر بشيء يتصاعد في معدتي، وقبل أن أدرك ذلك، أجثو على الأرض
أتقيأ لا شيء سوى الحمض. حلقي يحترق، والشيء الوحيد الذي أستطيع
التفكير فيه هو...

ماذا فعلت؟

ماذا فعلت؟!

منذ أن اكتشفتُ أن فهد سائق تلك السيارة، أردتُ أن أفعل شيئًا. حتى
أنني أردتُ أن أنتقم لوليد إذا لزم الأمر... والآن انتقم. قتلتُ فهد.
حصلتُ على ما أردته لصديقي. أنا فقط لا أفهم لم يرتجف جسدي بهذه
الشدة... لم أشعر بأنني على وشك أن أفقد عقلي.

أهذا هو شعور أن تقتل شخصًا؟

أسمع خطوات أمي عند الباب، فأقفز، راكلاً الهاتف تحت سريري. كما لو أنها ستتمكن من رؤية محادثتي مع (المجهول) بمجرد دخولها غرفتي.
(سعد)

تحاول فتح الباب، والكرسي يصدر صريرًا على الأرض، فتسأل: «ما هذا؟»

صحتُ رداً عليها: «كنتُ أبذل ملابي».

جلستُ على طاولة الطعام، أبي أمامي، وأمي بجانبني، والطعام لا رائحة له.

عائلة فهد. لا بد أنهم سمعوا ما حدث الآن. هل عادوا إلى المنزل بعد خبر وفاة ابنهم السيئ؟ أم أنهم في المستشفى؟ هل تبكي والدته؟ هل يحاول والده التماسك؟ هل لديه إخوة؟ أخوات؟ أتذكر دحمياً، كيف ركض بسرعة ليعرف خبر وفاة فهد، وأتذكر على الفور وليدًا في ذلك الحادث. كيف شعرتُ بالبأس، محاولاً كل ما بوسعي لإنقاذه. قبل اليوم، كنتُ سأغضب متذكرًا هذا. الآن... لا أعرف كيف يفترض بي أن أشعر.

قال أبي: «سعد؟»

فرددتُ مرتبكًا: «ها؟»

«سألتُ، كيف المدرسة؟»

بدا قلقًا. تمد أمي يدها إلى صحنني، تملأه مع أنني لم أكل الكثير مما فيه.

(بخير)

يخفي أبي قلقه خلف ابتسامة خفية.

تقول أمي، وهي تسكب مرق الخضار على جانب صحنني: «هل وجدت
أصدقاء جددًا هناك؟»
«آ.. نعم»

إيهاب، وهو الآن يعتقد أنني قاتل، لذا لا أعرف إن كان ذلك يُحسب.
فجأة، شعرت بوخزة حادة من الهلع.
إيهاب يعرف! ماذا لو أبلغ عني؟ هل سأعتقل؟ إذا حدث ذلك،
والداي... والداي المسكينان، اللذان لم يفعلًا شيئًا سوى محاولة مساعدتي...
سيحطهما هذا الأمر.

بأسرع ما يمكن، سدّدت الباب بالكرسي وركضت إلى هاتفي، وفتحت
إنستغرام، ثم راسلت (المجهول).
سعد: أهلاً؟

استغرق الأمر بضع ثوانٍ، ثم تلقيت ردًا.
المجهول: أهلاً.

سعد: لم كذبت عليّ؟
المجهول: ؟

سعد: قلت إنك صديق وليد
المجهول: أنا كذلك

أحاول أن أتذكر أيًا من طلاب فصلي يمكن أن يكون صديقًا لوليد، ولا
يخطر ببالي أحد
سعد: من أنت؟

المجهول: أخبرتك أنني لا أستطيع إخبارك بذلك
ما قاله لي إيهاب اليوم عنه، كيف أراد تسميم الفصل بأكمله قبل فترة.
هل أسأله لم؟ هل سيكذب ويقول إنه لم يفعل ذلك قط؟

المجهول: أنت خائف

سعد: لا

المجهول: لم أكن أسأل. أعرف أنك خائف

المجهول: لكن لا تقلق. لا توجد طريقة مستكشف بها الشرطة ما فعلته

سعد: تقصد ما فعلناه؟

المجهول: بالتأكيد

المجهول: طالما أنك لا تخبر أي شخص، فسنكون بخير، ويمكننا

الاستمرار

أحذق في الشاشة، مرتبكًا.

سعد: نستمر في فعل ماذا؟

المجهول: قتل بقيتهم.

وليد سابقاً

وقف وليد وحيداً في ملعب الحديقة القريب من منزل سعد، يتنقل ذهاباً وإياباً، متفحصاً هاتفه بين الحين والآخر، يأمل أن يظهر أفراد الفريق أخيراً. كان على يقين بأن الجميع قرأ رسالته، ولكن لم يرد أحد باستثناء فلاح ومشاري. وربما ردّ بعضهم معذرين عن الحضور، إلا أن وليد كان بعيداً عن شبكة الإنترنت المنزلية الخاصة بسعد، ولم تصله أي إشعارات.

صاح فلاح من خلف سياج الملعب الحديدي: «هيه!»، فارتسمت ابتسامة على وجه وليد، وسارع ينظر حوله، يبحث بعينه عمّن حضر أيضاً. استغرق الأمر نحو عشرين دقيقة إضافية ليكتمل عدد الحاضرين من الفريق إلى ستة لاعبين؛ أما البقية، فراحوا يختلقون الأعذار، مما أثار استياء وليد. ألا يدركون أن الأمر جدي؟

قال علي وهو يثبت الكرة بقدمه: «نحن نلعب ضد الصف الثاني، لا داعي للقلق»

أضاف آخر: «صحيح، ستكون مباراة سهلة»

كان وليد يعلم ذلك كله. المباراة لم تكن مصيرية، لكنه اعتاد أن يرى الأستاذ عادل، يحمل لوحة ملاحظاته، يراقب كل مباراة تقام لطلبة المرحلة الثانوية، ويجلس إلى جواره الأستاذ عبد الله، معلم التربية البدنية. ذلك المشهد كان كفيلاً بإشعال مزيج من الحماسة والقلق داخله.

لم يكن خافيًا أن الأستاذ عادل يعمل على اختيار أعضاء الفريق الذي سيمثل المدرسة في الدوري الصيفي الخاص ببرنامج الموهوبين؛ ولذلك كان ينتقل يومياً من مبنى المرحلة الابتدائية إلى مبنى المرحلة الثانوية المتصل.

أما حسام، الطالب في الصف الثالث أ، والذي كان وليد يُكنى له الكثير من التقدير، فقد قيل له مسبقاً إنه سيقود الفريق المدرسي. نادراً ما يُختار طلاب من غير الصف الثالث، لكن حسام طلب رقم هاتف وليد قبل أسابيع، ودعاه للعب معه في الحديقة إلى جانب عدد من زملائه المعروفين.

سأل حسام ذات مرة: «هل ستكون متفرغاً خلال العطلة الصيفية؟».

ومنذ تلك اللحظة، بدأ وليد يشعر بأنه قيد المراقبة، وربما محل اهتمام لاختياره ضمن الفريق. لم يكن متيقناً من ذلك، لكنه لم يكن مستعداً للمجازفة بأداء ضعيف طالما أن الاحتمال قائم.

ناداه وليد: «فلاح. هل يمكنك مشاركة شبكة الإنترنت لديك؟»

وليد: مرحباً حسام

حسام: أهلاً بك، ما الأمر؟

وليد: لا شيء مهم، لكن أحتاج إلى خدمة

حسام: بكل سرور

وليد: هل يمكنك إحضار فريقك إلى هذا المكان؟

ضغط وليد على علامة الإضافة في محادثة «واتساب»، ثم ضغط على خيار

«الموقع»، وأرسل موقعه الحالي على الخريطة.

حسام: هل تتحداني؟ ههه

وليد: يمكنك قول ذلك.

أنى حسام بأصدقائه، ومعظمهم من صفه، وهم اللاعبون ذاتهم الذين

كان وليد يعتقد أنهم السبب المحتمل لخسارة المدرسة في الدوري القادم.

أما فريق وليد، فقد اتصل بأفراده واحداً تلو الآخر، وأبلغهم أن الأمر

بالغ الأهمية، وأنه سيستبعد كل من يتخلف عن الحضور، فقد امتلك تلك
الصلاحية كقائد للفريق، وكانوا جميعاً يدركون مدى جديته.

حضروا جميعاً في مباراة جمعت الصف الثاني باء بالصف الثالث ألف،
وبدأت المواجهة.

استبدت بوليد تلك الرجفة المألوفة، رجفة الحماسة، وهو يوجّه فريقه
في الملعب. الكرة تنساب على الأرض بسرعة، والهتافات تتردد تحت أضواء
الحديقة الخافتة. صحيح أن الأستاذين عادل وعبد الله لم يكونا حاضرين في
تلك الليلة، ولكن المباراة احتفظت بقيمتها. كانت اختباراً، ليس لفريقه
فحسب، بل له شخصياً.

هل سيلحظ حسام موهبته؟ هل سيعده جديراً بالانضمام إلى فريق
المدرسة؟

حملت كل تمريرة، وكل اندفاع، وكل التحام، رسالة واحدة صامتة: أنا
مستعد. أستحق هذه الفرصة.

المجهول: أما زلت هنا؟

سعد: ماذا تقصد بقتل البقية؟

المجهول: أخبرتك بذلك منذ البداية. سنتقم لوليد من الأربعة.

تجمدت في مكاني، شاعرًا بالغباء لما صدقتُ أنني أريد فعله. قتلهم جميعًا؟! يا للجنون الذي يدفعني لأصدق أنني أستطيع، أو أريد، فعل ذلك.

المجهول: أما زلتَ هنا؟

سعد: أجل، ما زلت هنا

المجهول: اتفقنا على ذلك يا سعد. لا تراجع الآن

المجهول: لا تنسَ، لقد قتلوا صديقنا، وإذا لم نفعل شيئًا فسيفلتون من

العقاب

سعد: فهد مات

سعد: إنه من ترك وليدًا يموت دون مساعدة

سعد: لم أرَ بقيتهم في تلك الليلة

المجهول: إذن أنت تراجع الآن؟

المجهول: أخبرتك أننا لن نُكشَف أبدًا

مرعوبًا، حام أصبعي على الشاشة... ثم ضغطت على ملف (المجهول) الشخصي. لا صورة، ولا منشورات. مجرد ملف شخصي فارغ مجهول. أنا غبي جدًا لثقتي به، والآن إذا حدث أي شيء فسأقع في ورطة... وليس هو.

ألقيت الهاتف بعيداً، وشعرت بالغثبان يتصاعد في حلقي.

انعكس وجهي المتعب في مرآة الحمام؛ الهالات السوداء تحت عيني،
والخدّان الغائران، والشفاه الجافة. أشعر وكأنني آخذ في التحلّل، وذهني
مرهق إلى درجة لا تسمح لي بفهم ما يحدث.

لم أشعر بالرضا الذي تخيلت أنني سأشعر به بعد الانتقام. ما حلّ مكانه
كان ثقلاً جاثماً على صدري.

اليوم أصبحت قاتلاً. ليتني كنت أعلم ما يعنيه ذلك... قبل أن أفعله.

أضواء هاتفي على سرير ي. إشعار إنستجرام اللعين نفسه.

المجهول: أما زلتَ هنا؟

سعد: لا أستطيع فعلها

النقاط الثلاث التي تستمر في الظهور والاختفاء أصابتني بالجنون.

المجهول: ستخذل وليدًا مرة أخرى، حقًا؟

سعد: لا تذكر اسمه. أنت لا تعرفه كما أعرفه أنا

المجهول: إذن تظن أنه سيكون مسرورًا منك الآن؟

سعد: اصمت

المجهول: يكتب...

المجهول: يكتب...

المجهول: يكتب...

المجهول: أنا آسف

زفرت بارتجاف، محاولاً تهدئة أفكاره المتسارعة.

المجهول: لكن لا يمكننا التوقف الآن يا سعد. يجب أن نفعل ذلك من أجله.

سعد: لا أستطيع! سيكتشف إيهاب ذلك وقد نخبر أحداً

المجهول: هل أخبرت إيهاب؟

أستطيع أن أشعر بغضبه يشع عبر الشاشة، كما لو أنه يصرخ في وجهي مباشرة.

المجهول: أجب!

سعد: لم أخبره. هو عرف.

المجهول: لا بأس إذن. سنضطر إلى إيقاف خطتنا في الوقت الحالي.

أطلقت الزفير الذي حبسته، وقد شعرت بالتوتر في جبهتي يلين قليلاً.

المجهول: سنركز على قتل إيهاب أولاً

وليد سابقا

صرخ وليد في وجه عليّ، الذي تمذّد على الأرض يلهث: «أتمزح؟ انهض!»
«انتهيت... انتهيت يا رجل»

كانت المباراة مجرد تدريب، دون وقت محدد، لكنهم بالكاد لعبوا خمس عشرة دقيقة حتى الآن. انعقد وجه وليد بالغضب، فيما اجتمع بقية الفريق من حوله، وجميعهم يشتركون في النظرة المهزومة نفسها التي ارتسمت على ملامح عليّ.

قال وليد، والغليان يتصاعد داخله: «هل أنتم جادون؟ هل ستستسلمون الآن؟»

قال عليّ، وهو يهز رأسه: «النتيجة ثلاثة صفر، ما الفائدة؟»

أضاف سليمان: «وكان لدينا فرصة ضدهم أصلاً»

قال فلاح بدوره: «أجل، صدقاً، سنفوز على الصف الثاني، ولكن هذه غالباً ستكون آخر فوز لنا»

ضحك وليد ضحكة قصيرة، يحاول أن يكتم خيبة أمله. تذكّر ما قاله له الأستاذ عادل عن القيادة: «لا يمكنك أن تصرخ لتصل إلى عقول الناس»

نادى حسّام من الجهة الأخرى من الملعب: «وليد! هل انتهيت؟»

أجابه وليد: «أعطينا خمس دقائق، من فضلك»

جلس إلى جوار عليّ، وأشار لبقية الفريق بالانضمام.

كان الوضع سيئاً، وفكرة الخسارة أمام الصف الثالث ألف في دوري المدرسة، خاصةً أمام الأستاذ عادل، بدت كارثية.

إلا إذا...

قال وليد بابتسامة خافتة، مفاجئة: «أنتم محقون... سنخسر. أمامهم؟
نعم، سنخسر بالتأكيد»

حدّق فيه الفريق مذهولاً. نادراً ما تحدّث وليد عن الخسارة، بل لم يسبق
أن اعترف بها بهذا الوضوح. قبض يديه، وزفر ببطء، ثم تابع: «الجميع يتوقّع
ذلك. حسام وفريقه... كم مباراة فازوا بها؟»

تمتم أحدهم: «كل المباريات حتى الآن»

«بالضبط. إذن، نعم، سنخسر على الأرجح. لكن ما رأيكم بهذا: إن كنا
سنخسر، فلنجعلها أصعب مباراة نخوضونها على الإطلاق»
تحوّل انتباه الفريق، فتابع وليد: «بإمكاننا إخافتهم؛ لنُرهم أنّ الفوز علينا
لن يكون بهذه السهولة»

ابتسم سلمان وقال: «مثل الشباب ضد الهلال؟»

أوما وليد، وأضاءت وجوه الفريق بالعزيمة.

وقف وليد وسأل: «حسناً، من أفضل لاعب في فريقهم؟» ثم نظر نحو
مجموعة حسام في الطرف الآخر من الملعب.

أجاب سلمان وفلاح في وقتٍ واحد: «خالد»

ثم أضاف فلاح: «هو الأسرع بينهم»

سأل وليد بنبرة شبه بلاغية، لتسود لحظة من الصمت الحرج: «ومن
الأسرع بيننا؟»

قال ثامر وهو ينظر إلى فلاح: «أ... أنت»

«مستحيل، لست أنا...»

قال وليد مبتسماً: «أنت ستتولى أمر خالد؛ أنا واثق أنك قادر على ذلك».

استؤنفت المباراة، ولعب فريق وليد كما لو أن قوة جديدة سرت في عروقهم. التصق فلاح بخالد، متحديًا كل تمريرة، مجبرًا إياه على القتال لأجل كل لمسة للكرة.

وحين أوشكت المباراة على نهايتها، لمح وليد سعدًا يقف على الهامش، والدفتريده، ويرتسم على وجهه تعبير غريب. شيء ما لم يكن طبيعيًا. انتزع فلاح الكرة، واندفع متجاوزًا منتصف الملعب، بينما كان سلمان يواكبه من الجهة الأخرى. تحرك حسام لعرقلة، لكن فلاح ثبت الكرة، ثم التف يسارًا، وانطلق نحو الحارس.

صرخ وليد: «إلى سلمان!»

تظاهر فلاح بالتمرير، مخادعًا الحارس ليفتح الزاوية، ثم سدّد كرة قوية باتجاه المرمى.

ارتطمت الكرة بالحاجز الحديدي وانحرفت خارج الملعب.

قال وليد لفلاح: «لا بأس»، وعاد بخطى مثقلة، والانتزعاج يادٍ على وجهه.

نتم فلاح، يده فوق رأسه: «كدت أن أحرزها!»

قال وليد وهو يمسك بكتفيه: «اسمع... لقد كنت رائعًا. حقًا كنت كذلك»

«الكتني...»

قال سلمان وهو يرتب على ظهر فلاح: «أحسن، يا رجل! كنّا قريبين جدًا من تسجيل الهدف»

أضاف علي: «أجل»، ثم شارك بقية الفريق بتعليقاتهم المشجعة. ابتسم فلاح خجلًا ولكنه أصبح متحمسًا.

قال وليد، ملتفتاً نحو المكان الخالي الذي كان يقف فيه سعد: «حسناً يا شباب... فلنُعِد التنظيم».

انتهت المباراة بنتيجة أربعة أهداف مقابل لا شيء. أحكم فريق حسام لعبهم بعد تلك الفرصة الخطيرة، لكن فريق وليد غادر الملعب مفعماً بالحماس.

استعدّوا لمواجهة الصف الثاني، عازمين على جعل مباراتهم في دوري المدرسة ضد الصف الثالث ألف حدثاً لا يُنسى.

في العام المقبل، سيحلّ هو وفريقه محل أفضل فريق في المدرسة، ما يعني أن مكانه في بطولة البرنامج الصيفي أصبح شبه مضمون.

وفي أثناء خروجه من الملعب، عابراً الحديقة، رأى أطفالاً على الأراجيح والمتزلقات، وآباء يراقبون عن قرب. ثم أبصر سعداً في الأعلى، على الطابق الثالث من المبنى المهجور المطل على الحديقة، يتدلّى بساقيه وينظر في حجره. سأل وليد، بينما صعد إليه: «هل يُفترض بك أن تكون هنا؟»

أجاب سعد: «معي بخاخ الربو. لا تقلق»

قال وليد مازحاً، مقترباً: «أما زلت تملك هذه الأشياء؟»

«على ما يبدو»

نفض وليد الغبار عن بقعة إلى جوار سعد وجلس، فأثار سحابة خفيفة من التراب.

سأل سعد: «كيف كانت مباراتك؟»

أجاب وليد، وعيناه تتبعان رجلاً ينادي ابنته عند الأرجوحة: «رائعة بصراحة». كانت الشمس تهبط خلف المسجد، باسطة ظلالاً طويلة عبر الحديقة.

سأل وليد، وهو يشير إلى الدفتر في حجر سعد: «أما زلت تدرس؟»

ضغط وليد، وقد لاحظ التردد في صوت سعد: «ما الأمر يا رجل؟». ثم
لفت نظره السلك الممزق في أعلى الدفتر.

سحب وليد الدفتر بسرعة وفتحه: «هل هذا دفترى؟». معظم الصفحات
خالية؛ باستثناء الصفحة الأخيرة.

تجمّد. عرف على الفور ما كُتب فيها، ولهذا بدا سعد مختلفاً.
لقد رأى الصفحة.

انقبض صدري وأنا أقرأ رسالته الأخيرة، ثقل كلماته يشدني إلى السرير.
أريد مني قتل إيهاب؟ لا، لا بد أنه يمزح. كل هذا انتهى. لقد انتهينا.
المجهول: سأخبرك غداً كيف سنقوم بذلك
المجهول: حسناً؟

شعرت أنني منهك، وكأني عالق في حلم غريب، لم تسعفني أصابعي إلا
بفعلٍ واحد؛ حظره.
رميت الهاتف بعيداً عن ناظري، ودفنت رأسي تحت الوسادة.
ماذا فعلت؟

كانت الساعة 11:32 مساءً عندما سمعت جرس الباب. في البداية،
لم أول الأمر أهمية. لكن سرعان ما أدركت، لا أحد يزورنا في هذا الوقت
المتأخر.

اجتاحني رعدة من الخوف وأنا أندفع من سريري، قلبي يخفق بجنون.
مال جسدي فوق السياج، وما زال صوت التلفاز مرتفعاً، وخطى والذي
تتلاشى باتجاه الباب.

الشرطة؟ هل اكتشفوا ما فعلته بفهد؟ هل جاؤوا للقبض علي؟ قبضت
على السياج المعدني البارد، أهدق في الطابق السفلي حيث غرفة المعيشة.

عاد والدي بعد لحظات وهو يحمل صينية طعام مغطاة بورق القصدير؛
شيء اعتادت والدتي إرساله إلى عمتي نورة.

اجتاحتني موجة ارتياح، وتركت قدمي مرتجيتين.
سألني أبي وقد لاحظني: «أما زلت مستيقظاً؟».

نزلت الدرج، وضع والدي وضع الصينية على طاولة الطعام.
«أين أمي؟»

أجاب وهو يعود إلى الأريكة: «تأخذ حماماً». نشرة الأخبار صامتة على
الشاشة. ثم تابع: «خذ هذه إلى المطبخ»

حملت الصينية، ورائحة المعكرونة تنبعث من خلف رقائق القصدير.
تفحصتها بدافع الفضول، فرأيت الصلصة الحمراء تتجمع عند أطراف
الطبق الزجاجي.

ومع ذلك، ظلّ ذلك المخاطر عالقاً، قد تكتشف الشرطة أن فهد لم يمت...
بل قُتل.

هل سيقبضون عليّ؟ هل يمكن (للمجهول) أن يشي بي؟
كم كنت غيباً حين وافقت على هذا؟

راودتني صورة وجه والدي المذعور إذا اعتقلت، والصيت السيئ الذي
قد يلحق بوالدي ويعمله... إنه عبء لا يُحتمل.

شعرت بوخزة ندم حادة وأنا أصل إلى المطبخ، وارتجفت يدي. سقطت
الصينية، وتحطم الطبق الزجاجي على الأرض.

تناثر الزجاج، وانتشرت الصلصة الحمراء في كل مكان، حاجبة المدخل.
صرخ أبي وهو يهرع إلي: «سعدا»

تمتعت، محاولاً طمأنته، رغم أن صوتي كان يرتجف: «أنا بخير»
وصل إليّ بسرعة، يعلوه القلق.

سأل، وقد أعادتني نبرته إلى طفولتي، حين لم يكن يخفي قلقه عني: «هل تأذيت؟»

قلت، وأنا أكنم دموعاً أثقلتها وقائع اليوم: «أنا بخير. أنا آسف جداً يا أبي»

قال بلطف وهو يربُّت على كتفي: «لا بأس يا سعودى»
كادت رقة صوته تكسرنى. كم فعل والداي من أجلى... كيف يمكنني أن أردّ ذلك بهذا الشكل؟ أدت وجهي، طردت دموعي بصعوبة، وركزتُ على الفوضى أمامي.

شظايا الزجاج تلمع تحت الضوء، والصلصة الحمراء تمتد كأنها مسرح جريمة.

قال والدي: «اذهب إلى الصلاة. سأقوم بالتنظيف قبل أن تعرف أمك»
أصررتُ: «لا! سأفعلها بنفسي»
أطال النظر إليّ، ثم رُقَّ وجهه. أجبرت نفسي على الابتسام.
«أنا الذي كسر الطبق، لذا أنا من سينظفه»

كانت أمي تردد دائماً أن: «الخدم لا يُؤتمنون»
لم نعين خادمة مقيمة، بل عاملة تأتي كل أسبوع لتنظف المنزل بالكامل.
انحنيت أسفل المجلى، وأخرجت المكنسة الصغيرة والمجروح.
عدت إلى حيث الكارثة، وبدأت بجمع المعكرونة والصلصة والزجاج المكسور، ولكن شيئاً ما شدَّ انتباهي؛ كيس بلاستيكي صغير مخبأ جزئياً تحت الفوضى.

أخذته بيدي، ووضعتُه قرب المغسلة.
فنحت الكيس وسحبت منه ورقة مطوية، وأصابعي ترتجف.
فتحتها، وقرأت: «من صديق سعد الجديد. أتمنى أن تستمتع!»

انقبض صدري، وتكشفت الحقيقة أمامي. المجهول أرسلها.
قد يكون الطعام مسموماً، تماماً كما سممتُ حبيب فهد. انعقدت قبضتي
وأنا أكرر الرسالة في يدي.
المجهول يعرف أين أعيش. لقد... لقد حاول تسميم عائلتي. تصاعد
الغضب داخلي. اشتعلت عيناى، وشدت يدي الورقة بقوة.
أيا يكن... لن أدعه يفعلته.

وليد سابقا

خَيَّم الصمْتُ في الطابق الثالث من المبنى المهجور. أمسك وليد الدفتر، متأكدًا أنه دفتره. أغلقه وأخفاه إلى جانبه.

قال سعد: «لقد رأيته... الصفحة الأخيرة».

لم يحتاج وليد للنظر إليها ليتذكر ما كتبه. لقد حفظها عن ظهر قلب من كثرة ما اضطرَّ للرجوع إليها ليشعر بالطمأنينة.

كذب قائلًا: «مجرد كلام عشوائي»

«حتى هاتفي القديم الذي أعطيتك إياه مذكورًا هناك»

اشتدت قبضة وليد على حافة المبنى عند سماعه كلمة «أعطيتك».

«أنت تكذب. أعلم أنك تكذب يا وليد! لماذا كتبت هذا؟»

«قلت لك، لا شيء مهم»

«أنسمي هذا لا شيء؟»

فتح سعد الدفتر بقوة، وقال: «هذا؟»

«سعد...»

«حتى مصروف المقصف؟»

مدَّ وليد يده، لكن ابتعد سعد، فقال: «سعد، توقف»

«حذاء، ٩٠٠ ريال؟»

حدَّق سعد بدهشة، قبل أن تظهر عليه علامات الفهم، وأضاف: «متى

اشترينا حذاءً بهذا الثمن؟»

زفر وليد بضيق وقال: «أعطني الدفتر فقط»

«كلا! ينبغي أن تشرح لي»

«لأعيد لك المال، حسناً؟»

توقف سعد، وقد تغيرت ملامحه.

«هل هذا سبب رفضك استخدام حذائي؟ لأنك لم ترد أن تضيفه إلى القائمة؟»

هبطت عينا سعد إلى حذاء وليد البالي، حيث شقَّ النعل وأعيدَ لصقه بعناية.

«نعم. هذا هو السبب»

«هل أثر عليك جمال؟»

«الأمر لا يتعلق به»

«لقد سخر منك، ونعتك بحالة خيرية! لهذا تتصرَّف بغرابة كلَّما قدمنا لك شيئاً...»

ضحك وليد بسخرية.

«ما الأمر؟»

«قدَّمنا لك!»

«ولماذا تنطقها وكأنها شيء معيب؟»

دوى صوت وليد في ظلال المبنى شبه المعتم: «لأنها كذلك!»

«أنت لست حالة إنسانية! أنت صديقي!»

فهقه وليد بمرارة.

أصرَّ سعد: «ما الأمر؟»

«لن تفهم»

ولم يكن وليد نفسه يدرك الأمر بالكامل. ذلك الشعور بالخجل الذي يرافق قبول شيء منهم؛ كأننا ارتبط بهم بدين لا يُردُّ ما دام حيًّا. عبرت نسمة هواء المبنى، فلامست وجهه، وأغلق عينيه ببطء محاولاً تهدئة توتره المتصاعد.

«لم أعد قادرًا على تحمُّل هذا يا سعد»

«هل تريد إنهاء صداقتنا؟»

«لا! لماذا تظن ذلك؟»

«ماذا تعني إذن؟»

«حسنًا...»

تنهد وليد وهو يتناول الدفتر، ثم تابع: «هذا... هذا ساعدني كثيرًا. سأحرص على أن أعيد إليك كل شيء»

أشاح سعد ببصره، ووضع يديه على ركبتيه بصمت. تردَّد أذان صلاة العصر في الأجواء.

مدَّ وليد يده إلى الدفتر، وقلَّب إلى الصفحة الأخيرة، وحدَّق في القائمة:

الرسوم الدراسية (12 سنة): 82.000 ريال

مصرف المقصف (12 سنة): 14.000 ريال (تقريبًا)

الملابس: 900 ريال

الحذاء: 900 ريال

هاتف سعد المستخدم: 1.500 ريال

ثوب العيد (العام الماضي): 100 ريال

قال سعد فجأة، وقد أضاء وجهه: «لقد أنقذت حياتي هنا»

«ماذا؟»

«أعني المال»

أشار سعد إلى الصفحة وقال: «هذه مجرد تسوية. كأنَّ والديَّ اضطرَّ

لدفعه لأننا كنا مدينين لك!»

ضائق نظرات وليد.

قال سعد: «إذن نحن متعادلان!»، ثم مزَّق الصفحة من الدفتر.

اندفع وليد نحو الورقة: «سعد! توقف»، وأمسك بها في اللحظة التي انزلق فيها جسد سعد نحو الحافة؛ ولثانية واحدة، تمايل جسده، مهدداً بالسقوط.

أمسكه وليد، وسحبه إلى الوراء.

تسمرت عيناه على الأرض أسفلهم، وامتلاً وجهه بالذعر.

قال وليد، وصوته مذعور: «أنا آسف، آسف! هل أنت بخير؟»

ردَّ سعد بصوت مرتجف: «نعم»، ثم ابتعد خطوات عن الحافة، ووقف

وبقيت عيناه مثبتتين على وليد، تتقاطع فيهما الصدمة مع الخوف.

خفق قلب وليد بقوة، فيما تسَلَّل إلى ذهنه تعبير مألوف. لقد نظر إليه محمد

النظرة ذاتها بعد تلك الليلة.

ما الذي فعلته.

لأيام بعد وصول الطرد، لم أقوَ على مغادرة المنزل. لم أتمكن من إقناع والديّ برفض الاستلامات، لذا اختلقت قصة عن طعام مسموم يُرسل إلى منازل عشوائية. لم تكن تلك أول كذبة أقولها لهما، لكنها الأولى بدافع حمايتهم.

لم أقم بإلغاء الخطر عن المجهول بعد، لكنني كنت مضطراً لإيجاد وسيلة لإيقافه. هذه الأمور التي كنت أعلمها:

1. هو طالب في مدرستي، وربما في صفّي، لأنه علّق على مواجعتي مع فهد.
2. ينوي قتل فهد ودحي ومازن وعيد. ووفقاً لإيهاب، خطط أيضاً لتسميم عدد من الطلاب في الفصل الدراسي الماضي. لا يمكن أن يكون الأمر عشوائياً؛ ربما كان ذلك جزءاً من مخططة لاستهداف الأربعة، دون أن يابه بمن قد يتضرر معهم جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص
3. «المجهول» يتصرف بحذر. إن كان يراقبني، فمن المرجح أنه يتخذ خطوات لتجنب أن يلاحظه أحد.

تجاوزت حدود قدرتي، وكنت بحاجة إلى المساعدة. توجب عليّ اكتشاف من يمكن أن يكون بهذا الجنون ولديه سبب لاستهداف فهد والآخرين، سواي.

في أول يوم بعد عطلة نهاية الأسبوع، أدركت أن إيهاب هو خيارى
الأفضل. لم أكن واثقاً من مكائتي عنده بعد أن اتَّهمني بقتل فهد، ولكن لا
بد من المحاولة. بعد الطابور الصباحي، انتظرت حتى دخلنا الصف. جلس
إيهاب في مكانه، متجنباً النظر إليّ. جلست خلفه، دسست يديّ في مقعدي،
وأخذت نفساً عميقاً.

قلت بصوت خافت: «إيهاب»

استدار نحوي بملامح حذرة: «ها؟»

«هل يمكننا الحديث؟»

ضيق إيهاب عينيه، ولكنه لم يرفض.

كان التوتر في الغرفة خانقاً. شعرت بنظرات الجميع تلاحقني، والهمسات
تتناقل بين الطلاب. ربما لم يظنوا أن لي علاقة بموت فهد، لكن إن طُرح
السؤال يوماً، فسأكون أول من يُشتبه به. في نهاية المطاف، فقد اتَّهمته بقتل
وليد أمام الجميع.

سأل إيهاب، قاطعاً الصمت، وقد رأيت التردد في عينيه: «لماذا تغيبت؟
أقصد قبل عطلة الأسبوع»
(آ...)

«بسبب فهد، أليس كذلك؟ لأنك قتلتَه»

همست وأنا أنحني إلى الأمام كي لا يسمع أحد: «أخفض صوتك!»
«لماذا؟ هل ستقتلني أنا أيضاً؟»

«اصمت!»

دخل المعلم، فقطع الحديث وبدأ الحصّة الأولى. خفق قلبي بعنف وأنا
أحاول التركيز، دون جدوى.

بعد دقائق، نظر المعلم إلى هاتفه وناداني باسمي وقال: «إلى مكتب المدير»

استقر رعب بارد في معدتي وأنا أنهض وأخرج.

انتظرت خارج مكتب المدير خمس دقائق، والقلق يتصاعد مع كل ثانية تمر. وعندما استدعاني أخيرًا، شعرت بالارتياح حين اكتشفت أنه أراد فقط معرفة سبب غيابي. كذبت، وأدّعت أنني كنت مريضًا، ويبدو أنه اقتنع. في طريقي للعودة إلى الصف، لمحتة يخرج من دورة المياه. أخذت نفسًا عميقًا وتبعته، متجاهلاً الحصّة تمامًا.

قلت وأنا الحق به: «إيهاب، أحتاج أن أتحدث إليك»

كان يحفف يديه بمنديل، متعمدًا تجاهلي.

ناديت خلفه، وصوتي مثقل بالتوتر: «إيهاب، أرجوك استمع إلي!»

تابع سيره، لكنني أسرعت الخطى، وخففت صوتي إلى همس حين

اقتربت: «المجهول، يريد قتلك!»

عندها توقف واستدار نحوي، وتحولت ملامحه إلى الصدمة.

وليد سابقا

في آخر الصف، ظلَّ ذهن وليد يدور حول سؤال واحد: هل يظن أنني كنت على وشك دفعه من فوق المبنى؟

لا. لا، ربما بالغ في تقدير الأمر. ومع ذلك، أثارت تلك القشعريرة التي تسللت إلى عنقه فيه خوفًا من أن يكون الأمر واريًا. سعد وحده من يعرف ما فعله وليد حين كان صغيرًا، وربما أدرك، بعد ما جرى بالأمس، جسامته الموقف.

رنَّ الجرس، فقطع عليه سلسلة أفكاره.

«أستاذ، هل هذا سيدخل في الاختبار النهائي؟»

أجاب وهو يجمع أغراضه: «ربما». ثم توجه إلى فارس، أول طالب على اليسار، وطلب منه أن يجمع الواجبات.

لم يسلم وليد شيئًا.

بعد لحظات، تقدَّم نحو طاولة سعد، محاولًا إخفاء توتره.

جلس وليد، محاصرًا سعد إلى الجدار وسأله: «ما الأخبار؟»

ردَّ سعد ووجهه منكبُّ على كتاب الكيمياء: «أهلا»

«هل أنت مشغول؟»

«نعم»

«آها... اسمع، أعذر عني حدث أمس»

«حسنًا»

«إذن، هل كل شيء على ما يرام الآن؟»

«أظن ذلك»

«سعد، أنا أتحدث إليك!»

قلب سعد الصفحة، فمدَّ وليد يده بسرعة، وأغلق الكتاب، ضاغطاً راحته على غلافه الناعم.

«دون مواربة يا سعد... أخبرني عما يدور في ذهنك الآن»

تجنب سعد النظر في عينيه، فأدرك وليد: هذه هي النهاية. سيخسر الآن بعدما اعتقد أن وليد حاول دفعه.

لقد قتلت أخي... وسعد يعلم ذلك... والآن يظن أنني أردت قتله أيضاً.

امتلات عينا وليد بالدموع: «أرجوك يا سعد. أقسم أنني لم أقصد دفعك، حدِّق سعد فيه للحظة، وعلى وجهه علامات الحيرة.

بدا مندهشاً: «دفعني؟»

أهو لا يعتقد ذلك؟ أزيح ثقل عن صدره. تنفَّس بارتياح، وارتسمت على وجهه ابتسامة خفيفة.

«إذن، كل شيء على ما يرام؟»

«نعم، أياً يكن»

«أياً يكن؟»

«دعني وشأني، رجاء...»

وقف وليد مذهولاً. تصاعد دفء في جسده، وتراجع خطوة إلى الوراء. هذا هو، رآه سعد على حقيقته. لم يتبق سوى القليل قبل أن ينهار كل شيء فوق رأسه.

«وليد. كل شيء بخير. أحتاج إلى بعض العزلة اليوم...»

«حسناً»

«ربما نتحدث بعد انتهاء الدوام؟ سأوصلك إلى المنزل»

ارتسمت على وجه وليد ابتسامة صغيرة وقال: «نعم، حسناً»

أسندت ظهري إلى الجدار في الفسحة داخل المقصف، أراقب الطلاب وهم يتناثرون في أرجاء المكان، معظمهم يحملون شطائر أو مشروبات. يجلس إيهاب إلى جوارى، فارغ اليدين مثلي، عيناه تتفحصان الحشد. لم يجرؤ أيُّ منا على شراء شيء اليوم.

همس إيهاب بصوت بالكاد يُسمع: «إذن، يريد قتلي»
دخل عدد آخر من الطلاب.

استدار إليّ بنظرة فضول صادقة وسأل: «كيف سيفعلها؟»
«بالطريقة نفسها التي قتل بها فهد. سيضع شيئاً في شرابك، ولن يعرف أحد أنه هو الفاعل»

سأل إيهاب: «وكيف لن يراه أحد؟»
«لا أعلم»

كذبت، وعيناي معلقتان على نوافذ المقصف، أتابع عاملاً يقف بجانب مازن، يتلقى النقود، ويسلم الطعام.
«لن يكون الأمر صعباً، أليس كذلك؟»

نظرت من حولي، أحاول أن ألتقط وجهها، أو لمحة، أو إشارة. ثم سألت:
«من تعتقد أن لديه دافعاً لقتل فهد وأصدقائه؟»
«كان لدى وليد الدافع»

تسللت رجفة إلى عمودي الفقري، إدراكًا أنه لو بقي وليد حيًا، لكنني
اشتبهت به.

«وماذا عن الحيلة التي أراذك أن تنفذها في اليوم المفتوح؟ من كان
يستهدف برأيك؟»

«من المحتمل أن الأربعة هدفه»

«وماذا عن وليد؟»

«لست متأكدًا، فقد كان وليد موجودًا. لا أعلم إن كان سيشرّب المشروب

أم لا»

هذا لا يفيد.

قال، وقد تحرك بعض الطلاب بمحاذاتنا: «هناك أمر واحد فقط... حين
طلب مني تسميم المشروب، قال شيئًا بدا غريبًا بعض الشيء»

«وما هو؟»

«قال إن عليّ الذهاب إلى صيدلية الزهور، التي تقع بجوار سوبرماركت
الجمعة، وشراء حبوب منومة، لا تقل عن خمس علب»

هذا ما قاله لي أيضًا بشأن قطرات العين.

نساءل إيهاب مع نفسه: «لماذا يختار صيدلية معينة؟» ثم لمعت عيناه فجأة.
«ما الأمر؟»

فكرت في السبب؛ كيف أنها الصيدلية الوحيدة التي تباع قطرات فيراسين
للعين. لم أفكر للحظة في التحقق من صحة ذلك.

«أظنه طلب ذلك مني حتى يتمكن من التبليغ عني لاحقًا»

«لا أفهم»

افكر في الأمر، لقد اختار متجرًا محددًا، وطلب مني كمية ملحوظة من
الحبوب، حتى يسهل على الشرطة التأكد لو تلقوا بلاغًا...»

ثم اتسعت عيناه وأضاف: «فلنفترض أنني فعلت ما طلبه، ولنقل إن عددًا من الناس تعرّضوا للتسمم في اليوم المفتوح! حتى لو لم يمت أحد، سيملك شيئًا يستخدمه ضدي! سيتزني لأفعل أشياء أخرى، وإلا سيببلغ الشرطة عني»

غرقْتُ في مكاني، واجتاحني شعور بالغثيان حين أدركت أنني وقعت في فخه كالأحق.

«سعد... ما الذي يملكه ضدك؟»

«لا شيء». قلت لك إنني لم أطعه»

«فلماذا تريد أن تعرف من هو إذن؟»

حدَّق فيَّ بتوتر خفَّ معه كل ضجيج المكان.

«لماذا وثق بك ليخبرك بنيتة في قتلي؟»

تجمّدتُ، وحدَّقْتُ في عينيه الحادتين. إيهاب كان أكثر وعيًا مما ظننت.

«سعد؟»

شعرتُ بضربات قلبي تصطدم بأذنيّ، وتتصاعد بصخب كبير. شعرت بالاختناق، وغطّيت وجهي وأنا أعصُّ على شفّتي غضبًا.

وليد سابقا

خلال الفسحة، جال وليد بنظره في ساحة المدرسة، يبحث عن سعد في المكان المعتاد قرب الزاوية. لكنَّ سعدًا لم يظهر في أي مكان. وبينما يتَّجه نحو المقصف، مازًا بتجمُّعات من الطلاب، ناداه صوت: «وليد!»

استدار فرأى حسام مرتديًا ملابس رياضية، غارقًا بالعرق، كأنه خرج لتوه من التمرين.

قال حسام، مشيرًا إليه أن يتبعه: «أبحث عنك منذ وقت. أسرع، إنهم في الانتظار». ثم انطلق يعدو نحو الصالة الرياضية.

تبع وليد خطاه مرتبكا حتى بلغ مكتب الأستاذ عبد الله. تطلُّ الغرفة على ملعب كرة القدم من خلال نافذة مستطيلة من الزجاج. ولدهشته، كان الأستاذ عادل جالسًا قبالة الأستاذ عبد الله.

استقبله الأستاذ عادل بابتسامة دافئة: «وليد! كيف حالك يا بني؟» وأشار إلى الكرسي الفارغ المقابل له.

دفعه حسام بخفة، وقد اتسعت ابتسامته: «اذهب»

سأل وليد بتردد وهو يجلس: «هل كل شيء على ما يرام؟»

نادرًا ما يأتي الأستاذ عادل من المرحلة الابتدائية إلى هنا، إلا إذا وقع أمر كبير يخص فريق المدرسة. تولَّى قيادة البرنامج منذ بدايته، وسيطر الفريق تحت إشرافه على البطولة سبع مرات سابقًا.

قال الأستاذ عبد الله: «أصرَّ حسام على استدعائك»

خفق قلب وليد بقوة. أعادت إليه ابتسامة الأستاذ عادل ذكرى الصورة
المؤطرة التي أشار فيها بفخر إلى ماجد إسماعيل.
خرج صوته مشوباً بالحماسة: «هل تختارونني للفريق؟»
«هم»

التفت الأستاذ عبد الله نحو الأستاذ عادل، الذي أوماً إيماءة طفيفة،
وقال: «نعم»

أحاط هواء منعش بقلب وليد... مهلاً! الفريق مكتمل.
سأل، وقد وجه نظره نحو حسام، محاولاً كتم فرحته تحسباً للخذلان:
«أليس الفريق مكتملاً بالفعل؟»
تبسم حسام.

أطلق وليد ضحكة متوترة وقال: «لا أفهم... ما الذي يحدث؟»
شرح الأستاذ عبد الله: «بطولة البرنامج تبدأ بعد انتهاء الاختبارات
بشهر. إن رغبت في الانضمام، ينبغي أن تكون متفرغاً للتدريبات فور انتهاء
الاختبارات. هل أنت مستعد؟»

صاح وليد: «نعم! نعم، بالطبع!»
ابتسم الأستاذ عادل مجدداً، بينما دفع الأستاذ عبد الله بورقة نحو وليد.
كانت استمارة إذن لتوقيع ولي أمره، رغم أن وليداً كان يعلم أنه سيوقعها
بنفسه لاحقاً. وبينما تسمّر نظره في الورقة، امتدت يد نحوه. يد حسام،
ممسكة بشارة القيادة الحمراء.

سكنت الغرفة فجأة. فغر وليد فاه، وحذق مجدداً بالأستاذ عادل، يبحث
في عينيه عن تفسير.
«أنا؟ لماذا؟»

حسام طالب في السنة الثالثة. ومعظم الفريق مكوّن من لاعبين يعرفهم
وليد شخصياً، وجميعهم أكبر منه. ما الذي يجعلهم يقبلونه قائداً؟

قال الأستاذ عادل بلطف: «لم يُحَسِّم شيء بعد يا بني، رغم بقيني بأنك مناسب تمامًا لهذا الدور، نحتاج إلى اختبار الأمور في التدريب»
تثاقلت ساقا وليد. الأمر لم يكن مزحة. لقد فكروا فيه بجدية كقائد للفريق. قبل أيام، لم يتخيل حتى أنه سينضم هذا العام، والآن، أصبح القائد؟

سأل الأستاذ عادل: «هل يمكنك فعلها؟»
(...)

ضغط الأستاذ عبد الله: «هل تستطيع أم لا؟»
وضع حسام يده على كتف وليد، كأنما يشبهه.
«نعم... نعم، أستطيع»

صاح وليد وقد أغلق باب المكتب خلفها بصوت صرير: «ماذا كان ذلك يا رجل؟!». ارتدت كرة قدم في البعيد، وتردد صداها داخل الصالة الرياضية.

أجاب حسام بابتسامة عريضة: «كان الأمر مضحكًا. وجهك كان مضحكًا»

وحين بدأت الصدمة تنقشع، أدرك وليد ما يعنيه ذلك بالنسبة لحسام.
تمتم: «آ...»، وقد رمق الباب بنظرة سريعة قبل أن يلتفت إلى حسام ويتابع: «أستطيع إبلاغ الأستاذ عبد الله...»
قال حسام وهو يهز كتفيه: «بمَ سبيلغه؟»
«حسام، لا أريد أن آخذ مكانك»

أجاب حسام بصوت تغمره البهجة: «لا بأس!»
«لا! أنت قائد أفضل مني»

كان وليد بعني ما يقوله. حسام يعرف كيف يقود، ووليد ظلّ دائماً يتأرجح بين الإعجاب به والحسد منه.
جذبه حسام نحوه.

احتجّ وليد: «الأمر غير صائب، لا بد أنهم ارتكبوا خطأ»
قال حسام، وقد فتح باب الصلاة وأشار لوليد أن يخرج: «أنا من طلبت منهم ذلك»

سأل وليد وهو يخطو إلى ضوء الشمس: «لماذا؟». رُكّلت كرة إلى خارج مجال الرؤية، وتبعها صوت ينادي بتمريرة أخرى. أغلق الباب خلفها، فخفت صوت المباراة.

ضربت الفكرة صدر وليد كأنها لكمة. حسام يشعر بالشفقة تجاهه، ولهذا السبب، تبخّر شعوره بالفرح، وخلفه الغضب: الشائعة التي نشرها جمال قبل سنوات... لا بد أنها وصلت إلى حسام.

استدار فجأة ودفع باب الصلاة، عائداً إلى الداخل بعنف.
ناداه حسام: «هيه، إلى أين تذهب؟»

قبل أن يتمكن من الرد، اصطدم شيء بوجهه، فترنّح إلى الخلف، فها ذهبت الكرة بعيداً.

صاح أحدهم: «آسف كابتن»

ركل حسام الكرة نحو اللاعبين وجثا بجانب وليد: «أح... هل أنت بخير؟»، مدّ يده لمساعدته. لكن وليد تجاهلها، ما دفع حسام إلى هز رأسه والجلوس بجانبه، عاقداً ساقيه.

ضحك حسام بخفة وقال: «ما مشكلتك يا رجل؟»

«تظنُّ أنني أضحوكة، أليس كذلك؟»

ردّ حسام بابتسامة: «في هذه اللحظة أراك غيباً»

قال وليد وهو يضغط على شارة القيادة: «لست حالة تستحقُّ الشفقة. لست كذلك. سأردُّ لهم المال»

بدا الارتباك في ملامح حسام صادقاً: «عمّ تتحدث يا بني آدم؟»
قال وليد ضاغطاً على الشارة: «أعرف أن هناك سبباً جعلك تمنعني هذه.
لا أحد يفعل شيئاً لطيفاً دون مقابل»

حدّق فيه حسام بنظرة قاسية وقال: «أنت محق. أنا أفضل منك»
انقبض وجه وليد وسأل وهو يهز الشارة: «فلماذا رفضتها؟»
تنهد حسام، ثم سأل: «كم بطولة فرزنا؟»
«ماذا؟»

«أجب فقط»

«سبع بطولات»

«وكم لاعباً صار محترفاً من هذا البرنامج؟»

استحضر في خاطره ماجد إسماعيل ثم قال: «واحد»

«الفرص ضئيلة يا وليد. بالنسبة لي، وللجميع. لا أريد أن أضيع وقتي
في مطاردة شيء لا أظن أنني أرغبه. أدركت الأمر يوم أمس خلال المباراة في
الحديقة. عرفت حين راقبتك أنني لا أملك ما تملك»

«لقد خسرنا تلك المباراة»

«لكنك صعبت الفوز علينا»

«أحقاً فعلت ذلك؟»

تحوّل نظر وليد إلى الملعب، حيث كان فريق المدرسة يلعب. سجّل
أحدهم هدفاً، وتعالّت الهتافات.

قال حسام وهو يتسم بمكر: «إن كنت ستستمر في الشك بنفسك،
عد إلى المكتب وأخبرهم أنك لا تستطيع. وإلا، فكفّ عن إضاعة الوقت
واذهب لقيادة أولئك الحمقى»

ابتسم وليد، وأوماً. ربت حسام على ظهره وبهض، ثم مدّ يده: «حظاً
موفقاً، أيها الكابتن».

ارتيمت في مقعد السائق، والعرق يتصبب من جبيني تحت شمس الظهيرة
التي كانت تضرب الزجاج الأمامي بقسوة. تأخر إيهاب كثيرًا في محل البقالة،
بالكاد أبقى عيني مفتوحتين، وعقلي ما يزال متشابكًا بكل ما حدث. خارج
السيارة، بضع طلاب يتسكعون، يضحكون ويتهازحون، يتنقلون بين المتجر
والمخبز المجاور.

راقبت الباب، وأصبعاي ينقران عجلة القيادة بنفاد صبر. كل ثانية أثقل
من سابقتها، كأنَّ الحرارة تضغط فوق صدري. راقبت الوجوه في الخارج،
وأحسست أنَّ كل نظرة قد تعني أنني أخطئ في (المجهول).
فُتِحَ الباب، ودخل إيهاب حاملًا كيسًا ناولني منه عصير برتقال. أمسكت
بالزجاجة، شعرت ببرودتها، ثم توقفت يدي عند رأس الغطاء.

لاحظ إيهاب ذلك، ففتح زجاجته وشربها دفعة واحدة، ثم تجشأ؛ وقال
منزعجًا: «إذن، من الآن فصاعدًا، لن نتمكن من الشراء من المقصف. لا
بأس، طعامهم سيئ على أي حال»

مدَّ يده داخل الكيس وأخرج شوكلاتة تويكس.

سألتُ بخيرة: «لم تتصرَّف وكأنَّ كل شيء طبيعي؟ تعرف أنني قتلت
فهد، ومع ذلك تأكل كأنَّ شيئًا لم يكن»

ترك التويكس، وعيناه تتفحصان وجهي.

سألت: «ماذا؟»

رد: «قتلت فهد... ولكنك أنقذت حياتي»

سمعتُ صوت سيارات الشرطة يقترب، فأمسكت بمقود السيارة بشدة.

قال وهو ينظر إلى النافذة الخلفية: «ابقِ مكانك، إنهم يمرون فحسب»

ما يزال قلبي ينبض بشدة، ولا أعلم إلى متى يمكنني أن أتمالك نفسي.

أشعر بالخوف دائماً، مثل الجبان الذي ظللته طوال عمري. لم ظننت أن

بإمكاني احتمال كل هذا!

«لن يكتشفوا الأمر»

«وكيف عرفت؟»

«لقد مضى... كم؟ خمسة أيام منذ وفاته؟ لو اشتبهوا أنه قُتل، لكنا عرفنا»

فتح الباب، واتجه نحو سيارته في موقف المدرسة، لكنني شعرت بحاجة

إلى إيقافه. لا يمكنني البقاء وحدي الآن.

قال بضم ممتلئ بشطيرة دجاج: «يجب أن أعترف أنه ذكي، فقد جعلك

تقوم بكل الأعمال القادرة، في حين ظل هو آمناً في الظل»

«اخفض صوتك!»

ثم نظرتُ حولي داخل المطعم، وإلى الطاولات القريبة.

خفّض صوته إلى همس وقال: «أقول رأيي فقط»

«هل أصبحت الآن في صفّه؟»

هزّ كتفيه وأجاب: «لا. أظن أن من المفيد أن نعرف نوع الشخص الذي

نتعامل معه فقط»

«كيف يمكننا معرفة هويته؟»

أخذ إيباب قضمة أخرى، ونظر إلى طبقه، ثم سرق قطعة بطاطا مقلية

من طبقه.

«وماذا عن حسابه في الإنستجرام؟ ألا يمكن للشرطة تعقبه؟»

«على الأرجح لا»

«لكن من المفترض أن يجذوه، سمعت أن لديهم قراصنة حاسوب وما إلى ذلك»

ضحك إيهاب حتى بصق قليلاً.

«ماذا؟»

«عني أنهم يستطيعون تتبع بياناتك؟ نعم، يستطيعون ذلك»

«حسنًا، ربما نبلغ عن الحساب دون كشف هويتنا، و...»

«وماذا ستخبرهم؟ أنه ساعدك على قتل فهد؟»

أوماً بازدرأ حين نطق بكلمة (قتل).

أدركتُ ما يقصده. ابتلع إيهاب لقمة ثم تابع: «في كلتا الحالتين، حسابه

مجهول على الأرجح لسبب وجيه. لا يبدو غريبًا، لذا على الأرجح يستخدم

شبكة VPN، ما يجعل تتبع عنوان الآي بي الخاص به مستحيلًا»

ثم ارتشف من مشروبه الغازي طويلًا وأضاف: «وفي كلتا الحالتين، لن

ترغب في أن يُقبض عليه»

«لأنه سيجرني معه إلى القاع»

«بالضبط»

«فما الذي يجب أن أفعله الآن؟ أجلس وأشاهد محاولاته لقتل عائلتي

مجددًا بحيله السخيفة؟»

«هل لديك كاميرات حول منزلك؟»

«لدي»

فكرت في ذلك، بل وراجعتها، لكنها لا تعمل. وُضعت للزينة فقط.

سأل إيهاب، مرتبكًا: «ألم تتحقق منها؟»

«إنها... لا تعمل، طلبتُ من والديّ إصلاحها. وماذا عن المدرسة؟ هل

فيها كاميرات؟»

توتر فجأة ثم قال: «لا، لا توجد. آه، لو كان هو من قام بالتسميم، لكان الأمر أسهل. على الأقل كنا سنتمكن من الإمساك به»
صمت، وتوتر، ثم لمع بريق في عينيه وقال: «إلا إذا...»
ابتسم لي كأنه ينتظر أن أقرأ أفكاره.
«إلا إذا ماذا؟»

«هل سمعت عن تيد بندي؟ أو أي قاتل متسلسل في التاريخ؟»
«هممم... شاهدت فيلم زودياك مع وليد ذات مرة»
«حسنًا، الفكرة أن القتلة المتسلسلين يحبون العودة إلى مسرح الجريمة ليعيشوا اللحظة من جديد»
أشعرتني فكرة كهذه بالغثيان. أحاول ألا أفكر بجثة فهد، ولكنها تطاردني كلما حاولت النوم.
«فهل سيكون من الجنون أن نقترح أن (المجهول) بما أنه لا ينفذ القتل بنفسه، سيحاول أن يشهدا حين تحدث؟»
كنت وحدي في الفصل حين وضعت قطرات العين في حليب فهد. لم يكن أحد هناك. لكن عندما عُثر على جثته... وُجد كثيرون، ما جعل من المستحيل معرفة من هو (المجهول).
«هذا غير منطقي»

ابتسم وقال: «ولكن الأمر يستحق المحاولة»
«كيف؟»
«إذا كنت تريد منا أن نعرف من هو، فعليك أن تزيل الحظر عنه... وتخبره أنك ستقتلني»

حدقت فيه بعينين ضيّقتين، وسألت: «ثم ماذا؟»
«ثم، في الفسحة غداً، ستقتلني... أمام الجميع»

وليد سابقا

هل هذا حقيقي؟ لم يصدّق وليد الأمر.
حين عاد إلى الفصل، مرّ بالطلاب، ولاحظ طاولة سعد فارغة، ثم اتجه
إلى الخلف وجلس.
دسّ يديه في درج الطاولة، والشعور بالأمل يتصاعد في صدره. لطالما
آمن أن الأشياء الجيدة لا تحدث له، لأنه لا يستحقها.
ربما هذا صحيح. ربما لا ينبغي لأمثاله أن يكونوا سعداء. أخرج يديه من
الدرج، وأسند رأسه وأغمض عينيه.
فكر قبل أن يغفو: هل سيسامحني رامي؟

حين استيقظ بعد ساعة، ظلّ مقعد سعد خاليًا. أين هو؟ الطلاب أمامه
حجّبوا عنه الرؤية. نهض وليد ليتبيّن الأمر بشكل أفضل، وما تزال كتب
سعد على الطاولة.

سأله الأستاذ قاسم: «ماذا؟»

جلس وليد وقال: «لا، لا شيء»

سأل يزن: «هل سيسمحون لنا بالخروج مبكرًا مثل البارحة؟»

أجاب الأستاذ قاسم بفتور: «لا أعلم»

«ينبغي عليهم ذلك يا أستاذ قاسم، حتى نبدأ الاستعداد للاختبارات
النهائية»

ضحك الأستاذ قاسم، وتبعه بعض الطلاب بالضحك، وهم يرمقون
يزن: «وهل تدرس أنت؟!»

يزن من أولئك الذين يظنون يتحدثون عن امتلاك والده لأسواق
الريحان، وكان أول من أخبرهم أنه يخطط لبيعها بأكثر من خمسة عشر مليون
ريال. لم يبدُ ذلك الرقم واقعياً بالنسبة لوليد. هل سيتمكن من استيعاب مثل
هذا الرقم حين يصبح لاعباً محترفاً؟ مال كهذا قد يغير حياته إلى الأبد...
رغم أن هدفه الرئيسي يتمثل في اللعب، ولكن المال مهم.

هل سيتغاضى والده، وأخوه محمد، عما فعل مقابل المبلغ؟ هل سيتغيرون
إذا اشترى لهم منزلاً؟ منزلاً كبيراً مثل منزل العم منصور؟ هل سيفغرون له
ما فعله برامي؟

فُتِحَ الباب بقوة، ودخل أحمد مبتسماً ابتسامة عريضة، وأخبرهم أنه حان
وقت الانصراف.

حين خرج من المدرسة، وقف خارج البوابة، وألقى نظرات متقطعة إلى
سيارة سعد المتوقفة بعيداً في مواقف المدرسة.

أين هو؟

ظَلَّ في مكانه حتى غادرت معظم السيارات. لم يبقَ طالب قرب البوابة
أو قادمًا منها. في تلك اللحظة، داهمه شعور حاد، صوت داخلي يهمس أن
ثمة خطباً ما.

ركض إلى الداخل، وقد خيم الصمت على الممرات، لا تقطعه سوى
أصوات الخطوات، ليست خطواته وحده، بل خطوات بعيدة، في الأعلى.

ناداه: «سعد!»

صاح المستشار من مكتبه: «هيه! لماذا ما تزال هنا؟»

«آآ... نسيت شيئاً، لن أتاخر»

مرّ بعدة مكاتب متجهًا نحو الدرج، فرأى شخصًا... لم يكن سعد. إنه جمال.

أظهرت لمحة سريعة توتر جمال، ورائحته تفوح بالعرق، وثوبه عليه بقعة بلل كبيرة كما لو أنه سقط في الحمام. أسرع جمال في السير وتجاوزه. ركض وليد في الاتجاه المعاكس نحو الحمام، ينادي سعدًا.

عاد إلى الفصل. لم يجد سعد، وما تزال كتبه كما رآها سابقًا. خرج مجددًا، نظر إلى اليمين ثم اليسار... الحمام! أسرع واندفع نحو الباب.

«سعدا»

لا أحد عند المغاسل...

تقدّم إلى الداخل، ونادى مجددًا، مرّ على الأبواب، يدفع كل واحد منها حتى بلغ الأخير جهة اليسار. اصطدم الباب بشيء، بشخص.

«سعد؟»

رآه جالسًا على أرض الحمام، يحتضن ركبتيه، ويرتجف. اتسعت عينا وليد وقال: «ما هذا؟» شعر سعد مبتل، وثوبه أيضًا، وأنفه محمر، وشفته العليا متورمة، وكفه الأيمن عليه خطوط حمراء من الدم الذي بدا أنه كان يمسحه.

صرخ وليد وقد تردد صدى صوته في المكان: «ما الذي حدث!»

ضمّ سعد نفسه أكثر، وتجنّب النظر إليه.

أمره وليد: «انهض!»

ولكنه لم يتحرك.

سحبه وليد من يده وقال: «قلت لك انهض!» ثم أخرجه وسأله: «من فعل هذا بك؟»

لم يجب سعد.

«هل فعلها جمال؟»

سحبه من ياقة ثوبه وقال: «تكلم»، فبدأت شفتا سعد ترتجفان.
قال بصوت متحشرج، ثم اختنق بالبكاء: «طلبت منه أن يتوقف عن
الحديث عنك»

أقلت وليد ياقة ثوبه. بات الأمر واضحًا. أراد سعد أن يوقف جمال عن
وصف وليد بالمتسول.

بكى سعد: «أنا آسف...»

«اصمت»

«أردت الدفاع عنك حقًا»

استمر في البكاء، يمسح عينيه بكفه الملطخ بالدم. شعر وليد بقرف محض
نجاهه. كل هذا كان خطأ سعد منذ البداية. حين كانا في الصف الأول، كان
عليه أن يقف معه في وجه جمال، كان عليهما أن يُسكتاه في حينه، لا بالكلام،
بل بالفعل.

أمسك وليد يد سعد، وسحبه خارجًا، والغضب يشتعل في عينيه.

وصلتُ إلى مرحلة في حياتي يطلب فيها شخص مني أن أقتله، والإجابة الوحيدة التي أستطيع تقديمها هي إيباء موافقة ضعيفة وجبانة. سيجد وليد ذلك مضحكًا.

الخطّة التي اقترحها إيباب:

1. رفع الحظر عن (المجهول)

حين أخبرني بذلك، شعرت بالامتنان لأنني تركت هاتفي في المنزل. في الواقع، تفرض المدرسة قاعدة تمنع الطلاب من إحضار هواتفهم، بالطبع... لكن من كلام إيباب، بدا أن معظمهم يحتفظون بهواتفهم في سياراتهم. أما أنا فلم أفعل، لذا انتظرت حتى أوصلت إيباب إلى سيارته، ثم عدت إلى المنزل.

فتشت بين أغطية السرير بحثًا عن هاتفي، وفتحته بارتباك، متخيلاً ما قد يحدث إن فشلت هذه الخطّة. الشرطة؟ محاولة تسميمي؟ إخبار عائلتي بما فعلته؟ أو محاولة تسميمهم من جديد؟

تملكني الغضب فجأة من محاولته الأخيرة. تلك الصينية اللعينة من المعكرونة، وكيف أمكن له أن يؤذي والديّ. أكرهه... أيّا يكن، أكرهه، وإنني مستعد لفعل كل ما بوسعي لإيقافه.

رفعتُ الحظر.

2. أخبره أن إيباب يعلم وأنا بحاجة لقتله

بدأت الكتابة بحذر، وصوت إيهاب يرن في رأسي: «كن مقنعًا»

سعد: مرحبًا؟

لا شيء، لثوانٍ قليلة.

سعد: كنت محققًا. الشرطة لم تكتشف شيئًا

أنتظر ما بدا وكأنه دهر.

يبدأ (المجهول) بالكتابة، وقلبي يخفق.

المجهول: أخبرتك بذلك

(قل له إن إيهاب بدأ يطرح الأسئلة)

سعد: إيهاب بدأ يطرح أسئلة، وأظنه ما يزال يشتبه بي

المجهول: علمت أنه سيفعل ذلك. كونان الأحمق

سعد: أعتقد أنني أقنعته اليوم بأنني لا علاقة لي بك أو بفهد

المجهول: وماذا بعد؟

سعد: لا أعرف كم سيصمد هذا... أعتقد أننا بحاجة لقتله

المجهول: نعم، هذا ما أردت قوله لك

سعد: كيف أفعل ذلك؟

المجهول: هل رأيته يجلب طعامًا أو ماءً معه مبكرًا؟

سعد: لست متأكدًا، أظنني رأيت علبة ماء على مكتبه

المجهول: قبل الحصة الثالثة أم بعدها؟

سعد: قبل

المجهول: أما تزال تحتفظ بقطرة العين؟

سعد: نعم

المجهول: حسنًا. إيهاب ما يزال في الإذاعة الصباحية. تعال باكراً غدًا،

اذهب إلى الحمام وانتظر حتى يصل، ثم تحقق إن ترك طعامًا أو شرابًا على

مكتبه.

سعد: ماذا لو لم يجلب شيئاً من الخارج واشترى من المقصف؟
المجهول: إن اشترى شيئاً من المقصف وأحضره معه إلى الصف بعد ذلك
المجهول: سيفادر مكتبه في نهاية المطاف للحمام أو الصلاة. يمكنك وضع
السم حينها، لا أظن أن أحداً سيلاحظك.

هذا مثالي. هذه الخطة أفضل مما اقترحه إيهاب، لأنني في أثناء خلط قطرة
العين بهاء إيهاب، سيراقبني (المجهول) داخل الصف، مما يعني أنني سأعرف
أيام الطلاب هو.

سعد: حسناً

صمتت لوهلة، متردداً إن كان هذا هو الوقت المناسب لسؤاله عن صينية
المعكرونة، لكنني أخشى أن يرتد الأمر عليّ، خصوصاً وأنا على وشك
الإيقاع به.

ثم أرى (يكتب...)

المجهول: سعد... إن اكتشفت أنك تحاول فعل شيء سخي، أعدك
أنني سأجد طريقة لقتل والديك هذه المرة فعلاً.

كتمت غضبي، وأخذت نفساً، ثم بدأت الكتابة...

سعد: أريد قتل إيهاب، ثم البقية ممن آذوا وليد. هذه كانت خطتنا.

أرسلت الرسالة، وشعرت بدفقة من الحماس تتسلل إلى عروقي.
سنمسك بهذا الحقيير غداً.

وليد سابقا

احمّرت عيناه غضبًا وهو يجر سعدًا معه خارج المدرسة. فحص موقف السيارات بأنفاس متقطعة، بحثًا عن سيارة جمال فلم يجدها.

قال، وهو يقود سعدًا إلى السيارة: «أعطني المفاتيح!»

تلثم سعد: «أستطيع... أستطيع القيادة»

«أعطني المفاتيح!»

سلمها سعد دون كلمة أخرى. فتح وليد باب السائق بعنف، وقفز إلى الداخل، وأدار المفتاح بقوة حتى زار المحرك.

قال سعد بضعف ووليد يضغط بقدمه على دواسة الوقود، دافعًا بالسيارة خارج الموقف: «لقد ذهب إلى المنزل».

عرف وليد أين يجده. لقد رأى جمالًا مرات عديدة بعد المدرسة في المحلات على طريق عودته للمنزل، ومع اقترابهم، تأكدت شكوك وليد: جيب همر جمال الأصفر يغادر الساحة.

توسل سعد، وصوته بالكاد يُسمع بسبب زئير المحرك: «وليد، فلنعد إلى المنزل. أرجوك»

لم يجب وليد. تبع جمال، وقبضته تشد على عجلة القيادة وهما يغادران الطريق الرئيسي ويدخلان حيًا هادئًا. الشوارع ضيقة، تصطف على جانبيها السيارات المتوقفة، مما يجعلها تزداد ضيقًا. ضغط وليد على بوق السيارة بقوة، لفترة كافية لجذب انتباه جمال، لكن الهمر واصل التحرك.

قرر وليد تجاوزه ضاغظاً على دواسة الوقود حتى النهاية، انحرف أمام
الهمر الأصفر وضغط على المكابح فجأة بزاوية حادة، ساداً طريق جمال.
أصدرت الإطارات صريراً، تاركة علامات سوداء على الإسفلت.
صاح سعد: «توقف يا وليد»، ولكن وليد خرج بالفعل من السيارة،
تاركاً المحرك يعمل. انقبضت قبضته بإحكام وهو يسير نحو جمال.
ما يزال جمال جالساً في الهمر، يحدق فيه من أعلى. طرق وليد بقوة على
نافذة السائق.

أشار جمال بغضب: «ما هذا الهراء؟»
صرخ وليد، طارقاً بقوة أكبر: «افتح النافذة!»
هدر جمال وهو ينزل النافذة قليلاً: «يا ابن ال... لا تلمس الزجاج. ماذا
تريد؟...»

انطلقت يد وليد إلى الأمام، قابضة على ياقة جمال. كان رد فعل جمال
فورياً، فأنحأ باب السيارة بكل قوته، ومطيحاً بوليّد على الأرض.
لسعت حرارة الإسفلت الحشن يدي وليد وهو يحاول الوقوف مجدداً.
تأرجحت يده عشوائياً، وأصابته قبضته أنف جمال، ولكن الفتى الأكبر رد
بسرعة ودفعه إلى الأرض مرة أخرى.

تجاهل وليد تهديدات جمال، وانقضّ عليه مجدداً، ودفعه إلى جانب الهمر
ثم تبدّلت السيطرة فجأة، ووجد وليد نفسه أسفل، تحت ركبة جمال التي
تضغط على صدره.

قال جمال بسخرية وهو يسحق وليد: «أنت قليل أدب يا متسوّل. ربما عليّ
أن أريك»

وقبل أن يتمكن وليد من الرد، مزّق الهواء صراخاً، وتبعه صوت ارتطام.
تناثرت بقع دم على وجه وليد، واختفى الضغط عن صدره. سقط جمال إلى
جانبه يتأوّه، ويداه تعتصران رأسه بذهول.

كان سعد واقفاً فوقهما، يمسك بيديه المرتجتين قضيباً حديدياً، وعينه
الواسعتان تشتعلان بالكراهية الخالصة، والمعدن يلمع احمراراً تحت شمس
الظهر.

لم يتوَّ سعد بعد.

امتدَّ موقف السيارات الخالي تحت الضوء الباهت. نقرت على المقود،
وعيناي تتفحصان المرأة الخلفية، وينهشني الشعور بأن أحداً يراقبني. ابتسم
إيهاب إلى جانبي.
«ماذا؟»

«أشعر وكأننا على وشك سرقة بنك؛ الأمر مثير نوعاً ما»
لم أشعر بأي متعة. بل أثقلني شعور أن لدي الكثير لأخسره أن لم أكتشف
هوية المجهول في أسرع وقت ممكن..
أمسك إيهاب بعلبة الماء، ونزل متجهاً نحو سيارته المركونة بعيداً في طرف
موقف السوبرماركت. راقبته وهو يغادر، يذوب وسط الزحام متجهاً نحو
المدرسة.

بعد عشر دقائق، لحقت به. بدأ الموقف يستقبل عدداً أكبر من السيارات
الآن. حملت كتي المبعثرة وعلبة الماء شبه الفارغة، وتسللت عبر البوابة،
وقلبي ينبض بعنف، آملاً ألا يوقفني أي معلم.
في الطابق الثالث، رأيت صفنا، الثالث ج، في نهاية الممر. سرت ببطء،
أصغى لأي حركة في الغرف الفارغة. لا صوت. فتحت الباب، ووجدت
عيد، صديق مازن، مطأطي الرأس على الطاولة، نائماً أو متظاهراً بالنوم.
تسارعت أفكاري، هل يمكن أن يكون هو (المجهول؟) ربما يظنني غيباً
لدرجة أنني لن أشك فيه.

تصرفت كأن شيئاً لم يكن، أدبرت ظهري له وجلست على طاولة إيهاب.
فتحت علبة ماء إيهاب تحت الطاولة، سكبت القليل منها على الأرض،
وأعدت ملاءها من زجاجتي؛ تلك الخالية من الفطرات. أغلقتها، رجعتها
قليلاً، وأعدت وضعها كما كانت.

عند خروجي، تعمّدت جعل خطواتي مسموعة. في الخارج، جررت
قدمي حتى وصلت إلى الدرج، وعيناي تتفحصان المكان بحثاً عن أي
نظرات. لا أحد، سوى معلم في الطابق الأول، عيناه غارقتان في شاشة
هاتفه، يحتمي قهوته.

عدت بخطوات هادئة، وتسليت بأنظاري عبر زجاج الباب لأرى ما
إن كان عيد يعبث بطاولة إيهاب، ولكنه لم يكن كذلك؛ ما يزال في مكانه.
دخلت دورة المياه، أترقب وأصغي لأي حركة.

الوقت مبكر، والمرات غارقة في السكون.
باغتني إيهاب وهو يخرج من أحد الحمامات: «ها؟»
«لماذا أنت هنا؟»

تجاهل سؤالي، وتطلّع عبر زجاج باب الحمام.
سألته: «هل رأيت عيداً؟»

«لا أظنه هو»
جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص
«وكيف عرفت؟»
«يتناول أدوية...»

«اختبئ»

نظرت بجانبه لأرى أحدهم يصعد الدرج، ويحمل كتاباً محزّمة.

قال إيهاب: «دحمي، لم يحضر منذ وفاة فهد»

قفز ذهني إلى اليوم الأول. سمعت عيداً ومازناً يتجادلان في أمر ما. لكن
ما هو؟ لم أستطع التذكر. لكنني تذكرت أن مازناً وعيداً ودحياً تشاجروا مع

فهد ذلك اليوم. كانوا في الأسفل، داخل الخيام الذي عُثر فيه على جثة فهد بعد أيام.

قلت، وأنا أبعد إيهاب مع اقتراب دهمي: «أعتقد أنك مخطئ. أظن أن لهم علاقة بموت فهد»

رمقني بريبة.

«رأيتهم يتشاجرون مع فهد في يومي الأول هنا»

«أتظن أن أحدهم هو (المجهول)؟»

أومأت إيجاباً.

أدار إيهاب رأسه جانباً، والفكرة تتشكّل في رأسه، ثم قلت: «هذا غير منطقي. لن يقتل دهمي ابن عمه»

«لكن ماذا لو فعل؟ رأيتهم يطاردون فهداً في اليوم الأول. بدا الأمر جاداً»

«لماذا يطاردونه في المدرسة؟ لديهم أرقام بعضهم بعضاً على الأرجح. ودهمي يعرف أين يسكن فهد»

«ربما لم يرد فهد التحدث إليهم بعد تلك الليلة»

«هل رأيت أياً منهم في تلك الليلة؟»

«لا، فهد فقط»

صمتُ، متذكراً كيف أسرع نحوي في تلك الليلة، والرمال تتطاير في الظلام، ثم أضفت: «كان يهرب منهم»
«ماذا؟»

«كان يهرب منهم في ذلك المخيم. من المنطقي أنهم لم يتمكنوا من التحدث إليه حتى بدأت المدرسة»

«لم قد يهرب منهم؟»

هزرتُ كتفي، محبطاً. بدت الأجوبة بعيدة المنال.

سأل إيهاب: «وماذا الآن؟»

«سنستمر في الخطوة. ما زلنا لا نعرف ما إذا كانوا هم (المجهول) أو على صلة به»

اختلستُ النظر مجددًا، لأرى رواقًا فارغًا. دخل بعض الطلاب في الطرف البعيد فصلًا قرب الدرج.

ثم أضفت: «ولا تشرب قارورة الماء تلك الآن. قد تكون مسمومة من قبل عبد أو دهمي. انتظر حتى الفسحة، وسأحضر لك واحدة جديدة...»
أوقفتني نظرة إيهاب المذهولة.
«لقد قتلوه حقًا»

رَكَزْتُ بشكل أكبر، فتابع إيهاب: «إذا كان ما تقوله صحيحًا، فقد أرادوا قتل وليد بشدة، لدرجة أنهم كانوا مستعدين لقتل صديقهم لإسكاته»
لاحظتُ رجفة في أطراف أصابعه. لم يبقَ شيء من الحماس الذي أظهره ذلك الصباح.

وليد سابقا

بدت النظرة في عيني سعد غريبة. اشتعلت في عيني كراهية خالصة وهو يلوح بالقضيب الحديدي من جديد.

صرخ وليد بصوت مرتعش: «توقف!»، ثم نهض متعثراً. رفع جمال ذراعه، وارتسم الهلع على وجهه لحظة ارتطمت الضربة. دوى صوت الارتطام، ثقيلاً تلاه صراخ حاد.

تجمّد وليد، حُبِسَتْ أنفاسه. سكن كل شيء للحظة؛ ضاق العالم حتى صار في حدود صدر سعد المرتجف، والقضيب الذي يرتجف في يديه، وجمال الملتوي على الأرض. نظر وليد إلى سعد، صديقه المقرب، لم يكذ يتعرّف عليه تحت قناع الغضب.

خطا سعد خطوة نحو جسد جمال المتهالك. تدلّت ذراع جمال بزاوية مشوهة، ووجهه شاحب، وشعره ملتصق بالدم. فاقد الوعي، أو أسوأ. تبدلت ملامح سعد، انسحب الغضب شيئاً فشيئاً، تاركاً الذعر في محله. لاحقت عيناه وليد، ترجوانه بصمت.

تمتم وليد جاثياً على ركبته بجوار جمال: «إنه يتنفس» ترددت يده فوق جسده، لا تعرفان ما يجب فعله. الدم تقاطر بثبات على الإسفلت، متجمعاً تحت رأس جمال. سُمِعَ خلفه صوت ارتطام المعدن بالأرض، حين أسقط سعد القضيب الحديدي.

ارتجف صوت سعد «ماذا فعلت؟»، ثم علا بالنحيب. أمسك رأسه، والدموع تتساقط بغزارة على وجهه، وكرّر: «ماذا فعلت؟»

أمره وليد، بصوت حاد حاسم: «ادخل السيارة»، ولكن لم يتحرك سعد،
وعيناه معلقتان بجسد جمال المترهل.

صاح وليد: «ادخل السيارة الآن يا سعد»
هزّته النبرة الملحة، فتراجع متعثراً، واستدار، وركض نحو السيارة،
واختفى داخلها.

تسابت أفكار وليد. ماذا أفعل؟ ضغط يديه على رأس جمال محاولاً
إيقاف التزيف. الدم دافئ، ولزج، ولا يتوقف.
دوى صوت من بعيد: «هيه!»

رفع وليد رأسه ليرى رجلين يقتربان. أحدهما أشار بأصبعه، والآخر رفع
هاتفه إلى أذنه. خفق قلبه بقوة. لم تتبق سوى ثوانٍ ليقرر.

نهض فجأة، تعثرت قدمه بالقضيب الحديدي وارتطم بالأرض. لا يمكن
لأحد أن يرى هذا. لا يمكن لأحد أن يعرف ما حدث. التقط القضيب دون
تفكير واستدار ليركض، ولكن يداً أمسكت بكتفه وجذبت به إلى الخلف.

سأل أحد الرجلين، وقبضته محكمة: «إلى أين تظن نفسك ذاهباً؟!»
تردد صوت الرجل الآخر وهو يتحدث عبر الهاتف: «نحتاج إسعافاً،
فوراً»

انفجر الذعر في صدر وليد. التوى بجسده محاولاً الإفلات، لكن القبضة
اشتدت. نظر إلى السيارة فلم يجد سعد.
لقد تركه.

أنا تائه تمامًا. إن كان (المجهول) واحدًا منهم، فلماذا يحثني على «الاستمرار في الخطة» لقتلهم؟

الاستنتاج الوحيد الذي أستطيع الوصول إليه هو أن (المجهول) ليس جميعهم، بل هو واحد فقط، وقد تلاعب بي عبر استغلال غضبي تجاه فهد. حتى قبل أن أذكر له معرفة إيهاب بالأمر، كان (المجهول) يرغب بأن نمضي قدمًا في الخطة. نسممهم؛ نسممهم جميعًا لأنهم قتلوا صديقنا. صديقنا...

عضضتُ شفتي، وألقيت نظرات خاطفة نحو مازن، ثم عيد، ثم إلى ظهر دحي الذي لم يلتفت إليّ ولو لمرة واحدة منذ عودته.

هؤلاء ليسوا أصدقاء وليد، وأحدهم هو (المجهول).

كان يعلم أنني لن أفلت من قتل فهد، وإيهاب، واثنين آخرين، دون أن أثير الشبهات أو أطلق تحقيقًا. كان يخطط للإلقاء في يد الشرطة فور انتهاء كل شيء.

أمامي، يرفض إيهاب النظر إلى الوراء، تمامًا كما اتفقنا. قارورة الماء ما تزال على طاولته. كررتُ مرارًا وتكرارًا ألا يشرب منها، ليس لأنني سممتها، بل لأنني لا أستطيع أن أضمن أن عيدًا أو دحيًا لم يفعلوا.

دخل معلم، وتوقف لحظة حين لمح دحيًا، وقدم له تعازيه. أومأ دحي بإيماءة متييسرة، وساد الغرفة صمت ثقيل.

نظرتُ حولي: عبيد متكئ على طاولته، يبدو وكأنه نائم؛ مازن أمامه يتظاهر
بقراءة كتاب؛ وخلفهم ناصر في الزاوية صرف بصره ما إن التقت نظراتنا.
من تحت طاولتي، مرَّ لي إيهاب ورقة. أبقيت نظري على المعلم حين
التقطتها وفتحتها بأطراف أصابعي.

«انتبه»

وقبل أن أتمكن من الرد، تحرَّك إيهاب في مقعده، ووضع اللعبة بوضوح
على طاولته ليراها الجميع.
هبط قلبي حين رفعها.
همست: «توقَّف!»، ولكنه تجاهلني.

نظرت حولي، محاولاً الحفاظ على مظهري الطبيعي، حين كان إيهاب يرفع
اللعبة نحو فمه، ولمحت مازن يراقب من زاوية عيني.
ثم دوى صوت ارتطام فجائي؛ انزلقت اللعبة، وانسكب الماء على
الطاولة ثم إلى الأرض، حتى بلل أطراف قدمي.

جلسنا على الرصيف خارج جدار المقصف وبالكاد أظلمنا ظلُّ ليحجب
عنا حرارة الشمس. كان معظم الطلاب في الداخل، يستمتعون بالمكيف
ووجبة الإفطار.

امتدَّ الملعب أماننا، خاليًا إلا من بضعة طلاب هنا وهناك.

سأل إيهاب: «إذن، أهو مازن؟»

أغلقت قبضتي يدي بقوة حتى غاصت أظافري في راحتي وقلت:
«كانت خطة غبية»

لا أستطيع الجزم بأي من الثلاثة هو «المجهول». بل لا أستطيع التأكد إن
كان «المجهول» أحدهم أصلاً، ولكنني لم أشعر في حياتي بمثل هذا الانكسار؛
كأنني دمية في يد «المجهول»، يحركني كما يشاء.

الذنب لا يُحتمل. قتلت شخصًا. حتى وإن رغبتُ في موت فهد، فإن
التبرير لا يُخفف ثقل الأمر. إنه ينهشني من الداخل.

وقفت، ونفضت الغبار عن ثوبي وقلت: «خسرتُ يا إيهاب،

قفز واقفًا وقال: «لم تخسر! سنعرّ عليه، أعدك بذلك!»

سأله بهدوء: «وماذا بعد؟»

(...)

«إن أبلغنا الشرطة، فلن يتمكنوا من إثبات أنه (المجهول). وإن لم أبلغ،
واستمررت في تنفيذ خطته، سيلاحظ الناس، وسيفضح هو ما فعلته. في
كلتا الحالتين، سأعتقل»

نظر إليّ بصمت، وعيناه متوترتان. كان يعلم أنني على حق.

قال بصوت خافت: «سيعدمونك»

استدرت باتجاه المبنى الرئيسي وقلت: «أستحق ذلك».

وقف إيهاب أمامي، وذراعه تعترض طريقي: «إلى أين تذهب؟»

«إلى المدير. سأخبره عن (المجهول) قبل أن أغادر»

«لماذا؟»

دفعت ذراعه بلطف، وتقدّمت.

أمسك بمعصمي بقوة وقال: «سعد، أرجوك! والداك... لا يمكنك أن

تفعل هذا بهما»

ضحكت بسخرية مريرة وقلت: «دعني يا إيهاب»

«لن أدعك»

تنهدت، وأفلتتُ يدي، ولكنه أمسك ياقتي، ووجهه لا يبعد سوى

ستيمترات عن وجهي.

صرّ من بين أسنانه: «لقد قتلوا صديقي بالفعل، ولن أدعهم يفعلونها
مجددًا»

تراخت نظراتي، وابتسامتي باهتة، ثم دفعت يديه عني برفق.
قلت، واضعًا يدي على كتفه: «أنا آسف. يسعدني أن وليدًا وجد صديقًا
مثلك هنا»

استدرت نحو البوابة.

تتم: «أنت صديقي أيضًا»، ولكن الريح ابتلعت كلماته بينما مررت عبر
الباب.

للمرة الأولى منذ زمن، شعرت أن جسدي خفيف. الهواء يلامس جلدي.
سيكون الأمر قاسيًا على والديّ، ولكن سيدركان في النهاية أن ابنها قاتل،
وأن حياتها ستكون أفضل بدونه.

إيهاب سيدرك ذلك أيضًا... مثل ما أدرك وليد قبله.

دفعت الباب، ودخلت إلى ممرٍ بارد الهواء، متّجّهاً مباشرة نحو مكتب المدير.

سألني طالب من النظام يجلس على حافة المسرح: «إلى أين تذهب؟» لم أتعرف إليه، لكنني عرفت دحياً الجالس إلى جواره، ممسكاً بشطيرة في يد، وعلبة حليب نصف فارغة في الأخرى.

«مكتب المدير»

«وماذا تريد منه؟»

نهض دحياً، واقترب مني.

تقلبت أمعائي؛ هل ينبغي أن أشعر بالذعر لأنه ربما يعرف، أو يشتبه، بما فعلت بابن عمه؟ أم بالغضب لما فعلوه بوليد؟ لم يعد ذلك مهماً الآن.

قلت بحدّة: «أنا مريض»

اخترق صوت إيهاب الممر وهو يركض نحوي: «سعد!»

صرخ طالب النظام: «أنتم الاثنان، اخرجوا من هنا!»

«نعم، بالتأكيد، علينا أن نخرج...»

اعترضتُ: «الفسحة شارفت على الانتهاء»

ردّ طالب النظام بحدّة: «ما تزال هناك عشر دقائق يا رجل»

شدّ إيهاب كمي، وقال وأنا أزيح يده عني هامساً: «سعد! الأمر مهم»

أصررتُ: «يجب أن أراه»

قال دهمي بتردد: «المدير ليس في مكتبه، ولكن يمكنك انتظاره إن شئت».

وقف إيهاب إلى جانبي بعد أن أقنع دهمياً بأنه من سيقودني إلى المنزل. تلاشى صوته بينما انحدرت أفكاري في دوامة، تركّزت كلها على تلك العلبة من الحليب. أعلم يقيناً أنه بعد عودتي من الطابور، لم تكن موجودة على طاولة فهد.

لم أره يشرب منها. وإن فعل، فكيف استغرق الأمر ثلاث ساعات ليموت؟ لم يظهر عليه أي تعب في ذلك الوقت. أتذكر أن (المجهول) قال إن الموت سيكون بطيئاً ومؤلماً، لكن فهد لم يبدُ متألماً. لقد تناول فطوره خلال الحصة الثالثة، وأخذ حقيقته الصغيرة للأنسولين قبل أن يغادر.

اقتحم صوت إيهاب ذهني: «...هل تفهم؟»

«ماذا؟»

«قلت إنك تحتاج إلى وقت للتفكير! امنح نفسك يوماً فقط قبل أن تهدم كل شيء بهذا الشكل»

«لا أستطيع الانتظار...»

«أنت بنفسك قلت إنك هالك على كل حال! فما الضرر في يوم إضافي؟»

لم أستطع طرد فكرة علبة الحليب من رأسي خلال وجودي في الصف. حاولتُ تذكّر إن رأيت فهد يشرب الحليب مع فطوره من قبل. لا أظن أنه فعل. ادعى (المجهول) أن فهد دائماً ما يجلب الحليب إلى المدرسة، لكن حتى لو صحَّ ذلك، ألن يفسد طعمه بعد ثلاث ساعات خارج الثلاجة؟

لم أرَ فهد يشرب الحليب من قبل. لكنني رأيت دهمياً يشربه اليوم.

رنَّ جرس الحصة السادسة، واندفع الطلاب في الممرات حاملين

حقائبهم، يستعدون لحصة التربية البدنية.

وقف ناصر في الزاوية، يبدّل ملابسه تحت ثوبه.
دخل الأستاذ يحيى وصاح: «ماذا تفعل؟! اذهب وبدّل ملابسك في
الحمام!»

اجتمعنا في غرفة التربية البدنية المقابلة للمقصف. ارتدى معظم الطلاب
ملابس الرياضة، عدا أنا، ودحي وإيهاب وعيد.
استند أستاذ يحيى إلى مكتبه، وفي يده لوح خشبي، وخرج البقية للعب.
نظر إلى إيهاب وسأله: «أين ملابسك الرياضية؟»
كذب إيهاب وقال: «نسيتها». كنت أعلم أن حقيبة ملابسه معلقة على
طاولته.

نظر نحوي: «وأنت؟»
تدخل إيهاب: «إنه جديد»
تمتمت: «أ... أنا أيضًا نسيت»
تنهد أستاذ يحيى، وجلس خلف مكتبه.
لاحظت وجود ثلاثة صغيرة رمادية أسفل الطاولة وعليها بعض
الكؤوس والميداليات.
تمتم: «هذا تحذير أخير لكم جميعًا؛ هل تسمعون يا عيد؟ هذا هو التحذير
الأخير»

همس عيد بصوت بالكاد يُسمع: «حسنًا»
فُتِحَ الباب فجأة، ودخل طارق لاهثًا وقال: «الكرة تجاوزت الجدار»
تمتم أستاذ يحيى: «اذهب واطلب الإذن من أستاذ أحمد وأحضرها»
«أرجوك، أعطنا كرة أخرى الآن، وسنسترجع تلك بعد انتهاء اليوم
الدراسي»

تنهد الأستاذ، ثم أخرج كرة من تحت الطاولة، وركلها نحوه.

«إيهاب، اذهب إلى المدير واطلب إذنًا بإحضار الكرة. البقية يمكنهم الانصراف»

غادر عيد أولًا، ثم تبعه الآخرون.

نادى الأستاذ: «حمد!»

تجمّد دحي، وحين كنت أستعد للمغادرة، نظرت خلفي فرأيت الأستاذ يفتح الثلاجة ويخرج عدّة علب صغيرة.

خرج دحي بعد لحظات، يحمل حفنة من عبوات الأنسولين.

سألت: «هل كانت لفهد؟»

تردد، ثم أومأ وقد دفع بها إلى جيبه: «كانت لعلاج من السكري. لماذا تسأل؟»

تذكرت فهد يومها، وهو يفتّش داخل حقيبتة الزرقاء كأن شيئًا مفقودًا، وسألت: «وماذا عن الحليب؟»

قطّب حاجبيه وسأل: «أي حليب؟»

«دائمًا يجلب الحليب إلى المدرسة، صحيح؟»

قال ولمعت عيناه حزنًا: «إنه لي»

سكتُ، وأفكاري تتسارع.

أمرني (المجهول) أن أسمّم الحليب لفهد. لكن إن لم يشربه، فكيف مات؟

هل سمّم (المجهول) الأنسولين بدلًا من ذلك؟

سألت بانفعال: «ماذا حدث للحليب الذي أعطاك فهد يوم أغمي

عليه؟»

بدا دحي حائرًا: «ماذا؟»

«أرجوك، الأمر مهم»

اعترف، والنفور باد على وجهه: «رميته. لم أطلب منه أن يحضره لي أصلًا»

اجتاحني موجة من الارتياح. لم أقتل فهد، بل «المجهول» هو من فعل.
وربما أصبح لديّ طريقة لفضحه أخيرًا.

اقرب دهمي ووضع يده على كتفي وقال: «سعد... ما حدث بينك وبين
فهد لا شأن لي به. لا أريد أي مشكلة...»

فُتِحَ الباب فجأة، واندفع عدد من الطلاب إلى الداخل، والذعر مرتسم
على وجوههم.

سأل دهمي: «ماذا هناك؟»

«إيهاب لا يتنفس»

الجزء الثاني

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقش



وليد سابقاً

التهمت حرارة الشمس ظهر وليد، وتجمع العرق تحت ثوبه غير المنسول.
واصل السير، وبوابة المدرسة ترتفع أمامه؛ ثانوية أنس بن مالك - مدرسته
الجديدة.

لو عني الأمر له شيئاً، لربما شعر ببعض الامتنان لسماحهم له بتقديم
الاختبارات النهائية في الصيف بعد الإفراج عنه. لربما امتنّ لكونه لن يُعيد
السنة، ولكن ذلك كان من قبل، حين ظن أن مستقبله يعني شيئاً. حين كان
يتسكع مع سعد. ذلك الجبان.

دخل، بخطى مثقلة، أول مكتب وقع عليه بصره. نظر المدير إلى سجل
الحضور وقطب جبينه.

«لقد تغيبت أسبوعاً بالفعل. علينا التواصل مع والدك»

قال وليد بصوت بارد: «أخي توفي».

ارتبك المدير، وتمتم باعتذار، ثم أرسله إلى الصف.

طرق باب الصف الثالث جيم ودخل، قاطعاً درساً في اللغة الإنجليزية.
توقف المدرّس في منتصف الجملة، ممسكاً بالطبشورة أمام اللوح.

سأله بالإنجليزية: «أنت معنا؟»

ناوله وليد ورقة من المدير وأجاب: «نعم»

تجول بنظره في الصف باحثاً عن طاولة شاغرة، لكنه لم يجد سوى وجوه
غير مألوفة. أشار إليه المعلم بالجلوس على طاولة المدرس مؤقتاً.

بدا الدرس مهيناً لطالب في السنة الأخيرة. كتب المعلم: The cat ____ the bird.

توقع وليد الإجابة قبل ظهور الخيارات:

1. Eaten

2. Eat

3. Ate

سأل المعلم: «من سيجيب؟». ارتفعت الأيدي. تجاهل المتحمسين في الصف الأمامي؛ أحدهم ضخم البنية، والآخر بلحية غير مرتبة.

نادى المعلم: «ناصر»

فقال ناصر بحماس: «الحمّام!»

رد المعلم بلهجة متضجرة: «اجلس»، ثم أشار إلى الفتى الضخم: «تفضل يا فهد»

قال فهد بابتسامة ساخرة: «The cat eaten the bird»

تنهد المعلم: «هل من شخص آخر؟»

رفع أحدهم يده أمام ناصر.

«نعم، مازن؟»

ردّ مازن: «الإجابة الأولى»، أما الفتى ذو اللحية، حمد، فرفع يده بعده

وقال: «عليّ الذهاب. النظام»

قال المعلم وهو ينظر إلى ساعته: «تبقت خمس عشرة دقيقة على الغداء»

«أعرف، ولكن يجب أن...»

تنهد المعلم، مشيراً إلى الباب وقال: «حسنًا»، فاندفع حمد نحوه.

نادى فهد: «دحمي!»، ثم رمى له علبة حليب، التقطها حمد وخرج.

اسمه حمد ويلقب دحمي؟

وقف مازن وقال: «أستاذ! أحتاج الذهاب أيضًا. المقصف»

ضيق المعلم عينيه وقال: «أي مقصف؟»

«أعمل هناك.»

أوما عدد من الطلاب تأكيداً.

أشار المعلم إلى فتى مائل فوق طاولته خلف مازن: «أيقظ صديقك أولاً»

قال مازن: «عبد!» ثم هزّه حتى استيقظ ونظر بعينين متعبتين

سأل المدرّس: «هل من أحد آخر يرغب في الإجابة؟»

رفع فهد يده من جديد، لكن المدرّس تجاهله.

قال ناصر: «الخيار الأخير»

ردّ فهد بسرعة: «لا. إجابتي صحيحة»

سأل المدرّس وليد: «أتريد أن تجيب؟»

ردّ وليد: «الخيار الثاني»

بدا المعلم مندهشاً: «أتريد أن تشرح السبب؟»

«زمنه ماضٍ. كلمة Eaten تُستخدم فقط إذا سبقتها has»

«هذا... صحيح. أحسنت. ما اسمك؟»

«وليد»

تمتم الصف بدهشة خافتة، لكنه لم يلقي لها بالاً. لم تكن لغته الإنجليزية

مميزة. لم تكن أفضل من سعد على أية حال.

«توقّف عن التفكير فيه!»

رنّ الجرس، واندفع الطلاب إلى الخارج لتناول الإفطار. تلكاً وليد في

الخروج، وحكّ رأسه. كان بحاجة إلى طاولة، لكنه لا يعرف من أين يبدأ.

رمقه أحد الفتیان في الجهة المقابلة بنظرة.

سأله وليد: «أتريد شيئاً؟»

أدخل الفتى كتابه داخل الطاولة وهزّ رأسه نفياً.

دخل دحي بغضب وقال: «إيهاب! أيها الطالب الجديد! أفرغوا الصف! أريده خاليًا!»

نادى إيهاب: «دحي!»
«ماذا؟»

أشار إيهاب إلى زاوية خلف الباب لا تُرى.
تمتم دحي: «يا صبر الأرض!»، ثم عاد إلى الداخل، وضرب طاولة عيد.
«استيقظ بالله عليك، يا رجل»

بعد الغداء، جرّ وليد طاولة خلف طاولة إيهاب، الصف الوحيد الفارغ في الغرفة. تجاهل أسئلة إيهاب الفضولية. أصدرت معدته صوتًا خافتًا.
فكّر ببقايا الطعام في المنزل، أو بسرقة جديدة. أصابته فكرة السرقة بالغثيان، ليس بسبب الذنب، بل لأنه سئم من الوجبات الخفيفة ذاتها.
ربما يسرق بعض المال من محفظة والده الليلة ويأكل شيئًا حقيقيًا للمرة الأولى منذ زمن.

رَنَ الجرس الأخير. خرج الطلاب ولاحظ وليد أن عيدًا ما يزال مائلًا على طاولته نائمًا. تردد عند الباب، ثم عاد إليه، ووضع يده على كتفه، وشعر بشيء يتحرك في جيب صدره.
نقود.

مسحب ورقة من فئة الخمسين ريالًا بحذر. سقط معها شيء آخر، كيس صغير. نظر إلى قدمي عيد. حبوب؟
«ماذا تفعل؟!»

اهتز صدر وليد حين رأى مازنًا يقتحم الغرفة غاضبًا، حيث أمره مازن:
«أعدها!»

«استيقظ يا عيد»

ثم هزّه مازن حتى نهض.

أشار وليد إلى الكيس: «هل هذا له؟»

انتزعه مازن بغضب وقال بحدّة: «إنه مجرد بانادول»

ابتسم وليد ساخرًا، وتوجّه إلى الباب: «حقًا؟»

«انتظر. أعد النقود!»

«ليشتري بها المزيد من البانادول؟»

«لا شأن لك! أعدها فقط»

«وماذا لو رفضت؟»

رمق عيد، الذي بالكاد فتح عينيه. تصلّب فك مازن. وضع وليد الورقة في جيبه، وغادر.

تنساب جموع الطلاب من حولي نحو بوابات المدرسة مثل جدول ماء يجري ببطء. تحرّك جسدي معهم، لكن ذهني ظلّ عالّقًا في شظايا ما رأيته قبل دقائق فقط.

أستاذ يحيى وناصر، متوتران، منهكان، يحملان جسد إيهاب المترنح باتجاه المبنى الرئيسي، وصوت أستاذ يحيى حادّ وهو يطلب الإسعاف.

أحدهم همس من جواربي: «إنه لا يتنفس»، وما يزال وقع تلك العبارة يسري في عروقي كبرد مفاجئ.

مررت بالقرب بما يكفي من باب مكتب المدير لأرى إيهاب مسجى هناك، بلا حراك، ووجهه شاحب.

وللحظة خاطفة، بدا... ميتًا.

انقبضت معدتي، وكل شيء بعد ذلك صار ضبابي، كأن العالم خفض صوته إلى الهمس.

كنت هنا، لكنني لست كذلك.

شعرت بهواء ظهر بارد لحظة خروجي من المبنى. أفكاري تختفي، وشعرت بحلقة مغلقة من الذهول والإنكار.

(المجهول). كيف فعلها؟ كيف دسّ السمّ لإيهاب هنا، في المكان ذاته الذي ظننا أنه آمن؟

واصلت التقدُّم عبر الموقف، ورأسي يسبح في دوامة، ثم، فجأة، انطلق صوت بوق سيارة، صاخبًا، فأعادني إلى اللحظة.

تراجعت باضطراب، بالكاد أفلتُ من الاصطدام في الوقت المناسب، وانطلقت السيارة على بعد بوصات فقط. كان دهمي خلف المقود، عيناه متسعتان رعبًا، ويده مشدودة على عجلة القيادة كأنها الحبل الوحيد الذي يبقيه حيًّا.

ذلك الاصطدام بالواقع أزاح الضبابية من ذهني وتساعد الغضب داخلي حادًا ملتهبًا.

أسرعت نحو سيارتي، وفتحت الباب بعنف، ورميت بنفسي في المقعد. أمسكت هاتفي، وأصابعي ترتجف وأنا أفتح إنستجرام، ثم رحت أكتب: لن أدعك تفلت بفعلتك!

ظلَّ إبهامي معلقًا فوق سهم الإرسال... حدَّقتُ في الشاشة، أصرُّ على أسناني لأكبج انفعالي، ثم اندفع شيء في داخلي، فرميت الهاتف بقوة، وارتطم بزجاج المقعد المجاور.

ثم رأيت دهمي، واقفًا هناك، خلف النافذة مباشرة، يحدق بي.

في اليوم الثالث من المدرسة، وقف وليد في المطبخ، يُقَتِّ مثشي جبن على قطعة خبز. فكَّر في عدم الذهاب. في ترك الأمر برمته، ولكن البقاء في المنزل لا يعني سوى التآكل في فراغ الملل.

خياران باهتان، أحدهما أقلُّ بُؤْسًا من الآخر؛ أن يكون بين الناس. نادى وهو يخرج من المطبخ: «أمي؟». رآها في وقت سابق تتناول دواءها. غرفة المعيشة والحمام خاليان. على الأرجح أنها عادت إلى سريرها. بدت الشقة أوسع منذ مغادرة محمد. سيارته ما تزال مركونة في الخارج، يعلوها الغبار، بينما يُضطر وليد إلى الذهاب إلى المدرسة سيرًا تحت الشمس الحارقة؛ إلا إذا... استطاع أن يجد المفاتيح... أليس كذلك؟ جرَّب فتح باب غرفة محمد، ولكنه مغلق. تتمم وليد لنفسه، وسجَّل في ذهنه أن يبحث عنها لاحقًا.

قال دحي وهو يقترب من طاولة وليد مبتسمًا: «يا الجديد»
«ماذا تريد؟»

ضربه على كتفه بمودَّة مصطنعة وقال: «لا شيء، يا صديقي. فقط أردت التأكد من أنَّ كل شيء على ما يرام. أتفهم قصدي؟»
ولمَّ لا يكون كذلك؟ بالكاد تبادلًا بضع كلمات من قبل.

بعد الحصة الثانية، اندفع الطلاب إلى الخارج حاملين أكياسًا من الملابس. صاح أحدهم بخصوص حصة الرياضة. بقي وليد في مكانه يراقب. لم يُحضر ملابس الرياضة، وهو أمر لم يحدث له من قبل. في الزاوية، كان دحي يبدل ثيابه بينما كان الفصل فارغًا. لم يبقَ سوى عيد ووليد.

لاحقًا، عاد الفصل، بعضهم يحمل ثوبه، وآخرون ألقوه بلا مبالاة على المقاعد. تبعهم وليد إلى غرفة الرياضة، وهي قاعة كبيرة شبه خالية، فيها مكتب في الزاوية، وخلفه رفٌّ تزينه كؤوس.

رمى أستاذ يحيى، وليد وعيد بنظرة متسائلة: «أين ملابس الرياضة؟»

قال مازن، مشيرًا إلى عيد: «إنه متعب»

ارتسمت ابتسامة خفيفة على وجه وليد. ريثما تناول قرص بانادول مجددًا.

ردَّ المدرّس بحدة: «لم أسألك»، وأسكت الضحكات برفع حاجبه. ثم

التفت إلى وليد وسأله: «ما عذرك؟»

كذب وليد قائلًا: «لم يكن الجدول معي»، ولكنَّ إيهاب عرض عليه نسخة منه بالأمس.

تمتم عيد: «وأنا أيضًا»

ركل المدرّس كرة نحو ناصر، وأرسل البقية إلى الخارج، تاركًا وليد وعيد خلفه.

قال وهو يجلس إلى مكتبه: «هذا إنذارك الأول والأخير. مفهوم؟»

أجاب عيد: «مفهوم»

انجرفت نظرات وليد نحو الرف خلف المكتب. كؤوس. ولوحة بداله

شكلها مألوفًا. كانت من برنامج المواهب في كرة القدم.

سأله المدرّس: «أحتاج شيئًا؟»

«أها؟ لا»

«اذهب إذن»

تساءل وليد: ما الذي جاء بتلك اللوحة إلى هنا؟ ورأى بارقة أمل صغيرة
توهج في داخله من جديد.

مرّ اليوم ضبابيًا، فمنذ لحظة رؤية اللوحة، لم تفارق فكرة البرنامج
الرياضي ذهن وليد. هل يمكن أن تكون هذه المدرسة تابعة للبرنامج ذاته؟
هل سيتمكن من الالتحاق به؟ أم سيكتشفون ما حدث خلال الصيف،
ويقررون رفضه؟

نادى إيهاب، قاطعًا سلسلة أفكاره وقد خلت القاعة: «هيه! هل تحتاج
إلى توصيلة؟»

«لا، شكرًا»

خرج وليد مسرعًا.

كانت شمس الظهيرة قاسية، والغبار يدور في الهواء الساخن. سار في
شارع مجاور للمدرسة عندما باغته صوت بوق سيارة.

توقفت مركبة «هايلوكس» إلى جانبه.

سأل دحي، من دون شماغ: «هل تحتاج إلى توصيلة؟»
«لا»

«اصعد!»

أقسم ألا يدعه يواصل السير. زفر وليد ووضع كتبه في حضنه.

قال: «شكرًا لك»، وقد لفح وجهه هواء المكيف الساخن.

انطلقت السيارة حتى نهاية الشارع. مرًا بالمنعطف المؤدي إلى حي وليد.

قال وليد: «متزلي هناك»

«لا بأس. أردت فقط أن أتحدث معك»

«عن ماذا؟»

«عن عيد»

خفف دهمي السرعة قرب مطعم للوجبات السريعة، وقال: «لقد أخبرني
بالأمر»

«أي أمر؟»

«أخذت منه شيئاً، أليس كذلك؟»

ثم أمسك دهمي بمعصم وليد بشدة، وقال: «فلتأكد من أننا سننسى
ذلك تماماً من الآن فصاعداً»

ردّ وليد بابتسامة خفيفة: «المال أم البانادول؟»

اشتدت قبضة دهمي وسأل: «كلاهما. مفهوم؟»

ضحك وليد بهدوء، وقال: «ولم تهتم؟»

«ربما لم تنتبه. إذا تحدثت عن البانادول، ستنشأ بيننا مشكلة»

شعر وليد بإثارة غريبة. رغم حجم دهمي وقوته، شعر أن له اليد العليا.
«لا تقلق. لست واثياً»

«جيد»

فتح وليد الباب وقال: «وإن كنت لا تريد أن يعرفك أحد، فلا تبع شيئاً
لمن يجلبه إلى المدرسة»

أغلق الباب ومضى في طريقه.

حدّق دحي بي، إذ كاد الهاتف يرتطم بوجهه لو أنّ النافذة مفتوحة. فتح الباب بعنف وقال كما لو أنه يعلم شيئاً: «سيكون بخير»
«ماذا تريد؟»

سأل بهدوء: «هل يمكّني الجلوس أولاً؟» ثم صعد دون أن ينتظر. أغلق الباب، ورمقني بنظرة جانبية، يحاول أن يخفّف التوتر.
«لم أعلم أن إيهاب صديقك. إنه شاب طيب، وأعرفه منذ المرحلة المتوسطة»

شدتُ على عجلة القيادة بقوة وقلت: «لماذا دعوتَ وليد إلى المخيم في ذلك اليوم؟»

ارتسمت الدهشة على وجهه وقال: «لم أدعه!»
لا وقت لديّ للألعاب.
«أعلم أنك دعوته. نصبتُ أنت وأصدقاؤك كميناً لتقتلوه، أليس كذلك؟»
«نقتله؟»

ضحك، ولكنها ضحكة جوفاء، ثم واصل: «عن أي شيء تتحدث؟»
مسحت وجهي، محاولاً تهدئة العاصفة التي تعصف في رأسي. تحرّك في مقعده، ولأن صوته، ثم قال: «أعلم أن وليداً صديقك، وكان طيباً أيضاً...»
«هذا هراء! كنت تكرهه»

صرخ: «نعم، كرهته!»، ثم زفر بضيق وأضاف: «وربما لم يكن بذلك
القدر من الطيبة. هل هذا يُرضيك؟»
«إذن، لماذا أتيت إلى هنا؟»
«أردت...»

تنهَّد، ثم واصل: «أردت فقط أن تعرف أنني لم أرغب في إيذاء وليد قط.
ولا أريد إيذاءك أنت أيضًا»
«هل يُفترض أن يكون هذا تهديدًا؟»

رأيت لمحة سريعة من الصراع في وجهه، إذ يحاول السيطرة على غضبه.
ثم لانت ملامحه.

قال لي: «اسمع... مهما قال لك وليد عني، فإنه ليس صحيحًا»
«لم يخبرني بشيء»
ولكنه ازداد توترًا.
«سئمت هذا...»

تنهَّد، فبقيت صامتًا. ثم تابع: «خذ كلامي كما تشاء، لكن إن أخبرت
أحدًا بالكاذيب التي زعمها عنا، سنواجه مشكلة»
عمَّ يتحدث؟ أبقى صامتًا، أراقبه وهو ينتظر، كما لو أنه يأمل أن أوكد له
شيئًا. أطلَّ شيء من الخوف في عينيه.

«حتى لو كنت أعرف عمَّا تتحدث، فلن أخبر أحدًا. لا تقلق»
رأيت لمحة ارتياح تمرُّ على وجهه.
تمتم وهو يفتح الباب: «حسنًا»، ثم قال: «إذن كل شيء على ما يرام. وإن
احتجت إلى أي شيء...»

«في الواقع...»

توقف، والتفت إليَّ.

«هل تعلم مَنْ مِنَ الطلاب يملك مفتاح غرفة التربية البدنية؟»

«ما زال الأستاذ يجي في الداخل إن نسبت شيئاً»
كذبت وقلت: «لا، أعني للغد، سأكون مسؤولاً عن الإذاعة الصباحية»
ظهر توتره وارتيبك.

«مازن معه المفتاح، سأخذه منه غداً إن أردت»
مازن. إذن مازن هو من يملك المفتاح، وهو من يملك الوصول إلى غرفة
التربية البدنية، وإلى أنسولين فهد. للحظة، فكَّرت فيما قد يحدث إن أخبرت
دهمي بأن مازناً قد يكون من قتل ابن عمه، لكنني تراجعته، متذكراً كيف
طارده الثلاثة فهد في ذلك اليوم.
تبقي شيء واحد كنت بحاجة إليه من دهمي.
«هل معك رقم إيهاب؟»

وليد سابقاً

مضى أسبوع، ولم تفارق اللوحة الموجودة في غرفة الأستاذ يحيى تفكير وليد. هل يمكن أن تقدم هذه المدرسة الفرص ذاتها التي وفّرتها مدرسة النهضة؟

تسارعت نبضات قلبه مع هذه الفكرة، واهتزت ركبته تحت الطاولة بينما المدرّس يشرح بتأقل عن التفاعلات الكيميائية. اخترق ضوء صغير عتمة رأسه، وللمرة الأولى منذ أسابيع، شعر ببصيص من الأمل.

إن وُجد البرنامج ذاته هنا، فهذا يعني أنهم سيشاركون في البطولة، ما يعني أن وليد ما يزال يملك فرصة.

قد يتحول ماضيه أخيراً إلى ما يجب أن يكون عليه؛ ذكرى بعيدة. سيركّز كلياً على أن يكون الأفضل، دون أن يترك وقتاً للندم أو العار كي يتسلل إلى داخله.

«ماذا؟»

التفت إليه إيهاب وهو يتسم. خرج وليد من شروده، وعدّل من جلسته. قال وليد بنبرة ثابتة: «ما الذي تنظر إليه؟»

سخر إيهاب: «كنت تبسم. لم يسبق لي أن رأيتك تبسم من قبل»

قال معلم الكيمياء بصوت حاد: «إيهاب!»، فالتفت إيهاب نحو السبورة.
شدّ وليد حقيبته، وأخذ يعدّ الدقائق المتبقية حتى حصة الرياضة.



نبض قلب وليد بقوة وهو يدخل غرفة الرياضة للمرة الأولى.
سارع ناصر إلى إعلان نفسه قائدًا للفريق بينما يصطفّ الطلاب، تاركًا
وليد ينتظر اختيار القائد الثاني.

جال الأستاذ يحيى بنظره في الغرفة: «من أيضًا؟»، فرفع وليد يده بحماسة.
قال الأستاذ يحيى، مشيرًا إليه ليتقدّم: «حسنًا، أنت»
تدفّقت طاقة جديدة في جسده مع بدء اختيار اللاعبين، وركض ناصر
خارجًا ممسكًا الكرة. تبعه الطلاب، لكن وليد تريث قليلًا.
سأل الأستاذ يحيى من خلف مكتبه: «هل ثمة أمر آخر؟»
قال وليد بابتسامة عريضة: «أردت فقط أن أشكرك، أستاذ يحيى»
أجاب الأستاذ يحيى، وقد بدت على ملامحه دهشة السرور: «على الرحب
والسعة»

استدار وليد ليغادر، ولكنه توقّف عند الباب، ثم قال متقدّمًا خطوة،
مشيرًا إلى اللوحة السوداء: «أستاذ يحيى. هل فزتم بالبطولة؟ أقصد بطولة
برنامج المواهب الكروية»

ضيق الأستاذ يحيى عينيه وسحب قهوة مثلّجة من ثلاجته وقال: «أوه،
لا؛ هذه لوحة مشاركة فقط. حصلنا على المركز الثالث في العام الماضي»
«حسنًا...»

تردّد وليد وقال: «كنت على وشك الانضمام إلى البرنامج العام الماضي،
لكني...»، ابتلع ريقه ثم واصل: «أصيبت والدتي بالمرض»
«أوه، أتمنى أن تكون بخير الآن»

تحرّك وليد في مكانه بشيء من التوتر وسأل: «هل... هل سيُقام البرنامج هذا العام؟»

ابتسم الأستاذ يحيى واتكأ إلى الخلف، وقال: «يمكننا الحديث عن ذلك لاحقًا. أما الآن، فاذهب واستمتع»
أوما وليد، وغادر الغرفة وأنقذت شعلة من الأمل داخله.

بعد عشر دقائق من بدء المباراة، تقدّم فريق ناصر بنتيجة 2-1.
وقف الأستاذ يحيى على الخط الجانبي، يراقب. علم وليد أنه بحاجة إلى أن يبرز بينهم.

نادى وليد حين تراجع فريقه: «يارفاق! تعالوا!»
تجمّعوا حوله، فأشار إلى المدافعين: «أنتم تركزان على اللاعب الخطأ.
راقبا ناصر بدلًا منه»

أوما أحدهما: «حسنًا»

أبدى حارس المرمى انزعاجه، معترضًا بأنه يريد التبديل.
شجّع وليد وقال: «حقًا؟ ولكن ردود فعلك ممتازة!»
«حقًا؟»

«نعم! نحن بحاجة إليك أكثر من أي شخص آخر الآن»
استؤنفت المباراة. مرّر وليد الكرة إلى عمر، ثم تجاوز مازنًا، وتظاهر بتنفيذ
حركة مهارية لشد ناصر إليه. استغل عمر الفتحة، وسجّل هدف التعادل.
صرخ وليد، وصفع ظهر عمر وهما يركضان عائدين إلى مراكزهما:
«أحسنّت!»

أطلق صغير، واستلم فريق ناصر الكرة.

ركض مازن عبر الملعب، وراوغ المدافعين، لكن وليد توقّع حركته
واعترض الكرة. مرّرها إلى إبراهيم، الذي أخفق في التسجيل، ولكن
المحاولة رفعت من معنويات الفريق.

جلس خلفه مازن على الأرض، وقد خلع حذاءه. اقترب وليد، ومدّ يده.

«هل كل شيء على ما يرام يا أخي؟»

تجاهله مازن، وابتعد وهو يعرج.

سأل وليد: «ما خطبه؟»

قال إيهاب وهو يهز كتفيه: «ربما لا يرغب في اللعب؛ أوريها يخاف منك»

«ولم قد يخاف مني؟»

«ما حدث لجمال»

ضربت كلمات إيهاب صدر وليد كلكمة مفاجئة.

«ماذا قلت؟»

«جمال. الفتى الذي ضربته. ذلك الذي دخل في غيبوبة»

انخفض صوت وليد، واشتدت قبضته: «من أين عرفت ذلك؟»

«سمعت مازنًا يتحدث عنه. قال إنك شوّهت وجه جمال»

«هل أنت جاد؟»

«نعم. قال إن ذلك حصل خلال مباراة، بعد أن خسرت وغضبت»

«ماذا؟ لا! لم يحدث هذا!»

دار رأس وليد، ثم سأل: «من يعرف أيضًا؟»

«لست متأكدًا. سمعت مازن يتحدث في الحتمام قبل قليل»

«إلى من؟!»

«لا أعلم. كنت أقضي حاجتي» توقّف إيهاب، وحدّق في وليد، ثم سأل:

«كيف كان الأمر؟»

«ماذا؟»

«أعني، السجن»

قال وليد بحدّة، واقترب منه خطوة: «لا تتدخّل فيما لا يعنيك يا إيهاب.
إن سمع أحدهم بهذا، فلن تكون العواقب جيدة بالنسبة لك»
«حسنًا، حسنًا! سأغلق فمي إلى الأبد»

تراجع إيهاب، ثم أضاف: «لكن لا يمكنني قول الشيء ذاته عن مازن.
ففي نهاية المطاف، كدت تقتل ابن عمه»

في غرفتي، تكوّرتُ تحت الغطاء، وبرودة المكيف تلامس أطراف أصابعي. رأسي يدور، أحاول أن فهم الجنون الذي مررت به اليوم. إيهاب، شخص كان من الممكن أن يكون صديقاً حقيقياً، سقط في يد (المجهول). حاولت الاتصال به في طريقي إلى المنزل دون جدوى، وذهني ظل يعود إلى فهد. كيف أقنعني (المجهول) أنني سَمَمته، بينما هو أصلاً يستطيع الوصول إليه؟

(المجهول) هو من سَمَم فهداً، والآن إيهاب، وإن كنت محقاً؛ إن كان مازن هو (المجهول) حقاً، فمن السهل، تخيل ما حدث. قضى إيهاب اليوم بأكمله يتجنب الماء، عازماً على ألا يقع ضحية لما خطط له (المجهول).

لا بدّ أنه صمد قدر استطاعته، ولكن في النهاية... استسلم. أتخيله أمامي؛ يشتري علبة ماء من المقصف، يتوق لرشفة واحدة، ثم انهار بعد دقائق، ولكنني لا أعلم على وجه اليقين. أحذق في رسائل (المجهول)، والغضب يتصاعد بداخلي، أصابعي ترتجف رغبة في كتابة تهديد، وإخباره أنني سأفضحه، ولكنني تراجعمت. بدلاً من ذلك، فتحت إنستجرام باحثاً عن حساب إيهاب، وبعد محاولات عديدة، عثرت عليه أخيراً، ولكنه خاص. ضغطت «متابعة»، على أمل أن يرّد بطريقة ما، متمسكاً برجاء أن كل هذا مجرد خطأ، ضربة شمس ريبا، لا أكثر.

لكن السؤال الذي يزداد ثقلًا في ذهني: ماذا سأفعل حين أواجهه؛ أواجهه
مازناً؟ ما الذي يمكنني فعله لإجباره على التوقف؟
حتى إن اعترف بأنه (المجهول)، فإنَّ يديَّ مقيدتان. لو لم أكن غيبًا من
البداية، لما زججت بنفسي في هذه الفوضى. ليتني متُّ تلك الليلة بدلًا من
وليد...

ضحكت بصوت منخفض عند فكرة أن وليدًا يرى ما يحدث لي الآن،
وأنا أفقد صوابي...

يظنُّ جزء مني أنه سيجد الأمر مضحكًا، والجزء الآخر يقول إنه كان
سيتقدم ويتحمَّل اللوم عن كل شيء، فقط لحمايتي، كما فعل في ذلك اليوم.
أشعر بغصّة، أتذكر كيف فررت كجبان، ومع ذلك، حتى هذا اليوم، لم
ينخبز الشرطة أنني من هاجم جمال.

وكيف، بدلًا من إجبار والديَّ على مساعدته، اختبأت، هكذا، تحت
الغطاء، مرعوبًا من نتيجة أفعالي.

دمرت حياة أعز أصدقائي حينها، واليوم، فعلت الشيء نفسه مع إيهاب.
ما يزال ثقل اليوم جاثمًا فوق صدري، والإرهاق يسحبني إلى النوم.
حتى...

حتى استيقظت بعد ساعة، ورسالة تملأ شاشة القفل:

المجهول: عمل جيد اليوم. مات إيهاب

المجهول: المبنى المهجور. الآن. وإلا سأفصح كل ما فعلته

وليد سابقا

ابن عمه، ابن عمه اللعين.

ارتبك وليد حين رأى مازن يتجه نحو المبنى الرئيسي. راوده اندفاعٌ للحاق به، من دون أن يعرف تمامًا ما الذي سيقوله، لكنه شعر بأن عليه التأكد من أن مازنًا لن يُفشي شيئًا.

وإن وصل الخبر إلى الأستاذ يحيى، ففرصته في البرنامج ستُمحى تمامًا؛ لكن الأستاذ يحيى خرج من جديد ليراقبهم. لم يُتَح له الانسحاب من المباراة، ولم يعد قادرًا على التركيز في اللعب كذلك.

صَفَّر الأستاذ يحيى بعد نهاية المباراة: «تَجَمَّعُوا»، مناديًا الجميع للعودة إلى غرفة التربية البدنية لتسجيل الحضور.

ناداه وهو يتفحَّص الصف: «مازن»

ردَّ فهد، واقفًا إلى يمين وليد: «غير موجود. أُصِيبَ»

أضاف إيهاب: «لم تكن إصابة بالمعنى الحقيقي، ولكنه لم يرغب في اللعب»

قال ناصر، ناظرًا نحو وليد: «لا، مازن لا يتصرَّف على هذا النحو»

أعلن الأستاذ يحيى: «أبلغوه أنه سيسجَّل غائبًا؛ وابتداءً من الآن، كل من

يتغيب أو لا يجلب ملابس الرياضة، فهذا هو إنذاره الأخير»

ثم اتجه إلى خلف مكتبه وتابع: «يمكنكم العودة إلى الصف الآن»

بدأ الطلاب بالخروج، ولكن الأستاذ نادى على وليد: «انت!»

سأل وليد: «أنا؟»

أشار إلى الكرسي وقال: «نعم، تفضل»

توقف ناصر عند الباب، وبدت الحيرة واضحة في عينيه؛ فقال الأستاذ
يحیی: «أغلق الباب يا ناصر».

«من أي مدرسة جئت؟»

«مدارس النهضة»

سقط الجواب على مسامعه كما لو أنه أيقظ شيئاً.

ابتسم المدرس وقال: «قلت إنك كنت في فريق المدرسة. لا بد أن شعور
الفوز بالبطولة كان رائعاً»

تمتم وليد: «نعم...»، وقد تسأل إليه شروذ مع سماعه بالخبر. هل فازوا
فعلاً؟

«على أي حال، نحن نشارك هذا العام مجددًا، وأودُّ أن أكون صريحًا معك؛
إنني أسعى لتشكيل فريق جديد، فقد تخرج معظم لاعبي»

شعر وليد بانقباض في صدره، فتابع الأستاذ يحیی: «إلى أي حد تأخذ
فكرة الفوز بجدية؟»

«غاية الجدّة!»

«إذن، عليك أن تدرك أنني كذلك أيضًا»

بالطبع هو كذلك، ويرغب بجائزة العشرين ألف ريال.

قاطع الحديث طرُق على الباب.

دخل دحي في الوقت الذي فتح فيه الأستاذ يحیی الثلاجة الصغيرة،

وأخرج قارورة أنسولين وعلبة حليب.

قال دحي: «شكرًا لك»، وتسلمها وغادر.

اتجهت نظرات وليد تلقائيًا إلى الباب، تتابعه.

تابع الأستاذ يحيى، معدلاً جلسته: «كما قلت، هذه البطولة تهمُّ كثيرًا من الطلاب هنا. اخترت أغلب الفريق بالفعل، وما رأيته منك اليوم مبشِّرٌ ضحك وليد بتوتر وقال: «حقًا؟»

رمى الأستاذ الزجاج الفاصل في باب الغرفة، ولفت نظره ناصر يطل من الخارج، ثم يختفي.

تنفَّس الأستاذ بعمق، ثم قال بصراحة: «لم أتحذ قراري بعد، أحتاج إلى مشاهدتك أكثر»

«بالطبع! بكل تأكيد!»

تدفَّق الحماس في صدر وليد. الفرصة أمامه مباشرة. عليه إثبات نفسه فقط، وأن يضمن بقاء مازن صامتًا.



لم تتسنَّ لوليد فرصة الحديث مع مازن حتى استراحة الصلاة. تبعه نحو دورات المياه، يشق طريقه وسط الزحام.

بلغت الضوضاء في الداخل حدَّ الفوضى، كأن الفصل خلا من المدرِّس. صرخ دحيمي عند الباب، مشيرًا مع طالب آخر من النظام: «شباب! شباب! ثمة دورة مياه أخرى في الطابق السفلي!»

بدأ الطلاب بالخروج واحدًا تلو الآخر.

لوح دحيمي في اتجاه وليد: «أسرعوا!»، غير أن مازنًا لم يكن في المكان، ولم يظهر خلال الصلاة، ولا حتى بعد انتهاء الدوام.



في البيت، أحكم القلق قبضته على وليد. الشقَّة الخائقة بروائحها الراكدة، الأسرة المفككة والفاقدة للشغف. اتَّصل بشبكة الجيران وبدأ يتصفح إنستجرام، محاولًا تذكر أين رأى وجه مازن من قبل.

ظهر حساب جمال. بدا بالفعل بنشر تعليقات مبتذلة: «أذهبوا إلى المدرسة، أيها الأطفال... أما أنا فألعب جي تي إيه».

ومع التمرير، وجد وليد منشورًا من المستشفى. استعرض جمال إصابته؛ غرز في رأسه من ضربة قضيب حديدي.

ومن بين التعليقات، كان هناك تعليق من مازن: «أتمنى لك شفاء عاجلاً»، يتبعه صف طويل من رموز الضحك.

ضغط على ملف مازن الشخصي، فوجده خاصًا.

في صباح اليوم التالي، وصل وليد إلى المدرسة أبكر من المعتاد. الساحة شبه خالية، وتوزع عدد من الطلاب هنا وهناك. جلس على درجات المبنى الصغير، وأطلق العنان لأفكاره في تأمل المستقبل.

إن تحقق له ما يأمله من البرنامج، فقد يتغير كل شيء. سيسخر نفسه لكرة القدم، ليغدو الأفضل، ويغلق الباب تمامًا في وجه تلك الغيمة الداكنة التي تظله.

قطعت الضوضاء من داخل المبنى الصغير شروده. يُفترض أن يكون المبنى مغلقًا؛ إذ رأى أحد الطلاب في وقت سابق يحاول فتحه دون جدوى. تملكه الفضول. أطل من خلف الزاوية، فرأى الممر الفارغ على شكل حرف T، الموصل بين المقصف وغرفة التربية البدنية.

فُتح باب المقصف، وخرج منه مازن، بثوبه المجعد ووجهه المترنح، كمن استيقظ لتوه.

هل نام هنا؟

تجمد مازن حين لاحظ نظرات وليد تتبعه. لبرهة، بدا وكأنه يتردد بين العودة إلى الداخل أو التظاهر بأن شيئًا لم يحدث.

اختار الاحتمال الثاني، أغلق الباب خلفه وتقدّم نحو وليد بخطى واثقة،
ثم قال بحدة: «ما الذي تنظر إليه؟»

ردّ وليد: «لا شيء»، ومرّت على وجهه ابتسامة خفيفة غير مقصودة.
حاول أن يبدو ودودًا.

«هل يمكن أن نتحدث؟»

ردّ مازن بلهجة متعالية خلال سيره: «عن ماذا؟»
لحق به وليد.

«عما فعلته في اليوم الأول. أردت فقط أن أقول إنني لم أقصد ذلك»

تمتم مازن: «لا يهم». ثم سرّع خطاه نحو المبنى الرئيسي.

«ف...» مدّ وليد يده، وأمسك بذراع مازن ليوقفه، ثم سأله: «هل كل
شيء على ما يرام الآن؟»

زجر مازن، وانتزع ذراعه: «ارفع يدك عني»، ودخل المبنى، تاركًا وليدًا
واقفًا وحده في هواء الصباح البارد.

اجتاحت وليد موجة من الإذلال.

بدا الاعتذار وكأنه خيانة لنفسه، تصرّف يائس دفعه الخوف من خسارة
ما تبقى لديه.

غضبه دفعه للركض خلف مازن، وصوته يتردد في أرجاء الممرات.

«مازن!»

وجده في دورة المياه في الطابق الأرضي، منحني على المغسلة، ينظف
أسنانه.

الماء يقطر من وجهه المبلل، وهو يرمقه عبر المراة.

قال مازن، ومعجون الأسنان يتلى من ذقنه: «ماذا؟»

أغلق وليد باب الحمام.

«اسمع، إنني أحذرك. لن أكرّر هذا الكلام، فقط لنكون على وفاق»

بصق مازن في المغسلة، وغسل فمه. بدت حركاته هادئة، شبه لا مبالية،
ما زاد من حنق وليد.

أغلق الصنبور، واستدار نحوه.

«عمّ تتحدّث؟!»

قال وليد بنبرة ثابتة: «أنصت إليّ. إن أخبرت أحداً بشأن... أنت تعرف،
ستندم ندماً شديداً»

عبس مازن وفي صوته نبرة سخرية: «عن ماذا؟ عن ماذا تتكلّم أصلاً؟»
«لا تتظاهر بالغباء. كلانا يعرف»

اقرب وليد أكثر، وانخفض صوته إلى همسة مهددة وقال: «من الأفضل
أن تبقي فمك مغلقاً. واضح؟»

ابتسم مازن، ونظر إليه بشبات، ثم قال: «مّمّ تخاف يا وليد؟»
«أتسعت وقفته، وشعّ جسده بالثقة.

تجمد وليد.

«انتظر، فقط لأفهم الأمر: سرقت من عيد، وهددته، والآن تخشى أن
أبلغ عنك بتهمة سرقة المال؟»

انفجر وليد غضباً: «هل جمال ابن عمك؟!»

ضحك مازن: «جمال؟ ماذا بشأنه؟»

«من أخبرت عمّا حدث له؟»

«ماذا؟»

ظلّ تعبير وجه مازن غامضاً.

اقرب وليد أكثر، وقد تحوّل صوته إلى زجرة مكتومة، وقال: «كفّ عن
التظاهر. لقد أخبرت أحدهم أنني ضربته. من أخبرت؟»

تحوّلت ضحكة مازن إلى قهقهة صاخبة: «أأنت من فعل ذلك؟!»

قال وليد بصوت حاد، وقد بدأ صبره يتفدّ: «من أخبرت؟»

«لا شأن لك بذلك»

أمسك وليد بذراعه بإحكام وقال: «أحتاج أن يلتزم الصمت بشأن ما جرى. اطلب ممن أخبرته أن يلتزم الصمت أيضًا، وإلا ندمت. مفهوم؟»
تخلص مازن من قبضته، وعيناه لا تفارقان وجهه: «أعد المال إلى عيد، ولن تكون هناك مشكلة»
ثم دفعه برفق، وغادر، تاركًا وليدًا واقفًا وحده.

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص

المجهول: المبنى المهجور، الآن، وإلا سأفصح كل ما فعلته
 ترنحتُ داخل الحديقة، ساقاي ترتجفان، وصدري يشتعل.
 الشمس معلقة منخفضة في السماء، ترسم الظلال على العشب، وتكسر
 ساحة اللعب بضوء سريالي.
 استقرت عيناى على المبنى المهجور عند طرف الحديقة، جدرانها الفارغة
 أشبه بعيون معتمة، قائمة ومربكة.
 هنا سأجده.

الهواء في الداخل راكد، يملأه الغبار والصمت. الطابق الأول خاو؛ مجرد
 أنقاض ورسوم باهتة على الجدران. وقع خطواتي يتردد وأنا أصعد إلى الطابق
 الثاني، ونبض قلبي يتسارع مع كل درجة. لا حركة سوى حركتي. حين
 أصل إلى الطابق الثالث، يضيق نفسي، وتتصبب راحتي عرقاً، ثم أراه.
 صندوق بني موضوع في وسط الغرفة. وجوده هنا غريب، نظيف أكثر
 من اللازم، وُضِعَ بعناية متعمدة.

اقتربت، وجسدي مشدود بأكمله. كل خلية في جسدي تصرخ: عُدْ
 أدراجك. لكنني لا أستطيع. ساقاي تتحركان رغماً عني، تسحباني نحوه.
 أرى علب ماء بلاستيكية. خمس علب تحتوي سائلاً مائلاً للبياض.
 مددت يدي نحو إحداها، رفعتها، تموج السائل الرغوي بينما أدقُّ النظر.
 أقراص مطحونة على ما يبدو. هذا ما وضعه في كل واحدة من هذه العلب.

لفت شيء آخر داخل الصندوق انتباهي؛ كيس شفاف يحتوي ثلاث حقن. شيء لطالما أزعجني حين كانوا ينوون حقني في المستشفى، أما الآن، فتبدو أشد رعبًا. لكن أسفلها... ظرف بني فاتح.

أخذت نفسًا عميقًا، ومددت يدي نحوه، مدركًا أن ما بداخله لن يعجبني.

أبعدت الزجاجات والحقن جانبًا، والتقطه، فاكتشفت أنه ليس ظرفًا واحدًا، بل ثلاثة.

فتحت الأول، لأكشف ما بداخله.

رزمة رقيقة من الأوراق، مطبوع على الأولى اسمي.

ابتلعت ريقِي، وقلبت الصفحة، ففرق قلبي مباشرة.

كل محادثة أجريتها مع المجهول مطبوعة، وعليها تحديد باللون الأصفر لكل عبارة قد تورطني.

«أريد أن أفعلها»

«أريد أن أقتل فهذا»

«قطرة عين؟ كيف ستكون سامة؟»

«حين تؤخذ فمويًا»

«هل سيتعذب؟»

«موت بطيء»

«جيد»

«سنركز على قتل إيهاب أولاً»

«أظن أننا نحتاج إلى قتله»

الورقة الأخيرة تحوي عنوان مكتب والدي العقاري، واسمه الكامل، وتهديدًا تفصيليًا حول كيف سيفضحني (المجهول): «سأخبر والدك أولاً،

أنا متأكد من أنه سيكون فخورًا حين يكتشف أن ابنه قاتل؛ ثم والدتك،
لأننا نؤكد أن كليهما يعلم.

دارت الدنيا حولي وأنا ألح كلمات مثل «شرطة» و«سجن» و«إعدام»،
قبل أن أعيد الرزمة إلى الظرف على عجل.

تهديد مباشر، بسيط، يمكنه ببساطة أن يرسله للشرطة، ليربطوا بيني
وبين موت فهد وإيهاب بسهولة.

لكن لماذا يوجهني إلى هنا بدلًا من التبليغ عني؟ قفزت القناعة إلى ذهني
فجأة، ومعها شعور غريب بالارتياح: لن يبلغ عني، لأنه بطريقة ما، عرف
أنني اكتشفت هويته... أنا أعلم أنه مازن.

أخرجت هاتفي، وفتحت إنستجرام، وحينها اكتشفت أمرًا غريبًا.
محدثات (المجهول) اختفت تمامًا من صندوق الرسائل، وحسابه كذلك،
كأنه لم يكن موجودًا.

هل قام بحظري؟

وقفت حائرًا... ما معنى هذا إن لم يكن يريد شيئًا؟ انحنيت، التقطت
الظرف الثاني، وأخرجت الرزمة، وفتحتها.

الامر نفسه... محادثة عبر إنستجرام، لكن... ليست بيني وبين (المجهول).
ضاق عينا من شدة الحيرة، وتجمد بدني من جديد.
المحادثة بين (المجهول) ومازن.

60 وليد سابقا

لم يستطع وليد أخذ قسط من الراحة بعد عودته إلى المنزل، عقله يضجُّ
بصور الجماهير تهتف له، وحياته كلاعب كرة قدم محترف تتشكل أخيرًا.
فكر في نفسه والشعور بالحماسة يكاد ينهشه: «سيختارني؛ وإلا فلماذا
طلب مني الحضور بعد الظهر؟»

فجأة، كل الأمور البائسة في حياته بدت كأنها ضوضاء في الخلفية؛ أشياء
على وشك أن يتركها خلفه. في وقت لاحق من ذلك اليوم، توجه وليد سيرًا
إلى ملعب المدرسة تحت السماء الزرقاء هادئة. وصلت مجموعة من الطلاب
يتبادلون الكرة بملابسهم الرياضية.

هل تأخرت؟

تفقد هاتفه: الساعة 3:43، تنفّس الصعداء.

لم يعرف الستة الذين وصلوا مبكرًا، جميعهم من صفوف أخرى. لم يكن
من بينهم أحد من الصف الثالث ج، باستثناء ناصر.

أحدهم، عريض الكتفين ويبدو كحارس مرمى محتمل، ناداه: «مرحبًا!»
قبل أن يتمكن وليد من الرد، طارت الكرة نحوه. أوقفها بصدره، ثم
رفعها بركبته، وسدّها عاليًا نحو أبعد لاعب، ثم أجاب بهدوء: «مرحبًا».
سأل الطالب، متراجعًا قليلًا لتلقّي الكرة: «هل رأيت الأستاذ يحبى في
طريقك إلى هنا؟»

ردّ وليد وهو يمرر الكرة: «لا. أليس في غرفة التربية البدنية؟»

عادت الكرة إلى وليد. أوقفها، ولاحظ أنها الكرة نفسها من غرفة التربية البدنية.

قال وهو يمرر مجددًا: «من الجيد أنكم أحضرتُم كرة معكم»
 أجاب الآخر ضاحكًا: «لم نحضرها، أخذناها من غرفة التربية البدنية»
 استدار وليد فرأى مازنًا متكئًا على السياج بجانب المبنى الصغير، ويوحى
 ثوبه المجعّد بأنه لم يغادر المدرسة منذ الصباح. اجتاح شعور بالضيق صدر
 وليد. لا مجال للنزاع مع مازن الآن، فالكثير من الأمور أصبحت على المحك.
 خرج من الملعب وتوجّه نحوه. ظلّ مازن يحدّق في هاتفه، ولكنه كان
 مدركًا بوضوح لقدوم وليد.

قال وليد: «مرحبًا أخي»

لم يردّ مازن.

قال وليد، وقد خرجت الجملة ثقيلة على لسانه: «من الجميل أنك معنا

في الفريق»

ضحك مازن وأجاب دون أن يرفع بصره: «بالتأكيد»

قاوم وليد رغبته في نزع الهاتف من يده.

«أكل شيء على ما يرام؟»

«هل أحضرت ما سرقته؟»

أنفق وليد المال كله على الطعام، ف شعر بالحمق. لم يعرف كيف سيعيده.

«سأفعل ذلك في الأسبوع المقبل»

«لا تحدثني حتى ذلك الحين»

رنّ هاتف مازن، فقال وهو يتعدّد: «مرحبًا أستاذ يحيى»

تجمّد وليد حين سمع مازن يضيف: «نعم، أعطيتهم الكرة. إنهم يحرون

تمارين الإحماء الآن»

مازن يملك رقم الأستاذ يحيى، ومفتاح غرفته.
تدفقت أفكار كثيرة في رأس وليد. إن أخبر مازن الأستاذ يحيى بها حدث
مع جمال، ففرصته في البرنامج ستنتهي تمامًا.
عند الساعة 4:12 مساءً، بدا الملعب أكثر ازدحامًا مما كان يأمل وليد.
بدلاً من 16 طالبًا، بلغ العدد 21 طالبًا، واختفى مازن، وهو أمر منح وليد
شعورًا طفيفًا بالارتياح.
وقف الأستاذ يحيى ومعه دفتر ملاحظاته، ينادي الأسماء بينما يصطف
الطلاب.

«ياسين أحمد»

«حاضر»

«باسل ال....»

«نعم، حاضر»

«وليد عابد...»

«موجود»

عند انتهاء النداء، تحرّك الأستاذ يحيى ببطء بين الصفوف، ممعنا النظر في
الوجوه.

قال: «حسنًا»، وتوقّف لثوانٍ محدّد في المجموعة، ثمّ واصل: «أنت،
وأنت»، وأشار إلى وليد وطالب آخر.

استغرق وليد لحظة ليدرك أنه اختير قائدًا لتمرين اليوم. امتلأ قلبه نشوة،
وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة. لمح مازن من طرف عينه يدور حول
الملعب بلا اهتمام.

اختار وليد فريقه دون معرفة مسبقة بقدرات اللاعبين. افترض أن من
تم اختيارهم لهذا التمرين لا يمكن أن يكونوا سيئين، ولكن خلال المباراة
الأولى، ظلّ يرمق الأستاذ يحيى، ويلعن تشتت انتباهه.

تراجع أداؤه.

سجل ناصر هدفًا ضدهم، ضاحكًا وهو يصفق لزملائه.

قبض وليد يديه، غاضبًا من نفسه. صرخ في داخله: «ركّز، أرجوك»، لكنه كان يعرف هذا الشعور؛ شعور الحاجة الملحة. الرغبة في شيء يبدو قريبًا، لكنه لا يُمسك.

شعر به ليلة مات رامي، وشعر به أيضًا مع سعد، ولكن هذه المرة، لم يكن لأجلهما، بل كانت لأجله هو.

إن أخفق، لن يُدفن حلمه فقط، بل سيشعر وكأنه هو نفسه دُفِنَ.
خسروا بنتيجة 2-1.

دخل مازن إلى غرفة التربية البدنية حاملًا أكياسًا من السوبرماركت ممتلئة بالمشروبات والوجبات الخفيفة. سلّم الأستاذ يحيى مفتاح سيارة ورزمة مطوية من الفكة.

قال الأستاذ يحيى: «حق تعبك».

فردّ مازن بإصرار ونبرة غاضبة خفيفة: «لا داعي لذلك...»

فقال الأستاذ يحيى بحزم: «بل أصرّ!»

التقط وليد تلك النبرة فورًا؛ ذلك الشعور الذي كان يراوده كلما أعطاه أبو سعد هدية أو مالًا؛ شعور «لست متسولًا».

وضع مازن رزمة الفكة على المكتب، وهو يقسم أنه لن يأخذها، ولكنه حافظ على ابتسامة لطيفة. تنهد الأستاذ يحيى.

جلس مازن على كرسي الأستاذ يحيى، وألقى نظرة سريعة على المجموعة، ثم توقفت عيناه عند وليد.

قال الأستاذ يحيى بينما كان الطلاب يتناولون طعامهم: «هيا يا شباب

بسرعة»

جمع ناصر الأغلفة والعلب الفارغة في كيس بلاستيكي، ثم أعلن الأستاذ يحيى: «سنبذل الفرق قليلاً ليوم غد»

سأل أحد الطلاب: «هل أستطيع أن أكون القائد؟»

لكن ناصر قاطعه فوراً: «لا، فليبق الأمر كما هو...»

رمى الأستاذ يحيى ناصرًا بنظرة سريعة يملؤها الاستنكار، ثم واصل حديثه مع البقية: «بسام وثامر وناصر سيستقلون إلى فريق وليد غدًا بدلاً من فيصل وخالد وياسين»

سخر ناصر وقال: «لن أكون في فريقه»

رد ياسين: «اهدأ قليلاً»

فقال ناصر بحدة، وصوته يرتجف كأنه على وشك البكاء: «اصمت يا ذا الأنداء!»

صرخ الأستاذ يحيى: «احترم نفسك يا ولدا»

تمتم ناصر: «اللعنة عليك أنت أيضاً»، ثم ركل القمامة على الأرض وغادر المكان بعنف.

وقف الأستاذ يحيى متفاجئاً.

قال مازن، وهو يتسم بنظرة جانبية لوليد: «لا يستطيع التحكم في مشاعره أبداً»

شعر وليد كأنه يفقد صوابه، فمنذ أكد الأستاذ يحيى أن قائمة الفريق ستُعلن يوم الأحد، لم يعد ذهنه ينشغل بشيء سواها. لم تكن مهاراته ما يؤرقه، بل مازن. تلك النظرات المليئة بالزهو التي ظل مازن يوجهها نحوه، وكأنها تسخر منه، تذكّره بصمت أن بوسعه إفساد كل شيء.

في وقت مبكر من ذلك الصباح، انحنى وليد فوق صندوق في غرفة المعيشة، يبحث عن غراء لإصلاح حذائه البالي. مرّت والدته دون أن تُعلقَ على آثار الحذاء المتسخ على السجادة. وحين عثر على الغراء وسط كومة من بكرات الخيوط، دهنه على مقدّمة حذائه الرياضي وجلس يتظر جفافه، ويتضرّع بصمت أن يظهر اسمه في القائمة.

أوصى الأستاذ يحيى اللاعبين المتبقين، وعددهم ثلاثة عشر، بعد أن استبعد ناصر: «أحضروا ملابسكم وأحذيتكم يوم الأحد».

سار وليد إلى المدرسة وهو يحمل كتبه وحقيبة التدريب، وأفكاره تتسارع في ذهنه كما السيارات في الشارع المجاور.

تساءل في نفسه: «ماذا لو لم يُدرج اسمي؟ ماذا لو أدرج ثم تسبّب مازن في إفساد الأمر؟»

كلما تابع السير، انجرف عقله نحو ذكريات دفنها عميقًا. رامي. تُرى، ماذا كان أخوه سيفكر به الآن؟ هل كان سيشعر بالفخر؟ أم بالغضب لأن حياة وليد على وشك أن تتقدّم، بينما توقفت حياة رامي وسط ألسنة اللهب؟

تتم وليد وهو يعبر بوابة المدرسة: «أرجوك يا الله...»

قبل موعد الغداء، طلب وليد إذنًا من الأستاذ للذهاب إلى دورة المياه، لكنه توجه مباشرة إلى المبنى الصغير، مدركًا أن القائمة ستعلق هناك. وعندما اقترب من غرفة التربية البدنية، خفق قلبه لرؤية ورقة ملصقة على الباب. تقدم نحوها ببطء، يتمتم: «أرجوك يا الله». وجال ببصره على الأسماء.

«وليد عابد»

الاسم الثالث في القائمة.

اندفع في صدره شعور بالارتياح والفخر، وانحلت العقدة التي ظلت تضيق عليه طوال الأيام الماضية.

جاءه صوت مازن فجأة، فأفرعه: «هل حصلت على المال؟»

استدار وليد ليراه يحمل كيسًا من قوارير الماء، في طريقه إلى غرفة المعلمين. تلثم وليد فيما مدّ مازن يده نحوه: «ماذا... نعم، أنا... أعني، سأفعل. أعدك. فقط أمهلني بضعة أسابيع، وستصلك»

لم يجب مازن، بل اكتفى بابتسامة خفيفة. خيم الصمت.

قال وليد بنبرة حازمة: «ستحصل على مالك»

«حسنًا. لن أطلبه مرة أخرى»

استدار مازن، وارتجف خذّه بابتسامة جانبية خفيفة، وغادر المبنى الصغير.

بدا الوجه في مرآة الحمام منهكًا، ويائسًا، وضعيفًا كما لو أنه لم يبق شيء منه خلف عينيه.

فكر في نفسه: «أنت سعيد. لقد انضممت إلى الفريق للتو»

رش الماء على وجهه، ولكنه ارتدَّ إلى الخلف حين رفع بصره، وخُيِّلَ إليه،
من فوق كتفه، أن رامي يحدِّق فيه، ويتسم بلطف.
قال إيهاب: «مبروك»، فانتشله من شروده.
حدِّق وليد فيه مذهولاً. رمقه إيهاب بنظرة استفهام في حين التقط وليد
مندبلاً.

سأل مدرِّس اللغة الإنجليزية، مشيراً إلى الكتاب المدرسي: «من
سيجيب؟»

قال دحيمي، يلفظ الكلمة بشكل خاطئ: «إنها دوج تر»
ناداه المدرِّس، مومئاً برأسه نحوه: «وليد!»
أجاب وليد: «دوتر (Daughter) الحرفان G و H لا يُنطقان»
صاح فهد: «كنت أعلم ذلك!»

ردَّ المدرِّس: «حقاً؟ فلماذا لم نجب إذن؟»
انتشرت ضحكات خافتة في أنحاء الفصل بينما انكمش فهد في مقعده.
رفع المعلم يده لإسكاتهم قبل أن يتابع درسه. وحذَّر قُبيل رنين الجرس:
«اختبار الأسبوع المقبل لن يكون سهلاً، فاجتهدوا في الدراسة».

حالما خرج المعلم، سحب ناصر كرسيه باتجاه مازن، حاجباً إياه عن مجال
رؤية وليد؛ وبعد لحظات، التفت ناصر إلى الوراء، ونظر إلى وليد، ثم عاد إلى
حديثه.

تساءل وليد في داخله: «عن ماذا يتحدثان؟»
قال إيهاب، وكأنه التقط الفكرة من رأس وليد: «أتظن أنه يشعر
بالغيرة؟». استند بذراعه إلى الطاولة، وارتسمت على وجهه ابتسامة خفيفة
لصمت وليد.

همس وليد: «هل يمكنني أن أسألك شيئاً؟»

هزَّ إيهاب كتفيه، فقال وليد نحوه قليلاً.

«ما شأن مازن؟»

ضاقت عينا إيهاب، وسأل: «ما الذي تقصده؟»

«لست واثقاً تماماً»

«هل يتعلق الأمر بابن عمه؟»

توقف وليد لحظة، ثم أوما برأسه.

«أنظن أنه... يتحدث كثيراً؟»

«أنت خائف من أن يعرفوا بأنك دخلت السجن؟»

«لا»

توقف وليد، محاولاً التخلص من ذلك الإحساس الثقيل الذي التصق بجلده.

«في الواقع، لا أدري»

توقف إيهاب، يحدق به وكأن الكلام خانه ثم قال بالتعابير ذاتها: «ليس من شأني. أليس هذا ما قلته لي؟»

سخر وليد من صبيانية جوابه.

استدار إيهاب مجدداً، مظهرًا حماسةً، متخليًا عن ادعاء الغضب بسرعة، كما لو أنه لا يستطيع مقاومة ما يهيمه فعلاً.

«اسمع، سأقول لك شيئاً، لكن تذكّر أنني لم أخبرك به، مفهوم؟»

«مفهوم؟»

«هل كنت تعلم أن مازناً يبيت في الكافيتيريا؟»

حدّق فيه وليد مشوشاً.

«ليس كما تنام في الصف... أعني ليلاً، والمدرسة لا تعلم بذلك»

ثم ضحك.

تذكر رؤيته في الصباح الباكر، ممسكًا بفرشاة الأسنان. لم يُعر الأمر اهتمامًا كبيرًا وقتها. وتذكر وجوده أيضًا في الرابعة مساءً.
«لماذا؟»

«سمعتُ أنه طُرد من منزله»

ثم ضحك مجددًا.

«ولكنه ثري، أليس كذلك؟ مثل جمال»

«إنه يعمل في الكافيتيريا يا رجل. لا أظنُّ أحدًا يفعل ذلك كهواية»
بدهشة، وجَّه وليد نظره نحو مازن. كان يتحدث مع عيد، فيما عاد ناصر إلى مقعده.

حياته ليست بذلك الترف الذي تخيَّله وليد في عقله دون وعي. يعرف أن منزل جمال كبير، وأن عائلته ميسورة بما يكفي لإرساله إلى مدارس النهضة، لكن مازن...

سأل وليد: «هل كان مازن هنا دائمًا؟ أعني في المدرسة الحكومية؟»

«ربما. أنا أعرفه منذ المرحلة المتوسطة»

نحى وليد فضوله جانبًا بشأن ظروف مازن. ما كان يهمُّ فعليًا هو منعه من تدمير فرصته.

لكن كيف؟

كيف سيفعل ذلك؟

عواطفني ثور. أشعر وكأن المبنى المهجور يطبق عليّ. الرسائل... إنها بين
(المجهول) ومازن.

المجهول: أستطيع أن أخبرهم عن الامتحانات التي سرقتها وبعتها؛

المجهول: سيطردونك بسهولة، أليس كذلك؟

مازن: افعل ذلك. لا يهمني

المجهول: ربما سيهمك إن انتشر هذا

قلبتُ الصفحات المطبوعة في يديّ المرتجفتين. شدت الصفحة التالية
نظري، وانقبضت معدتي. الصورة الملونة مشوشة، ولكنها واضحة. رجلان
يحدقان في الكاميرا، أعينهما تعكس ومضة الفلاش القاسية، وفي أيديهما
زجاجات، وخلفهما، على الأريكة، جسد مألوف غارق في النوم. أقشعر
جلدي، وانغلقت قبضتي على الصفحة.

ما هذا؟

أنفاسي تنقطع، ورؤيتي تتشوش.

هدرت خطوات ثقيلة سريعة وعنيفة على الدرج أعادتني إلى الواقع.
المدخل يظلم حين يدخل شخص إلى الطابق الثالث.
وجهه شاحب، وعيناه هائجتان حين التقتا بعينيّ.

«مازن...»

لم يمنحني فرصة للكلام.

صرخ: «يا ابن الكلب»، وانقضّ عليّ.

تراجعت إلى الخلف، وانهمرت قبضاته على صدري وكتفي. على الرغم من جسده الأصفر، ولكن غضبه منحه قوة خادعة. لوح بقبضته بعشوائية فكشط فكي وشغّت صدمة حادة من الألم في وجهي.

صرخت، ممسكًا بمعصميه لأصدّ ضربته التالية: «مازن، توقف! استمع إليّ فقط!»

قال بصوت خشن: «أتظن أنك تستطيع تخويفنا؟»، وراح يدفعني إلى الجدار بقبضته القويلاذية.

صرختُ: «لستُ المجهول»، وأفلتتُ من قبضته ودفعته بعيدًا. تمايل، ولهث، وما تزال قبضته مشدودتين، ونظرته كسكين مسلولة. صرخ: «فما الذي تفعله هنا؟!»

قلت، مشيرًا إلى الصندوق في منتصف الغرفة: «وصلتني نفس الرسالة التي وصلتكَ! المجهول أرسل إليّ، وترك هذا من أجلنا»
«من أجلنا؟»

تحوّلت نظرة مازن إلى الصندوق، ثم عادت إليّ، والريّة ما تزال تشدُّ ملامحه.

أخذ واحدة من الزجاجات وتفحصها باستغراب وقال: «ما هذا؟»
اقتربت وقلت: «رأيتُه» وتناولت الملف الذي يخصه وقدمته له، ثم واصلت: «اسمك، ورسائلك، وكل شيء موجود هنا»

انزعجه وسحب الأوراق بعجلة، وتفحصها بعينه فيما يدها ترتجفان.
قلت بصوت خافت، في محاولة لتهديته: «لن أخبر أحدًا»
رفع نظره فجأة، ولامحه مزيج من عدم التصديق والقلق، وسأل: «لم تكن لك علاقة بهذا؟»

«لا علاقة لي! صدقني»
انخفض صوته ممزوجًا بالرجاء وقال: «فلماذا كنت مع وليد في تلك الليلة؟»

وليد سابقا

استعدَّ وليد حالماً رنَّ المنبِّه في الخامسة والنصف صباحاً. التقط كتبه،
وعلَّق حقيبة التمارين على كتفه، وغادر.

قال الأستاذ يحيى، وهو يجهّزهم للبطولة المقبلة خلال عطلة الربيع:
«ستدرب يومياً»

عند عودتهم إلى الصف بعد الطابور، علَّق وليد حقيبة التمارين على أذني
مقعده. اقترب ناصر، وفي سلوكه هدوء غريب.

تمتم ناصر، وجسده متوتر كمن يحبس شيئاً بداخله: «السلام عليكم»
«وعليكم السلام»

«اسمع» تنفَّس ناصر بعمق، وتلاشى توتره، ثم قال: «أردت أن أبارك
لك.»

تجمَّد وليد، وقد باغته الموقف. كان ناصر آخر من يتوقع منه مثل هذا
الكلام.

ردَّ بتحفظ: «شكراً، هذا... كرم منك»

أضاف ناصر بابتسامة، مشيراً إليه: «ارفع رؤوسنا!»

«نعم، سأبذل جهدي»

عاد ناصر إلى مقعده، يجتلس النظرات نحو وليد بشكل محرج حتى دخل
الأستاذ فواز الصف.

قال الأستاذ فواز، مشيراً إلى الحائط: «يا شباب، صف واحد»

اصطفَ الطلاب وتبعوه إلى غرفة الرياضيات، وهي مساحة أعيد
تخصيصها وتزويدها بجهاز عرض.

نأوه تركي في أثناء سيرهم وقال: «رائع، حصتنا رياضيات»
اقترح طارق: «فلنجلس في المقاعد الخلفية؛ أريد أن أنام»، حجز إيهاب
مقعدًا في الصف الأول لوليد دون أن يسأله.

استقرَّ الجميع، وبدأ الأستاذ فواز يعبث بجهاز العرض.
مع تقدُّم الدرس، لاحظ وليد أن الأستاذ فواز لا يتفكُّ ينظر إليه. في
البداية ظنَّ السبب يعود إلى عدم متابعته للشرح، لكن ملامح المدرِّس القلقة
المتعركة أوحى بشيء آخر.

همس وليد لإيهاب: «هل هناك خطب به، أم أنني أتخيَّل؟»

ابتسم إيهاب وتمتم: «ربما يعاني المغص»

رمقه الأستاذ فواز بنظرة حادة، وقد ضبطه في منتصف الهمة. لم يقل
شيئًا، ولكن نظرتَه تسمرت عليه، وعندما رنَّ الجرس، أنهى الدرس فجأة،
رغم أن حصّة أخرى ما زالت مقرّرة.

أعلن الأستاذ فواز، مغلقًا جهاز الحاسوب: «إلى فصلكم»
بدأ الطلاب بالخروج، لكنّه أوقف وليد، وقال لإيهاب، الذي تردّد قليلًا
قبل أن يرحل: «أغلق الباب»

سأل وليد، واقفًا بجمود إلى جانب المكتب، ممسكًا بكتابه: «نعم؟»
حدّقت عينا الأستاذ فواز المتسعّتان والمرهقتان فيه، ثمَّ أمره بعد صمت
طويل مشوب بالتوتر: «اجذب كرسيًا واجلس»
امثل وليد، وقلبه ينبض بعنف.

«ما الأمر؟»

جاء صوته اتهاميًا: «ماذا فعلتُ لك؟»

ازداد ارتباك وليد وقال: «عذرًا؟»

قال الأستاذ، وقد تصاعدت نبرته المتوترة: «أنت تعرف عما أتحدث»
«ليس لدي أي فكرة عما تعنيه يا أستاذ فواز. أقسم بالله!»
تنهد الأستاذ فواز، وراح يدلك صدغيه. تحولت ملامحه إلى مزيج من
الخوف والارتباب.

قال، وصوته ينكسر: «اسمع، أنا مستعد لمساعدتك. لا تترك حماقة،
وستنسى كل هذا. مفهوم؟»
لم يفهم وليد شيئاً.

قال: «حسناً»، لا اقتناعاً، بل رغبة في الخروج.

عاد وليد إلى الفصل، لكن ثمة خطب ما. اختفت حقيبته وأحذيته
الرياضية التي علقها على مقعده.

جال بنظرة في الغرفة، وسرعان ما تحول ارتبائه إلى إحباط. راقبه إيهاب
بفضول وهو يفتش تحت الطاولة والكراسي.

سأل وليد وهو يتوجه نحو ناصر: «هل أخذتها؟»

ردّ ناصر بسخرية: «أخذت ماذا؟»

«حقيبتني!»

«لا... ما هذا الهراء؟»

تدخل عيد، ويده تستند إلى طاولة ناصر: «أي حقيبة؟»

توجّهت نظرات وليد نحو مازن، الذي ارتسمت على شفّته ابتسامة
خفيفة.

أوضح وليد: «حذائي. ملابسي»

علق فهد: «لا توجد حصة رياضة اليوم»

تصاعد غليان الغضب في صدره وهو يجدد في الغرفة. راقبه فهد
وآخرون في صمت ساخر.

صرخ، واصطدم بجسد دحي عند الباب: «أين هي؟»

سأله دحي: «أين ماذا؟»

ارتفع صوته موجهًا حديثه إلى الصف بأكمله: «أين حذائي؟ لا بد أن أحدا رأى من أخذها!»

ضحك ناصر، وتبادل مازن وعيد النظرات.

صرخ وليد، مشيرًا نحوهما: «هل أنتما من أخذاهما؟!»

أجاب أحد أتباع ناصر من الخلف: «لم نأخذ شيئًا يا ولد»

دفع دحي وليد إلى الوراء وقال: «اجلس مكانك»

صرخ وليد، ودفع دحي جانبًا ليفتش الطاولة: «أبعد يدك عني!»

«أين هي؟»

انضم إليه إيهاب في البحث، لكن الحقيقة لم تظهر.

تحوّل الإحباط إلى يأس. لم يستطع أن يواجه الأستاذ بحسب وهو خالي

الوفاض. لن يتمكن من التدريب من دون لوازمه. ليس لديه حذاء آخر ليرتديه.

هددت الدموع بالانهار، وخنقه الغضب.

قال إيهاب، ممسكًا بذراعه: «تعال معي! لدي فكرة».

قلت بيأس، غير أن الشك لم يبارح عيني مازن: «لستُ المجهول»
 «هراء! أنت وصديقك المختل ابتزّزتمونا للذهاب إلى ذلك المخيم!»
 أصابني الاتهام كلكمة في البطن. ومض وجه وليد في ذهني؛ كيف أتصل
 بي بعد تسعة أشهر من الصمت، وكيف قادنا إلى هناك دون تفسير.
 قلت بهدوء، وصدرُي ينقبض: «لا. لم أعلم عن ذلك المخيم أصلاً حتى
 اصطحبني وليد إليه. لكن الآن... أظنُّ المجهول ابتزَّه أيضاً، تماماً كما فعل
 معكم»

انحنيت، والتقطتُ ملفي، وأمسكت به بإحكام.
 سأل مازن، وهو يرمقني بنظرة حادة: «ذلك يخصُّك؟». أومأت.
 انحنى نحو الملف الأخير وقال: «وهذا؟»، فتحه وسحب الورقة. لمحتُ
 اسم عبد قبل أن يعيدها إلى داخل الملف، ويبقيه معه. ارتعشت نظرة مازن
 لحظة.

سأل، بصوت منخفض لكنه مشدود: «ماذا رأيت؟»
 «ملفي فقط...»

ثم توقفت تحت حدة نظرتي، وتابعت: «وملفك»
 وضع يده على رأسه، وتنهد وهو يتجوّل في الغرفة. الشكوك التي كانت
 تراودني حول مازن تراجعت. لم يكن منطقياً أن يفضح نفسه هكذا، مع عبد
 أيضاً، لو كان هو المجهول.

سألت، مشيرًا إلى ملف عيد: «هل هناك ما يجب أن أعرفه؟»

صرَّ من بين أسنانه المشدودة: «أنت لا تعرف شيئًا!»

«لم ترَ شيئًا، ولا تعرف شيئًا... واضح؟!»

أردت أن أصدِّق أنه ليس المجهول، لكن المجهول خدعني من قبل.
تظاهر بأنه صديق وليد، وملاً رأسي بالسم، وأقنعني بأن أرتكب أمرًا لم
أتخيله لنفسي.

ثم إن ما حدث لإيهاب اليوم... مازن وحده القادر على تدبيره.

سألت، راصدًا ردَّ فعله بعناية: «هل ابتزك المجهول لتسمم أنسولين
فهد؟»

قال بحدة، وصوته يفيض دهشة: «تسميم؟ عن ماذا تتحدث؟»

«مازن، أعلم أن المفتاح بحوزتك»

«مفتاح ماذا؟!»

«غرفة التربية البدنية»

صرخ، وصوته يتردد في أرجاء المبنى المهجور: «وما علاقة هذا بأي
شيء؟!»

التمعت عينا مازن بشيء يشبه التفكير، ظلَّ شيء كان يحاول فهمه... أو
إخفاءه.

ما يمتلكه المجهول ضد مازن، الاختبارات التي سرقها، لم يكن كافيًا
ليدفعه إلى ارتكاب أمر مجنون كهذا، كقتل فهد. لكن ذلك الفيديو... ذلك
الفيديو الرهيب، والضحية فيه... مازن لن يسمح بانتشاره، لا سيَّما أن
الضحية صديقه.

صمتُ، وتركت الفراغ يمتدُّ.

«هل استعار عيد المفتاح منك يومًا؟»

لم يجب. كان يعلم شيئًا.

هذه الحزمة... أرادني المجهول أن أعرف من أيضًا متورط. لم أفهم
دوافعه، لكنّه أراد ذلك.

اقتربتُ، وأنفاسي متقطعة، وعيناي على الملف في يده.
«ما الذي في ملف عيد يا مازن؟»

لم يجب، عاد نظره إلى الصندوق مجددًا. تتبعته نظرتي: سُحِقَتْ ورقة
مطوية على شكل مربع صغير بين القوارير.
تبادلنا النظرات. التقطها، وفتحها.



@N_BH52

راح وليد يذرع الممر خلف إيهاب، أنفاسه تتسارع فيها بدأ الذعر يتصاعد داخله. هبط إيهاب الدرج ثم استدار نحوه.

قال بإلحاح: «أسرع»

وصلا إلى مكتب المدير، فأمسك إيهاب بذقن وليد، مجبراً إياه على النظر إليه.

قال، وأصابعه تضغط على بشرته: «أنت مريض»

«ماذا؟»

أمره إيهاب: «انظر إليّ! معدتك تؤلمك، وأنت تتلوى من الألم. مفهوم؟»
«...»

قبل أن يتمكن وليد من استيعاب ما يحدث، وجّه إليه إيهاب لكمة في بطنه، قطعت أنفاسه. سقط وليد على ركبتيه لاهثاً.

دفع إيهاب باب المدير بقوة.

«أستاذ أحمد! صديقي يشعر بألم في معدته. لا بد أنه أكل شيئاً ملوثاً»

أسرع المدير بالخروج، والقلق محفور في ملامحه. مدّ يده نحو هاتفه، لكن

إيهاب قاطعه: «لا يحتاج إلى مستشفى، إنّه بحاجة إلى ملابس نظيفة فقط»

قطّب المدير جبينه، وقد تحوّل الارتباك في وجهه إلى فهم مفاجئ.

حكّ إيهاب رأسه وقال: «لقد... فعلها على نفسه»



ضحك وليد وهما يغادران المبنى، وقال: «فعلتها على نفسي؟ هل فقدت عقلك؟»

ضحك إيهاب، واقتاده إلى سيارة سوداء لامعة كانت متوقفة قريبًا، وقال: «نجحت من قبل. استخدمتها في العام الماضي للتهرب من اختبار رياضيات»

أدار المحرك وانطلق على الطريق: «إلى أين بيتكم؟»
تردد وليد.

«أو يمكنني إعارتك حذائي، فمنزلي أقرب»

قال إيهاب وهو يقول: «أتعلم؟ أراهن أن ناصر هو من أخذ أشياءك»
الشك الذي ساور وليد تجاه إيهاب بدأ يخف.

لكن لماذا يفعل ناصر ذلك؟

هز إيهاب كتفيه وقال: «إنه حسود. من النوع الذي إن لم يحصل على أكبر قطعة من الكعكة، خرب الكعكة بأكملها كي لا يأكلها أحد»
تجهم وجه وليد.

«غاضب لأنه لم ينضم إلى الفريق، فيقوم بتخريب فرصتي؟»

«بالضبط. أراهن أنه فعلها خلال حصّة الرياضيات»

بدأ ذهن وليد يتقلب، مستعيدًا تصرفات الأستاذ فواز الغريبة في وقت سابق.

«هل تعتقد أن الأستاذ فواز له علاقة بناصر؟»

هز إيهاب رأسه وقال: «أستبعد ذلك. لماذا تسأل؟»

لم يُجب وليد.

تحوّل تركيزه إلى ضمان ألا يتعطل تدريبه من جديد، وأقسم في نفسه أنه سيحتفظ بحدائه وملابسه معه طوال الوقت في المرة القادمة.

كلّما قاد إيهاب، ازداد توتر وليد. تفاقم شعور الضيق داخله حين غادر إيهاب الطريق الرئيسي إلى حيّ مألوف؛ المسار ذاته الذي اعتاد وليد سلوكه لزيارة سعد يوميًا.

ولدهشته، واصل إيهاب القيادة في الاتجاه نفسه، مرورًا بمنزل عمّه منصور القديم، ذاك الذي بيع منذ سنوات، ثم على امتداد صف من البيوت الفاخرة، حتى وصلا إلى منزل سعد. بدا كما هو.

تسمّرت عينا وليد عليه وهما يعبرانه.

سأل إيهاب: «أعجبك هذا المنزل؟»

«ماذا؟»

ابتسم، وتوقف أمام بيت يواجه الحديقة: «عليك أن ترى منزلنا»

سأل وليد وهو يحدّق في البوابة الكبيرة ذات الزجاج الأزرق الفاتح الذي يمنح إيجاء بالنقاء: «أهذا منزلك؟!»

قال إيهاب: «سأعود حالًا»، واختفى من خلال باب جانبي في البوابة الكبيرة، تاركًا وليد مع ذكرى... هذا هو المنزل الذي ركض نحوه طلبًا للمساعدة حين اختنق سعد.

خرج وليد من السيارة وتوجه نحو الحديقة، فقادته خطواته إلى المبنى غير المكتمل على طرف الرصيف.

كل شيء بدا على حاله؛ المنطقة، والبيوت، وحتى الأشجار.

عادت ذكريات سعد، وخلفّت وراءها ارتباكًا. لم يخطر في باله منذ أسابيع، وانحسر الغضب الذي اعتراه سابقًا.

في أعلى المبنى، حدّق وليد إلى الحديقة من عل، تمامًا كما اعتاد هو وسعد أن يفعلوا. تساءل عما يفعله سعد الآن، وهل ما يزال يهتم لأمره، وهل ما يزال وليد يهتم بالمقابل.

قطع صوت إيهاب شروده وهو يناديه من الأسفل، ممسكًا بحقيبة. ردّ عليه وليد، وبدأ بالنزول. وصلا إلى المدرسة في الوقت المناسب تمامًا. ركض وليد إلى الملعب، وحذاء إيهاب غير مربوط. بدأ بقية الفريق بالتجمع. أمر الأستاذ بحبي: «اصطفؤا»، فيما كان جاسم يدفع المتأخرين خارج الملعب.

احتدمت المباراة التدريبية. واجهوا فريقًا شكّله الأستاذ بحبي، ضمّ لاعبين بارزين مثل عمار.

رغم التحدي، فاز فريق وليد، وجمعهم الأستاذ بحبي بعد ذلك. «اخترتُ كل واحد منكم لأنكم تلعبون كفريق؛ ولهذا السبب استبعدت اللاعبين المميزين الذين لا يفعلون ذلك» قال جاسم، وربت على كتف وليد: «أحسنت يا رجل». بدا ذلك التقدير وكأنه خطوة أخرى نحو حلمه.

بحلول الحصّة السابعة، لاحظ وليد نظرات ناصر الحادّة نحوه. كان التوتر في الجو ملموسًا. انغلقت قبضته على الحقيبة، وامتلا ذهنه بمخاوف من أن يكتشف ناصر ماضيه؛ السجن، وجمال، وحتى حريق الخيمة.

بعد انتهاء اليوم الدراسي، وبينما كان يقترب من سيارة إيهاب ليعيد إليه الحذاء والملابس، توقّف فجأة.

جلس إيهاب خلف المقود، والدم يسيل من أنفه، وزر قميصه العلوي ممزق.

قال، متجاوزًا الموقف: «اصطدمتُ بالباب. إنه نزيف أنف فقط»، رغم
أن الضرر يوحى بعكس ذلك.
ناولهُ وليد المناديل، مدركًا أن ما حدث ليس حادثًا عرضيًا.
كذب، بابتسامة مجعدة: «لا بأس. عانيتُ من هذا الأمر كثيرًا»
الغضب يغلي في داخله. قدّم إيهاب يد العون له، ودفع الثمن... ووليد لا
يستطيع أن يفعل شيئًا حيال ذلك.
لا يمكنه أن يكرر الخطأ نفسه مرة أخرى.

رأيتُ وجهه يشحب تمامًا حين انتهى من قراءتها.

«ما الأمر؟»

سحبتُ الورقة منه دون مقاومة تُذكر، ثم شعرتُ بوجهي يفقد الإحساس.

تعليمات ليوم الغد: اتبع هذه التعليمات، وإلا سأفصح كل شيء.

مازن وعيد وسعد: تحتوي حقائبكم على حقن مع علب الماء. اذهبوا إلى الكافيتريا في وقت مبكر، واحقنوا السائل في كل علبة عصير هناك. استخدموا الحقنة لسحب بعض العصير واستبداله بالقليل من الماء الذي أعطيتكم إياه.

إن كنتم تتسائلون عما في هذه العلب، فليس شيئًا خطيرًا؛ أعدكم بذلك، ولكن أعدكم أيضًا بما يلي:

- أي خطأ من أي منكم، ستكشفون جميعًا.

- إن ذهبتم إلى الشرطة، ستكشفون جميعًا.

- إن حاولتم فعل أي حيلة، ستكشفون جميعًا.

نحياتي،

(مجهول؛)

بدأ جلدي يقشع، التفتُّ إلى مازن بحثًا عن شيء من الطمأنينة، فلم أجد سوى الرعب. رفع هاتفه.

سألته: «ماذا تفعل؟»، ولكنه تجاهلني.
قال عبر الهاتف: «أين أنت؟»، ثم فجأة تغير وجهه إلى الدهول.
توسل: «ماذا! لماذا؟ عليك أن تغادر فوراً...» وانقطع الاتصال.
ارتسم الضيق في ملامحه.
قال: «أحتاج توصيلة»، فنظرتُ إليه بتردد، ثم سألته: «إلى أين؟»
«الأشخاص في الفيديو، عيد معهم»
لذتُ بالصمت، حائراً فيما ينوي فعله.
«هم من أرسلوا الفيديو إلى مجهول. لا بد أنهم يعرفون من هو»

وليد سابقا

قال إيهاب: «كذبتُ؛ ناصر هو من فعلها. ضربني على وجهي لأنني أعطيتك الحذاء»

أخذ وليد نفسًا عميقًا، ثم سأل: «أين هو؟»
«غادر. لماذا؟»

قال وليد: «ربما نحتاج أن نتحدث معه»، وكان جادًا، إذ لا يرغب في شجار مع ناصر، ولكنه يريد تهدئته، أو على الأقل أن يُبعده عنه إلى أن تُحل الأمور.

«ليست فكرة جيدة»

«هل تخاف منه؟»

صرخ إيهاب بانفعال: «لا!»

«لكنك سمحت له أن يضربك ويغادر؟»

تصاعد غضب وليد وهو يتخيل ناصر يعتدي على إيهاب دون أن يحرك ساكنًا.

«لقد هرب. أرجوك انس الأمر فقط وأغلق الباب»

فكر وليد: إذن لماذا أخبرتني؟!

لامست لفحة برودة المكيف وجه وليد، وعزف إيقاع هادئ خافت في الخلفية. جلس صامتًا، بثقله ضيق الخيارات.

ضُربَ إيهاب لأنه فعل شيئًا طيبًا لأجله، وها هو في ورطة بسببه. سأل إيهاب وهما يمران بالتقاطع: «عندك خطط لنهاية الأسبوع؟»
نظر وليد إليه، وشفته العليا لا تزال مُحَمَّرَةً: «خطط؟»
«أجل، مثلاً هل ستذهب إلى المول أو شيء من هذا القبيل...»
قاطعته وليد: «أنا آسف»، فنظر إليه إيهاب، مرتبكًا، فأضاف: «أنا آسف حقًا لأنني ورطتك في مشكلة»
فهقه إيهاب ساخرًا: «لم تفعل أي شيء يا رجل!».

سأل إيهاب: «هل أستطيع إخبارك بشيء؟»
أومأ وليد.
«لقد أعجبتني في اللحظة التي سمعتُ فيها ما فعلته بجمال»
انسمت عينا وليد وسأل: «ماذا تقصد؟»
«عندما كنتُ في الصف الثاني، أتذكرك أنت وصديقك... لا أذكر اسمه بالضبط، لكنه الفتى النحيل الذي كان دائمًا معك»
«لحظة...» ضيقَ وليد أبصاره وقال: «هل كنتَ تدرس في مدارس النهضة؟!»

«نعم.»

«لا أتذكر أنني رأيتك.»

«كنا في فصول مختلفة، وأيضًا لأنني انتقلتُ منها في الصف الثاني الابتدائي.» هزَّ كتفيه وقال: «لكن جمال كان معنا في السنة الثانية؛ كان في فصلنا، ولم يترك أحدًا وشأنه.»

«هذا هو جمال»

«لكنني كنتُ المفضل لديه. أحب العبث معي. نعتني بكل صفة في
القاموس؛ هيكل عظمي، بكاء...»
«هذا ما نعت به سعدًا»

«من سعد؟»

«النحيل الذي كان دائمًا معي»
ضحك إيهاب ضحكة خافتة: «حقًا؟ نعته بالبكاء؟»

«نعم»

ثم ضحك وليد أيضًا.

«على أي حال، في إحدى المرات خلال حصة التربية البدنية، كنا نستعد
للسباحة، وجمال لا يجيدها، لذا كان عليه استخدام العوامات. أحضرتُ قلما
معني إلى المسبح ظانا أنني سأرعبه، وحين تأكدت أن لا أحد يراقب، وخزرتُ
عوامته»

«أأنت جاد؟»

رد إيهاب مبتسمًا: «لقد غرق؛ ظل يهوي إلى الجزء العميق، واضطر
مدرب السباحة، الأستاذ عبد الله لمساعدته. بحلول ذلك الوقت، شرب
ما يكفي من ماء المسبح وشعر بإذلال شديد. سحبوه خارجًا وهو يسعل
ويبكي. كان الأمر مدهشًا»

«هل عرف أحد أنك فعلتها؟»

«ليس قبل أن أضحك والقلم في يدي»

سأل وليد متشككًا: «هل فصلوك بسبب ذلك؟»

«ليس تمامًا. لكنهم أجبروا والديَّ على نقلي»

ضيق وليد نظره وقال: «إذن على أي حال، عندما سمعتُ عن ضربك
لجمال حتى شارف على الموت، فكرت في نفسي وقلت: (جيد، لقد استحق
ذلك). ولكن الأهم من ذلك، أردتُ أن أتعرف عليك»

«لأنك رائع! أنت لا تخاف من أحد»

ضحك إيهاب ضحكة خافتة، ثم أضاف بسخرية: «مثلي»

صمت وليد، وحدثق به. ابتسامة إيهاب الصغيرة لا تصل إلى عينيه.

سلوكه الهادئ والمتروي يبدو مزيقاً، كما لو أنه يحاول إقناع وليد بأنه شيء آخر غير ما هو عليه.

«لقد تركت ناصر يضربك ويغادر. هل هذا رائع أيضاً؟»

تلاشت ابتسامة إيهاب، ورمقه بنظرة جادة، ثم أشاح بوجهه.

«أنا آسف. لم أقصد أن أكون...»

تمتم إيهاب: «أجل، بالتأكيد». وتحولت ملامحه إلى برود مُطلق، خالية من

أي انفعال.

هل استدرج إلى أمر سيئ؟ شددت قبضتي على عجلة القيادة، بينما امتدت يدي الأخرى إلى الصندوق بجانبى. أغلقت أصابعى على قلم حبر أزرق، وأدخلته في جيبى.

ما يزال مازن، الجالس إلى جوارى، منشغلاً بهاتفه، يحاول الاتصال بعيد للمرة الثالثة. المدينة تتلاشى خلفنا، والطريق يمتد إلى ما لا نهاية في العتمة. خفت حركة المرور، وتناقص عدد المباني. الاستراحة، الموقع الذي أرسله مازن، يظهر على شاشة سيارتي.

تبقت خمس عشرة دقيقة.

تساءلت عن طبيعة الأشخاص الذين قد يرتبط بهم المجهول، ولكنني لم أستطع تخيله يرتاد الاستراحات أو يفعل ما كان يفعله. الابتزاز، ثمة شيء لا يبدو على ما يرام.

سألت: «من هؤلاء الأشخاص؟»

تردد مازن. شد قبضته على الهاتف، ولمع الخوف في عينيه قبل أن يتنهد قائلاً: «لا أعلم...»

قلت بانفعال: «عليك أن تخبرني. أنا الذي أتجه إليهم»

نظر إليّ بغضب مكبوت وقال بمرارة: «اسأل عيد بنفسك»، فأدركت أن غضبه موجه إلى عيد لا إليّ.

زفرتُ بحدة وتمتمتُ: «تلك الصورة...»، كانت تومض في ذهني.
الرجلان، وتعابير وجهيهما الملتوية. التلميح المقرز الكامن خلفها. شعرت
بالغشيان، ثم قلت: «لقد استغلوه»

توقَّف مازن لحظة، ثم أوماً، وقد أصبح صوته مشوباً بالمرارة: «ولم يكن
ذلك أسوأ ما حدث في تلك الليلة»
انتظرتُ منه أن يُكمل.

«ظَلَّ المجهول يعذب عيد بذلك الفيديو لفترة»

ومضت في ذهني تهديدات المجهول والرسائل التي بعث بها إليّ، وكيف
استخدم والديّ ضدي. الصندوق في المقعد الخلفي يهتز مع الطريق، والعلب
في داخله ترتطم ببعضها.

«ألم تظنَّ أن المجهول واحد منهم؟»

«في البداية، نعم. لكن ذلك الوغد دسَّ ورقة بطريقة ما في درج عيد.
كانت تحتوي على نفس الصورة التي رأيتها في ملفي. إذاً هو...»
قاطعتُه: «طالب. ماذا أراد؟»

«لا أعلم، لم يطلب شيئاً... حتى اليوم»

قلت ببرود: «الآن يريد منه، ومنّا، أن نسَمِّ الطلاب غداً»

تبع ذلك صمت طويل لا يقطعه سوى أزيز المحرك.

سأل مازن أخيراً: «ما الذي يملكه المجهول ضدك؟»

اشتدت قبضتي على القلم، وضغطت به على فخذي. ترددت: «أب...»،

ثم تهزَّبت وقلت: «بإمكاني أن أطرح عليك السؤال ذاته»

فهقه مازن بصوت خافت وقال: «لقد رأيت ملفي. وملف عيد»

«لم أرَ ملف عيد»

«لكنك تعلم الآن. إنه يتعرض للابتزاز بذلك الفيديو. والامتحانات...»

ماذا لديه ضدك؟»

تسارعت أفكاري، وقلبي ينبض بشدة. لكن ما قلته بعد ذلك فاجاني أنا نفسي.

اعترفتُ: «أراد مني أن أسمّم فهدًا، ولكنني لم أفعل. إنه يظن أنني فعلت»
فُتِحَ فم مازن في دهول.

قال بصوت بالكاد يُسمع: «وقد مات فهد»

«نعم»

«أنت قتلتَه؟»

قلتُ بانفعال: «بالطبع لا. مات لأن أحدهم، غالبًا عيد، أو أنت، إن كنت صريحًا، سمّم الإنسولين الخاص به»
تصلَّب مازن.

«مفتاح غرفة التربية البدنية بحوزتك. إما أنت وإما عيد من وصل إلى
ثلاجة الأستاذ يجي»

انتظرتُ، وراقبته بانتباه.

حدَّق أمامه، شاردًا. ثم، همس: «لم أفعل ذلك»

نسلل الإدراك إلى ملامحه ببطء خائق. لقد بدأ يشكُّ في عيد أيضًا.

سألت بنبرة ثابتة: «ماذا عن عيد؟ إن كان المجهول يمتلك ذلك الفيديو،
فلا بد أنه ابتزّه ليفعلها»

المجهول لا يعذب أحدًا لمجرد التسلية. إنه يريد شيئًا دائمًا.

امتدَّ الصمت بيننا بينما أقود، ثم قطعه مازن: «التعليقات... هو لا يعنيها
حقًا، أليس كذلك؟»

كان وجهه يعكس القلق ذاته الذي شعرت به حين اقترح المجهول
الانتقام لوليد.

«بل يعنيها»

«لكن فهد كان يعاني من مشاكل صحية... حتى دهمي قال...»

صرخت: «لقد قتل إيهاب أيضًا»

تغيّرت ملامح مازن، وبدأ يدرك شيئًا فشيئًا، ثم قال يائسًا: «الحثالة اللذان
نتوجه لهما الآن يعرفان المجهول... يمكننا أن نكتشف هويته ونوقفه».

بعد أن استيقظ من قيلولته، أدرك وليد أنه نسي إعادة الحقيبة إلى إيهاب. رؤيته لمنزل إيهاب في وقت سابق جعلته يشك في أن إيهاب سيلاحظ غياب الملابس، لكن لازمه شعور بالذنب منذ آخر حديث دار بينهما.

أمسك هاتفه، ولاحظ إشعارًا على إنستجرام. إيهاب تابع حسابه، فبادر إلى متابعته، وانتظر وهو ينظر إلى الحساب المقفل. ثم فُتِحَ.

ظهرت الصفحة على شاشته المتشقة، تعرض ملف إيهاب الشخصي. بدا كل منشور مختلفًا: أحدها صورة سيلفي أمام مرآة حمام تحيط بها جدران مبلطة بالأبيض والأسود، وآخر لخلفية مضيئة بألوان نيون تتوهج فيه شاشتان. إحدى التعليقات كتب فيها: «وحيد في البيت في عطلة نهاية الأسبوع، أعتقد أنني سأصور فيديو جديدًا!»

فيديو؟ تابع وليد التزول بدافع الفضول حتى وجد منشورًا من بضعة أسابيع؛ لقطة شاشة من فيديو على يوتيوب بعنوان: «المحقق إيهاب». وتحتها نص يقول: شاهدوا الفيديو الجديد: الرابط في البايو.

نقر على الرابط، وبدأ الفيديو في التحميل. استقبله صوت إيهاب: «مرحبًا بالجميع! أنا إيهاب من قناة المحقق إيهاب»
رمش وليد بدهشة. قناة المحقق إيهاب؟

«في هذا الفيديو، سنتناول قضية قتل جديدة تلاحقني في ليلتي. هذه المرة، قضية قاتل متسلسل»

واصل إيهاب الحديث، يصف الأفعال المروعة لزوجين أمريكيين قاما
بقتل فتيات صغيرات.

أوضح إيهاب: «مصطلح القاتل المتسلسل لا يُطلق جزافاً، إذ لا يُستخدم
إلا إذا وقعت ثلاث جرائم قتل على الأقل. لكن إليكم ما في الأمر: أغلب
القتلة المتسلسلين لا يبدوون مرعبين كما قد تظنون. إنهم جبناء. انظروا إلى
كل القضايا التي تناولناها، جميعهم استهدفوا أشخاصاً لا يستطيعون الدفاع
عن أنفسهم. خذوا جيمس وسامانثا رايان، على سبيل المثال. كل ضحاياهما
قُتلوا خلال نومهم؛ أليس هذا جبناً؟»

تجمّد وليد في مكانه، وقلبه يخفق بعنف. ومض وجه رامي في ذهنه، ثم
وجوه أبناء عمومته. عادت رائحة الغاز والدخان لتخنقه. أغلق الهاتف،
ولكن بقي الشعور بالذنب.

قال لنفسه: «لست جباناً. لست قاتلاً». ما حدث في تلك الليلة لم يكن
سوى حادث بالكاد يستطيع تذكره.

امتلات عيناه بالدموع، وتهدّج نفسه بين الذكريات. عليه أن يصدق أنه
لم يكن خطأه. لا يمكنه السماح لنفسه بأن يسقط مجدداً في تلك العتمة؛ لم يكن
قاتلاً، ولا ينبغي له أن يكون.

انزلق إشعار عبر الشاشة، قاطعاً تيار أفكاره. رسالة مباشرة من إيهاب:

إيهاب: مرحباً! كيف الحال؟

وليد: بخير، وأنت؟

إيهاب: رائع. هل أنت متفرغ؟

سألتُ ويدي تشدُّ على عجلة القيادة: «هم يعرفون من هو؟»
 «لا بد أنهم يعرفون. ربما يكون شقيق أحدهم، وهذا يفسر كيف علم
 بوجود الفيديو من الأساس»

شقيق لأحدهم ويدرس في مدرستنا أيضًا... ما دوافعه؟ لماذا أراد موت
 فهد؟ لماذا ابتز مازنًا وعيدًا وفهدًا ودحميًا ليلتقوا في المخيم تلك الليلة؟
 ولماذا وليد؟

تمتم مازن، محدِّقًا في هاتفه: «أوه». ثم أدار الشاشة نحوي وأنا أقود. مربع
 أسود تتوسطه عبارة بيضاء: لا حول ولا قوة إلا بالله
 حدِّقت في الشاشة: «ما هذا؟»

قال مازن: «حساب إيهاب»

إن مات، فكيف نشر ذلك؟ بالكاد تكوَّنت الفكرة في رأسي حتى قال
 مازن: «لم يمت. في العناية المركزة»

نظرت إليه، ثم أخذت الهاتف. التعليق، بدا وكأنه من والديه، يرجو أن
 الدعاء له. لم أعرف إن كان من المفترض أن أشعر بالارتياح، فالمجهول قال
 إن موت فهد سيكون بطيئًا ومؤلمًا.

ارتعشتُ من فكرة إيهاب راقداً في سرير المستشفى يصارع من أجل حياته

بسببي.

كدت أقتل فهذا، وإيهاب هو من دفع الثمن، كما كدت أقتل جمالاً، ووليد هو من دفع الثمن. هم من عوقبوا لأنهم حاولوا مساعدتي.

تخيلت وجه المجهول، ولم أر فيه سوى غطرسة خبيثة صافية. لم يكتفِ بخداعي وسحبي إلى الجحيم، بل يريد مني، منا جميعاً، أن نفعل ما هو أسوأ غداً، وكأنه سينجو من العقاب مجدداً.

نظرت إلى الجي بي إس، تبقت ثلاث دقائق. ثلاث دقائق تفصلني عن اكتشاف هوية المجهول.

ضغطت على دواسة الوقود أكثر، وشدت قبضتي على عجلة القيادة حيث بدأت الاستراحة تظهر أمامي. لم يبق مجال للتردد...

ما إن توقفت، حتى اندفع مازن خارجاً، راكضاً نحو المبنى. أطفأت المحرك ولحقت به، والنبض يتردد في أذني كالطارق. الجدران البيضاء تعلو أمامي، والبوابة مفتوحة تكشف عن ممر خافت الإضاءة.

لم توجد أي سيارات بالخارج، فقط سيارة جيب صفراء كبيرة مركونة داخل البوابة... لم تكن سيارة عيد. كنت سألاحظها في المدرسة لو كانت كذلك.

ركض مازن إلى غرفة المعيشة الرئيسة، ثم توقف فجأة، تجمّد جسده في مكانه. ارتفعت يده إلى رأسه. كان جامداً مذعوراً.

انتزع صدري مقلب من الفزع. تقدّمت خطوة بعد خطوة، كل حركة محسوبة، ثابتة، ثم رأيته من خلال النافذة.

وقف عيد فوق رجل فاقد للوعي. تحدّق عيناه الواسعتان إلى الأسفل، توتر جسده بأكمله.

أما الرجل عند قدميه، فلقد رأيته من قبل.

وليد سابقا

تدلّت قدما وليد من الطّابق الثّالث للمبنى المهجور. مضت ساعة منذ غابت الشّمس، وشعر في زحف الظّلام براحة غريبة، كأنّها كفنٌ يحميه من أفكاره. حدّق في الأفق البعيد، ولا يقطع الصّمت سوى حفيف أوراق الشّجر الخافت في مهبّ الريح.

تردّد صدى خطوات على الدرج، وسبق إيهاب ضوءٌ يتراقص. كانت الظّلال المتراقصة لمصباحه اليدوي تتلوّى على الجدران كلّما صعد.

سأل إيهاب حالما رأى وليدًا: «هل مشيت إلى هنا؟»

المكان ليس بعيدًا.

قال إيهاب وهو يقترب: «بل هو كذلك إلى حدّ ما. إنني متفاجئ من أنّك

ما تزال تذكر هذا المكان»

«ارتدّته كثيرًا»

أشار إيهاب إلى المكان حوله وقال: «هنا؟ أتقصد هذا المكان بعينه؟»

ضحك وليد وأجاب: «لا، أقصد الحي. كان عمي يسكن قريبًا من هنا»

نظر إيهاب إلى المكان المجاور لوليد بعين مرتابة، ثم مسح بقدمه قبل أن

يجلس. نظر إلى الأرض في الأسفل وارتجف، وقال: «يا إلهي، هذا مخيف!»

رَبّت وليد على الموضع بجانبه وقال: «لا تقلق، الأمور على ما يُرام. لن

تسقط»

تتم إيهاب وهو يجلس ببطء: «لو متُّ نتيجة سقوط عارض، فساكون في غاية الاستياء!»

ضحك وليد وأجابه: «لا داعي للخوف»
«المسألة ليست مسألة خوف، بل مسألة حماقة.»
«أتقصد مثل القتلة المتسلسلين الذين تتحدث عنهم؟»
أشرق وجه إيهاب فجأة وسأل: «هل شاهدت قناتي؟»
«آآ... نعم»

«وما رأيك؟»

خفتت ابتسامته حين تردّد وليد، فتابع: «أهي سيئة إلى هذا الحد؟»
هزّ وليد كتفيه وأجاب: «لا أعرف، ولكنني لا أشاهد اليوتيوب كثيرًا»
ضحك إيهاب وقال: «ليست لديك فكرة عمّا يفوتك. هناك شخص
أعرفه، يُدعى Laithx 176، وقد بدأنا في التوقيت نفسه، ولكنه الآن يملك
مئة وعشرين ألف مشترك. لقد أصبح مشهورًا!»
«لم أسمع به من قبل»

«اشتهر بسبب مقطع عن قضية جريمة محلية؛ قضية ثامر عبد العزيز»
«من؟!»

«الفتى الذي طعن والده خلال نومه؛ ألا تعرف القصة؟!»
«ماذا؟! ولماذا فعل ذلك؟!»

«جني!»

ثم توقف مترقبًا ردة فعل وليد.

رمقه وليد بنظرة حائرة، فابتسم إيهاب وتابع: «كان محسوسًا بجني! لا،
أمزح فحسب. كان الفتى يتعرّض للعنف، حيث وُجِدَت على ذراعيه آثار
حروق سجاثر، وأشياء من هذا القبيل. أدركت الشرطة أنه لم يكن قاتلاً، بل
ضحية دافع عن نفسه. أظن أنه سيُطلق سراحه بعد خمس سنوات»

«إذن، فإنك لا تعتبره قاتلاً، أليس كذلك؟»

«بحسب القانون؟ بلى، ولكن في الحقيقة؟ لا، لم يكن قاتلاً، إذ لم يكن أمامه خيار آخر كما تعلم»

التفت إيهاب إلى وليد مبتسماً وقال: «تبدو مهتماً بالأمر...»

هزّ وليد رأسه وأطلق زفرة وقال: «أعتقد أنني أريد سؤالك عن شيء ما»
«حسناً...؟»

«لنفترض أن أحدهم أذاك بشدة؛ أعني...»

توقف قليل، وفكّر في حسن ونواف والضرب والخنق والغضب، ثم واصل: «أعني أنه أذاك بحق، واضطّرت للدفاع عن نفسك، ولكنك تجاوزت الحد،...»

تلاشت ابتسامة إيهاب وانحنى قليلاً إلى الأمام وقال: «وماذا؟»
«ومات»

قالها وليد وعيناه مثبتتان على الشجرة المتهايلة بعيداً.

سأل إيهاب قاطعاً الصمت بضحكة قصيرة: «هل هذا مثال واقعي؟»
انقبض صدر وليد، غير أن إيهاب تابع وقد خفتت نبرته: «برأيي...
برأيي لا تُعدّ جريمة قتل ما لم يُكتشف أمرها»
نظر إليه وليد متردداً، ولا يعلم إن كان الأفضل أن يضحك أم يشعر بالقلق.

«أي أن من دافع عن نفسه لا يجدر بضميره أن يعذبه بسبب ما فعله؟»
«فعل ماذا؟»

تردّد وليد، هل سيجرؤ على كشف هذا السر مرة أخرى؟ ولكنه تهم: «هذا سخيف؛ انس الأمر»، وصرف الفكرة مع صرفه بصره، ولكن الثقل في صدره ظلّ موجوداً.

سَرَتْ قشعريرة في جسدي بينما أتبع مازن إلى الداخل، اقتربت أكثر،
وحدّقتُ في وجه الرجل.

هو ذاته؛ ذلك الذي كان يتسم في لقطة الشاشة، والذي انحنى فوق عيد
عندما كان فاقداً للوعي في الخلف.

زفر مازن وقد تسللت نبرة الذعر إلى صوته: «حسنًا... علينا فقط أن...»،
توقّف في منتصف الجملة، ويداه تقبضان على رأسه.

قال عيد بنبرة خافتة لا تحمل انفعالات: «قلت لك لا تأتي»، وعندها فقط
لاحظت منفضة السجائر في يده؛ ولطخة دم تغطي طرفها. لم جسد فهد
الميت في ذهني، ثم إيهاب، راقداً على سرير المستشفى، يصارع من أجل
حياته.

سألتُ: «ماذا حدث؟»، فنظر إليّ عيد أخيراً، وكأنه لاحظ وجودي للتو.
صرخ عيد في وجه مازن: «ما الذي يفعله هنا؟»، ولكن مازن كان قد
انحنى بالفعل فوق الرجل، واقتربت أصابعه من أنفه.
أكّد مازن ناظرًا إليّ: «ما يزال يتنفس»

انحنى عيد رافعاً منفضة السجائر. اندفعتُ فوراً وأمسكت بذراعه قبل
أن يهوي بها. انتزع عيد ذراعي بعنف، وحدّق بي، وعيناه تتصارعان بين
الغضب والإرهاق.

«أعلم ما فعلوه بك، وأعلم أنه يستحق ما هو أسوأ، لكن...»

قاطعه عيد ملتفًا حول مازن: «هل أخبرتة؟» تردّد مازن، ثم فتح فمه،
والتقت أعيننا.

قلتُ بسرعة: «لا، لم يخبرني. ذلك الحقير (المجهول) هو من أخبرني. إنه
يبتزني أيضًا يا عيد...»

قطع السعال كلامي. تحرك الرجل وراح يثن، وامتدت يده إلى مؤخرة
رأسه. ثم، فجأة، دفع نفسه إلى الأعلى.

قال بصوت متعب مبجوح: «يا ابن الكلب...»، ثم حاول النهوض.
دفعه مازن إلى الخلف وقال: «ابق حيث أنت!»

اختفى الخوف الذي استوطن مازن في البداية. تولى زمام الموقف بدقة
باردة. تردد الرجل ثم صمت.

وجّه سؤاله إلى عيد: «ما الذي تريده؟»

هوت صفعه حادة تهوي على وجهه قبل أن يتلقى الرد.

طالبه عيد بصوت بارد: «ستخبرني الآن بكل من أرسلت إليه الفيديو،
ستخبرني بكل واحد منهم»

أهذا ما جاء من أجله؟

«لا أعلم عمّ تتحدث...»

ثم جاءت صفعه أخرى، ولكنها من مازن في هذه المرة.

أمره مازن: «أخبره»

تقدمت خطوة والغضب يتصاعد داخلي. عليّ أن أعرف. ذلك الفيديو
وصل إلى يد (المجهول)، وإذا عرفنا كيف، فقد نتمكن من إيقافه.

قلتُ: «فتش جيوبه، نحتاج إلى هاتفه»

نقدّ مازن ما قلتُ، ولكنه لم يجد شيئًا. نظرتُ في غرفة المعيشة، ورأيتَه عند
زاوية الأريكة المقابلة للباب، شاشته تعكس ضوء السقف.

وجدنا الرسالة فورًا تقريبًا.

رسالة قديمة، من المجهول منذ أشهر، تحية بسيطة لم تُفتح:

المجهول: مرحبًا سلطان

نتم مازن وهو يتفحص المحادثة: «ما هذا؟»، ثم توقف فجأة. توقفت الرسائل عند هذا الحد. لا رد من سلطان.

اندفع عيد بزئير غاضب، وركل سلطان بقوة في ضلوعه، وسأل: «كيف وصل إليه الفيديو!؟»

انتزعتُ الهاتف من يد مازن، وواصلت التمرير في الرسائل الخاصة. معظمها لا جدوى منه. ثم، توقفت عيناى على شيء ما.

حساب باسم عيسى، وجهه مألوف في صورة الملف.

قرأتُ قبل فتح المحادثة: «الآن، في الخارج»

سألتُ حين أريتُ مازن الشاشة: «هل هذا الفتى في مدرستنا؟».

تفحصتها، وانقبض حاجباه.

«لا، يبدو أكبر سنًا»

توتر جسده، ثم نادى: «عيد!»

بالكاد سمعه عيد، وقدمه تضغط على ذراع الرجل بقوة.

فتحت المحادثة، ورأيت ما كنت أبحث عنه. أُرسِلَ الفيديو قبل الرسالة

الآخيرة. مررت سريعًا إلى البداية:

عيسى: هذا حسابي الجديد.

سلطان: ماذا حدث لحسابك القديم؟

عيسى: فقدت هاتفي. وكل شيء عليه. ههه

سلطان: هل أنت جاد؟

عيسى: نعم

سلطان: عيسى يجلس بجانبى الآن ههه

سلطان: من أنت يا كذاب؟

قلتُ في نفسي: إنَّه المجهول

أعادت صرخة سلطان المخنوقة انتباهي إلى اللحظة.

عيسى: أنا من سيجعلك تدخل السجن

ثم، لقطة شاشة.

محادثة بين حساب عيسى وشخص يُدعى عمار.

عمار يظن أنه يتحدث مع سلطان.

يتحدثان عن اللقاء مجدداً، وإحضار المزيد من الحبوب وأشياء أخرى.

عيسى: إذا حظرتني، سأتواصل مع الشرطة. أعرف عن الاستراحة

والحبوب.

عيسى: إذا لم ترد أن أفعل ذلك، أحضر لي شيئاً

سلطان: ماذا تقصد؟

عيسى: عيد. أعرف أنه يقضي وقتاً معك. لست غيباً. أعرف السبب

سلطان: وماذا بشأنه؟

عيسى: أحضر لي شيئاً عنه، وسأنسى أمر المخدرات

سلطان: أتريد شيئاً مثل ماذا؟

عيسى: مقطع فيديو. صورة له. أنت تفهم ما أعنيه؟

سلطان: حسناً

ثم، أرسل الفيديو.

لم أضغط عليه. لا حاجة بي لذلك، فقد شعرت بتعقُّد في معدتي بالفعل.

أما الرسالة الأخيرة... فلم يمضِ عليها شهر:

عيسى: الآن، في الخارج.

توقَّفتُ، وثقلها يستقر داخلي، ثم نظرت إلى سلطان. وجهه شاحب،

وأنفاسه متقطعة.

جاء المجهول لرؤيته وجهاً لوجه. هل هذا ما عنته الرسالة الأخيرة؟

سأل مازن وهو ينظر إليّ بقلق: «ما الأمر؟»

«ابتزهما لإرسال الفيديو»

قال مازن: «ماذا؟»

ناولته الهاتف، وراح يتفحص الرسائل.

سأل مازن يائساً: «أيعني هذا أنه ليس شخصاً يعرفانه؟»

«ربما لا... لكن ما زلت أعتقد أنهما كانا يعلمان شيئاً عنه»

ثم أشرت إلى الرسالة الأخيرة وقلت: «لقد التقيا»

توجَّهت نظراتنا إلى سلطان. إن كان سلطان يعرف المجهول، فلن

نجبرنا خشية التبليغ عنه للشرطة؛ وهذا يعني أن أماننا وسيلة واحدة فقط

لاستخراج الحقيقة منه.

وليد سابقا

قضى وليد عطلة نهاية الأسبوع مع إيهاب، يتجولان بالسيارة، ويتناولان الطعام في الخارج، ويلعبان كرة القدم في الحديقة مع بعض الشباب. دعاه إيهاب إلى منزله يوم السبت، ولكن وليد اعتذر. لم يعرف السبب تمامًا، ولكن الخوف تسلل إليه؛ ذكريات قربته من سعد، وكيف انتهى كل شيء بينهما. قال في نفسه: (ربما يكون الأمر مختلفًا مع إيهاب)، متمنيًا بشدة لو أن ذلك صحيح.

في المدرسة، حرص وليد على الاحتفاظ بملابس إيهاب وخصائمه معه طوال الوقت، يحمل الحقيبة في كل مكان، حتى لا يمنح أحدًا فرصة أخرى للعبث به.

بحلول الحصّة الرابعة، بعد التمرين، سُمح للفريق بتناول الطعام في المقصف. وقف وليد قرب الباب، يشرب من زجاجة ماء، مبتعدًا عن البقية. مرّ التمرين الثاني بسلاسة، مما بعث في نفسه بعض الأمل بشأن البطولة. إذا استمر الفريق بهذا الشكل، فقد تكون لدينا فرصة حقيقية للفوز. «وليد!»

رمى جاسم إليه شطيرة، فالتقطها وليد، مبتسمًا ابتسامة خفيفة. جاء صوت مازن من خلف نافذة المقصف: «هل انتهيت؟» بدأ جاسم: «نعم، يمكنك الذهاب...»، ولكن مازن أغلق النافذة فجأة بصوت مرتفع.

«يا شباب!»

ظهر الأستاذ يحيى في المدخل، يصفق بيديه بعجلة: «عودوا إلى صفوفكم»

«مازلنا تناول الطعام يا أستاذ يحيى...»

«أكملوا في الطريق، هيا، بسرعة!»

حين فتح وليد باب الصف، خيم الصمت للحظة وجيزة، ثم انفجر الضحك.

احمرَّ وجه ناصر في الزاوية الخلفية وهو يتسم ابتسامة عريضة وهاتفه في يده. كان عمر يقفز فوقه، في حين انحنى مازن خلف ناصر.

انبعث صوت إيهاب من الشاشة.

«أنا إيهاب، من قناة المحقق إيهاب...»

الفيديو يُعرض.

توسل عمر: «أعده مجددًا! أرجوك، أعده!»، وقد بلغ ضحكه حد الهستيريا.

ضحك ناصر وفهد، فيما احتشد آخرون حولهم، يسألون عما يجري.

استمر صوت إيهاب: «السؤال الأول! لماذا أطلقت على قناتي اسم المحقق

إيهاب؟ حسنًا، الجواب بسيط: لأنني من أشدَّ المعجبين بكونان...»

انحنى ناصر من شدة الضحك، بالكاد يستطيع التقاط أنفاسه.

سأل وليد، محدقًا في دهمي: «أين هو؟»

هزَّ دهمي كتفيه، غير مبالي، ومن دون أن يتنظر ردًّا، اندفع وليد خارجًا،

متوجهًا مباشرة إلى دورة المياه.

في الداخل، وجد إيهاب منحنيًا فوق المغسلة، يرش الماء على وجهه.

كانت يدها تتحركان بعصية، ويصفع خديه مع كل غسلة.

«إيهاب»

لم يجب، وظلَّ يفرك وجهه.

سأل وليد وهو ينظر في المرأة: «هل أنت بخير؟». كانت عينا إيهاب حمراوين، وكأنه كان يبكي.

تجنَّب النظر إليه، ودفعه برفق متجهاً نحو الباب.

أمسك وليد بكتفه: «انتظر!»

قال بنبرة باردة: «أبعد يدك عني»

«ماذا؟»

ضحك وليد بارتباك ثم واصل: «هل أنت غاضب مني؟»

استدار إيهاب فجأة، وارتفع صوته قائلاً: «لماذا فعلت ذلك؟»

«فعلت ماذا؟»

«القناة! قناتي! أنت من أرسلها إليهم، أليس كذلك؟»

ازدادت حيرته وسأل: «أرسلتها؟»

«حسابي على إنستجرام خاص لسبب! لم يشاهدها أحد سواك!»

أصرَّ وليد: «لم أخبر أحداً! ولا أملك أرقام أي شخص في الصف سوى

رقمك. أقسم بالله!»

توقَّف إيهاب، يحدِّق فيه، وكأنه يحاول التحقق من صدقه.

استغلَّ وليد تلك اللحظة ثم قال بثبات: «ناصر. هو من يستهدفك. لقد

تساهلت معه في المرة الماضية، وها هو يتهاوى الآن»

بدا إيهاب متشككاً، غير أنه لم ينبس بكلمة.

ومضت في ذهن وليد صورة خيمة تشتعل في الظلام، انقضَّت الذكرى

عليه فجأة قبل أن يطردها بعيداً.

قال وليد عندما وصلا إلى الباب: «عُد إلى الصف»، ولكن إيهاب تردَّد ثم

قال: «سأذهب إلى البيت»

«لن تذهب»

أصرَّ إيهاب: «أعتقد أن من الأفضل أن أغادر»

«لا تدعه ينتصر! أرجوك، ادخل معي فقط»

أوما إيهاب ببطء؛ وحين دخلا، وجدا الصف يردُّ بسخرية لحنا هزليًا:

«المحقق كونا! المحقق كونا!»

همس وليد: «تجاهلهم»

أوما إيهاب مرة أخرى، ولكنَّ عيني وليد اتجهتا إلى مكان آخر؛ حقيقته،

الحقيقة التي تحوي ملابس إيهاب، لم تكن في مكانها.

علا صوت وليد: «ناصر! أين هي؟!»

قال ناصر بنبرة تفيض بالتهكم: «لا أدري. اسأل صديقك المحقق. ربما

يستطيع حلُّ القضية»

الضحك الذي تلا كلماته جعل الدم يغلي في عروق وليد، فتقدَّم نحو

طاولة ناصر، وقبضته مشدودتان.

«أعدها» جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص

سخر ناصر: «ولاً ماذا؟ ستبلغ المدرسة؟»

اتجهت عيناه سريعًا نحو مازن وقد بدا عليه الذهول.

قال مازن: «أعدها يا ناصر»

أخرج ناصر الحقيبة من درج طاولته، وسلمها لوليد.

قال وليد محذرًا: «إن تجرأت على إيذائي أو إيذاء إيهاب مجددًا، فلا تُلَمَّ

إلا نفسك»

قهقه مازن بخفة.

سخر ناصر وهو يقترب منه خطوة أخرى: «أوه، أشعر بالهلع!»

اندفعت رغبة جارفة في صدر وليد للكمه، ولكنه تماسك. لم يعد يحتمل

ارتكاب مزيد من الأخطاء... ليس الآن على الأقل.

عثرتُ على صندوق من علبِ الماء في مطبخ الاستراحة، فانتزعتُ علبتين
وعُدتُ بأقصى سرعةٍ إلى غرفة الجلوس.

كان سلطان جالسًا، وعيناه المثقلتان لا تركزان، جسده مائل أمام الأريكة.
وقف مازن وعيد إلى جانبيه كأنهما حارسان.

ناولتُ علبة لمازن، فرماها في حجر سلطان وقال: «اشرب»
لم يتحرك سلطان.

قلتُ: «ربما أُصيبَ بارتجاج دماغي»

تتم عيد وعيناه لا تفارقان سلطان: «لا، تعاطى قرصين فحسب»
«هيه!»

فرقع مازن بأصابعه أمام وجه سلطان وقال: «اشرب وتكلم»
ارتجف سلطان، ولكنه لم يمد يده إلى العلبة. رمقه عيد بنظرة اشمئزاز،
ثم ركله.

صرخ سلطان بصوت متهدج: «توقفوا! أرجوكم، كفى»
سألتُ، ويزحف نفاد الصبر في نبرتي: «لقد التقيتُ به، أليس كذلك؟ من
الأفضل أن نخبرنا الآن، لا نريد إيداءك»

خرج صوت سلطان مبحوحًا: «مَنْ؟»

ضغطتُ عليه: «المجهول؛ من تظاهر بأنه عيسى!»

قال سلطان، وقد انخفض رأسه وهو يكافح كي يقي نظره في عيني: «لم ألتق به قط»

تمتم عيد: «حسنًا»، ثم استدار فجأة نحو الباب، واختفى في الرواق.
سألت: «إلى أين يذهب؟»، فاكثفى مازن بهز كفيه.
خففت صوتي وقلت: «اسمع، لا نريد إيذاءك. نحتاج فقط إلى معرفة هوية ذلك الشخص، مفهوم؟»

همس سلطان، وعيناه تنظران بسرعة نحو المدخل: «لا، لا، أرجوك»،
ثم عرفت سبب قوله ذلك. عاد عيد وفي يده سكين.
تراجع مازن وقال: «ما هذا...»
تنحيتُ جانبًا مفسحًا المجال لعيد، فصرخ سلطان بهلع ظاهر للغاية:
«أرجوك، كفى»

همس مازن: «هل سنقف متفرجين؟»
«نعم»
قبض عيد على يد سلطان، وضغط أصابعه بقول وقال: «ربها... لو نزعْتُ
بعض أظافرك، مستكلم...»
صرخ سلطان يحاول الإفلات: «لا أعرفه، أقسم أنه لم يلتق بي!»
صرخ عيد: «كاذب!»
تحطّم صوت سلطان تحت وطأة اليأس: «لست أكذب! أرسل صندوقًا
فقط!»

ساد الصمت.
سألتُ ونبضي يتسارع، وقد التقت عيناï بعيني مازن: «ماذا؟»
سأل مازن: «اليوم؟»
«لا، قبل مدة»
تمتمتُ: «قبل أسابيع... ماذا وُجد بداخله؟»

«مجرد رسالة مكتوبة، يهددنا»

ضغط مازن عليه: «أهذا كل شيء؟»

تردّد سلطان، ولكنّ عيد لم يتردد، إذ باعته بركة قوية في الأضلاع جعلت سلطان ينحني، يضمّ جانبه.

قال سلطان وهو يلهث: «أراد... أراد منّا أن نشترى خيمة»
«خيمة؟»

سأل مازن: «وماذا بعد؟»

«طلب منا نصبها»

هل حدث هذا في وقت وفاة وليد؟

سألت وقد انخفض صوتي فجأة: «أين؟»

ارتجفت شفاه سلطان وقال: «لا أعلم. في مكان بعيد في الصحراء»

لم تتوقّف يداي عن الارتجاف. شعرت بصدري يضيق، ولا هواء يدخله كما ينبغي. كل هذا؛ كل ما مررنا به الليلة، وقد عدنا إلى نقطة البداية.
لا أجوبة. أكاذيب أخرى ونهايات مسدودة.

قبل أن أعي ما أفعله، اندفعتُ نحو سلطان وانتزعت السكين مباشرة من يد عيد وصرختُ شاعرًا بحلقي يحترق: «إنك تكذب، أخبرني الآن، أخبرني من هو ذلك اللعين! الآن»

دفعني مازن بقوة، فتعثرتُ إلى الوراء وارتطمت السكين بالأرض.
وقفتُ هناك أتنفس بصعوبة، وعندها رأيتُ ما لم ألاحظه من قبل؛ نظرة مازن وعيد نحوي. كأنني خرجتُ عن السيطرة تمامًا. كأنني الشخص ذاته الذي نظر إليه وليد حين هاجمتُ جمال.
انفجرتُ بهما: «إلام تنظران؟!»

قال مازن بصوت ناعم أكثر مما يجب: «أهدأ»، كان حذرًا إلى حد الفلق، كما لو كنتُ مجنونًا.

«لا تطلب مني أن أهدأ الآن!»

تحول غضبي فجأة نحو عيد وقلت: «وأنت! كيف تقتل إيهاب؟! ما الذي فعله لك؟!»

اعوججت ملامح عيد. نظر إلى مازن كمن يستنجد به، ولكن مازن خفض بصره، رافضاً أن يلتقي بعينه.

سأل عيد بصوت خافت هذه المرة: «ما الذي يقوله؟»

تقدمتُ حتى وقفتُ أمامه مباشرة وقلت: «انظر إلي»

انخفض صوتي، وقلت بين أسناني: «لا بد أنك تعرف من هو المجهول. لا بد أنك رأيته. ولو مرة».

«لم أفعل شيئاً لإيهاب»

كاذب... إنه يكذب أمامي الآن، وعقلي لا يحتمل كذبة أخرى. سحبْتُ يدي إلى الخلف وخرجت من الغرفة غاضباً، ودقات قلبي تتعالى. سأفضحه. ملفه، والرسائل، وكل كلمة مريضة أرسلها المجهول إليه.

لن يتمكن من خداعنا مجدداً. ليس هذه المرة.

وليد سابقا

تحركت السيارة بسرعة أبطأ من الحد المسموح، وتناغم صوت المحرك مع أصوات الأبواق المتقطعة من بعيد. ألقى وليد نظرة على إيهاب الذي بدا شارد الذهن، ويده مشدودة على المقود أكثر من المعتاد. ملامحه غريبة، كأنه يحاول أن يخفي خجله خلف ابتسامة باهتة.

قال وليد: «سيتوقفون في النهاية». تكرر أجوف لما اعتاد سعد أن يقوله له عن جمال منذ سنوات.

ظَلَّت عينا إيهاب مثبتتين على الطريق، ثم قال: «لا أكفُّ عن التفكير في كم تبقى من شهور على نهاية المدرسة. كل ما عليَّ فعله إنهاء هذا الفصل الدراسي، ثم الذي يليه، وينتهي كل شيء. لن أضطر للتعامل مع هذا مجددًا». تردد وليد، والرغبة في حثه على المقاومة تصعد في داخله، ولكنه ابتلعها. من أين يبدأ إيهاب الآن؟ وماذا يفعل؟ ناصر؟ تفشت السخرية على نطاق واسع؛ عرف الجميع بأمر قناته؛ حتى أولئك الذين لا يعرفونه، كانوا يضحكون حين يمر بهم في الممرات.

قال إيهاب بصوت مرتعش: «أوربما ينبغي أن أحذف قناتي ولا أنشر شيئًا بعد الآن»

ارتعشت شفته، ورمش بعينه بسرعة.

التفت وليد في المقعد المجاور وتنقل نظره بين الطريق وإيهاب: «هيه!» توقف إيهاب فجأة عند صف من المطاعم. مسح عينيه بكُمه وضحك بخفة في محاولة مرتبكة لإخفاء دموعه.

«لا أريد أن أحذف كل شيء». هذه القناة هي الشيء الوحيد الذي يسعدني،
نظر إليه وليد لحظة، واستحضرت ذاكرته حماسة إيهاب الذي كان يخرج
هاتفه في كل مرة يلتقيان فيها ليريه مقاطع عن قضايا جرائم، وحكايات
كانت دومًا تثير في وليد شيئًا من الانزعاج. لم يرفض قط، لأنه، بطريقة
غريبة، أحب أن يراه متحمسًا.

قال وليد ببساطة: «إذن لا تحذفها»

تمتم إيهاب: «لكن لا أريد أن يستهدفني الجميع. الأمر مرهق»
قال وليد، وقد تسلفت نبرة الضيق إلى صوته: «إذن دافع عن نفسك»
انخفض وجه إيهاب، وجاءت ردة فعله معاكسة تمامًا لما تمناه وليد.
تنهد وليد، وفرك عينيه.

«اسمع، تريد أن تكون مشهورًا، صحيح؟ ألم تقل ذلك؟»

أومأ إيهاب بتردد وقال: «نعم»

«وأنا أيضًا أريد ذلك؛ لأسباب مختلفة، ولكنني أريد ذلك»

لانت ملامح إيهاب، وبدت عليه علامات الفضول.

تابع وليد: «الأمور لم تكن سهلة. مرّت أيام فكرتُ فيها في الاستسلام.
الشيء الوحيد الذي أبقاني واقفًا على قدميَّ إلى الآن أنني كنت أعلم أن يومًا
ما سيأتي، لن أفعل فيه شيئًا سوى لعب كرة القدم»

أجبر نفسه على إطلاق ابتسامة ساخرة، ثم واصل: «فمن يهتم بما يقوله
بعض الحمقى؟ لن تكون لهم قيمة عندما أظهر على شاشة التلفاز، أو حين
أجني مالا أكثر مما يحلمون به»

ابتسم إيهاب ابتسامة خفيفة، وعادت إلى وجهه برهة من براءة الطفولة،
ثم قال بضحكة خافتة: «اليوتيوب يدرّ الأموال أيضًا»

«إذن، كلانا سيصبح ثريًا ومشهورًا»

سأل وليد وقد بدت عليه الحيرة: «ألست غنيًا أصلًا؟»

هز إيهاب كتفيه وقال: «لا أفعل ذلك من أجل المال على أي حال. لدي أسباب أخرى»

ضحك وليد وقال: «لأنك تحب قصص الجرائم؟»

اعترف إيهاب: «نوعاً ما»، ثم ضحك، وتابع: «تثير اهتمامي، هذا صحيح؛ لكن في الحقيقة، السبب الوحيد الذي جعلني أستمع هو...»
توقف، وتعثرت الكلمات في حلقه.

ضغط وليد عليه: «ما هو؟»

تنهد إيهاب، وقد بدا عليه الغضب من نفسه، وقال: «هل تذكر Laithx 176؟ الشاب الذي أخبرتك عنه؟»

«صديقك المشهور؟»

اعترف إيهاب: «حسنًا... ليس صديقي فعلاً»

لم يُفاجأ وليد، فقد بالغ إيهاب من قبل.

«لم ألتق به قط، ولا تحدثت معه حتى عبر الإنترنت، ولكنه أصبح مشهوراً بسببي»

«ماذا تعني؟»

«تلك القصة عن الطفل الذي قتل والده؛ التي أخبرتك عنها؟ أنا من غطّاها أولاً. صنعت فيديو عنها، وقلت لنفسي: «هذه هي. هذه ستجعلني مشهوراً وتزيد عدد المشتركين»»

ضيق وليد عينيه وقال: «لكن في اليوم التالي مباشرة، نشر Laithx فيديو عن القصة ذاتها. كرر كل نقطة ذكرتها حرفياً. نال الفيديو الذي صنعه اهتماماً أكبر، وحين واجهته اتهمني بالكذب. اضطررت إلى جعل كل حساباتي خاصة بسبب كم الكراهية التي وصلتني... ولأنني لم أرد أن يعرف أحد،

رمش وليد وقد حاول استيعاب ما سمع: «واو. وهل أفلتت من العقاب؟»

ظهرت شبه ابتسامة على وجه إيهاب حين أجاب: «نعم؛ ولكن ليس لفترة طويلة. سيأتي يوم أكون فيه أشهر منه بكثير... وحينها سأستردُّ حقِّي وأنتقم!».

وقفتُ خارج الاستراحة، وأوقفت سيارتي بعد البوابة فوق رقعة من
الحصى غير المستوي. بالكاد يُرى الضوء هنا؛ ومبض شاحب من أقرب
عمود إنارة، بعيد جدًا عن أن يكون ذا فائدة. أبعد من ذلك، امتدَّ البرد عبر
طريق ترابية وأخرى غير مكتملة تقود إلى العدم.

استقر ملف عيد داخل الصندوق على المقعد المجاور. الصندوق نفسه
الذي يحوي سمَّ الغد؛ صفاً كاملاً من علب الماء، وكل واحدة منها رصاصة
صامتة في سلاح المجهول.

ابتلعتُ ريقِي، ومددتُ يدي لأسحب الملف، فلامست أطراف أصابعي
العلب وأنا أرفعه.

انزلقتُ في مقعد السائق، ورأيت مازن يقترب.

قال مازن: «ما الذي تفعله؟»، فتجاهلته وضغطتُ زر الإضاءة العلوية
وسحبتُ ملف عيد.

عيد خالد. حدّقتُ في اسمه على الغلاف. الكومة أثقل من ملفي. أثقل
من ملف مازن.

قلّبتُ الصفحات، متجاهلاً ما يحاول مازن قوله. ضربتني الصفحة
الأولى كما اللكمة في المعدة.

صورة مُلتقطة من الفيديو نفسه الذي أرسله المجهول إلى مازن. وجه
عيد، متجمد في لحظة لا بدَّ أنه تمنى أن تُمحى من الوجود.

قلبَت الصفحة. صورة أخرى. ثم أخرى.

لقطة بعد لقطة، الكابوس كله مطبوع كأن المجهول أراد أن يوشمه في
ذاكرة عيد إلى الأبد.

تمتُّ وحلقتي جاف: «ما هذا...»

ردَّ مازن: «يا إلهي...»

تابعتُ التقلب.

«مرحبًا عيد!

والدك خالد بن سعيدان، ووالدتك ليلي فلاح. عمك فائق؛ التي رأيتها
تعلق على إنستجرامك. هل تخيل ما الذي يقولونه حين أرسل لهم هذا؟
وماذا عن زملائك في المدرسة؟ أو ربما الجميع على الإنترنت؟ ربما لا
تستطيع تخيل ذلك، لذا سأصف لك تمامًا ما سيحدث.

ستخرج إلى الشارع، وسينظر الجميع في الحي إليك بصمت، لأنهم رأوا
الفيديو. ستذهب إلى المدرسة، وسيضحك الناس خلف ظهرك؛ وحتى إن
تخرجت، وإن حاولت أن تصبح طبيبًا كوالدتك، هذا ما سيظهر حين يبحث
أحدهم عن اسمك.

لا توجد وظيفة دون مراجعة رقمية. هل كنت تعرف ذلك؟ على أي حال،
سأحرص على تدمير كل جانب من حياتك. اقلب الصفحة»
قلبُها.

لقطة شاشة لمسودة بريد إلكتروني؛ موجَّه إلى والد عيد.

«هذا البريد سيُرسل غدًا مساءً. إلا إن كنت تفهم جيدًا التعليمات التالية.»

كاد نَفسي ينقطع حين قلبتُ الصفحة التالية. جذبت انتباهنا حركةٌ عند

البوابة، حيث يقف عيد هناك يحدِّق نحونا.

خرج مازن إليه.

«هذا الصندوق الذي أرسلته إلى منزلك؛ علب الماء بداخله مخصصة
لمهمة دقيقة للغاية. أعرف أنك تستطيع سرقة المفاتيح من مازن، أو إقناعه. لا
أهتم كيف. كل ما يهمني هو أن تستخدم الحُقنة التي تركتها لتحقن كل علة
عصير في المقصف. ستأتي إلى المدرسة باكراً غداً وتفعلها. إذا لم تفعل؛
سينتشر الفيديو للعامة. ثق بي، لن أتساهل معك كما فعلتُ من قبل!»

تجمّدت أصابعي على الورقة. لم يتمكن عقلي من مجازاة ما أقرأه. لا شيء
في الملف عن تسميم فهد أو إيهاب؛ كل ما فيه يتعلق بالغد، ولا شيء جديد.
القطع لا تتناسب.

قطع صوت محرك السيارة الصمت. رفعتُ نظري، ورأيت مازن وعيد
يقفان عند البوابة ويصرخان. خرجتُ لأرى ما يجري: سيارة سلطان تتجه
خارجاً من البوابة، تكاد تصدمهما، وأضواؤها الأمامية تمزق الظلام.
تمنّيتُ لنفسي: اتوقّف...!

لكن سلطان لم يتوقّف. صرخت الإطارات فوق الحصى بينما انطلق
مبتعداً.

ترجلتُ من سيارتي، ولكن ساقِي لم تطاوعني. اكتفيتُ بالمشاهدة،
وانجرف عقلي إلى مكان آخر. مكان بعيد.

الصحراء. المخيم. تلك الليلة. سيارة وليد، مقلوبة على سقفها، وهو
عالق داخلها. ترنّحتُ إلى الأمام، والدموع تحرق عيني. اصطدمت ركبتي
بالإسفلت، وصرخت.

وليد حينها

ظَلَّتْ فكرة تُلَاحِقُه طويلاً: أنه لا يستحقُّ شيئاً جيداً بعد ما حدث في المخيم حين كان طفلاً؛ ومع ذلك، مضت الحياة، وما هو من جديد على وشك التقدُّم خطوة إلى الأمام.

ربما تنجح الأمور هذه المرة... ربما العقوبة التي نالها في الماضي كافية لتطهيره من أخطائه.

أراد أن يصدق ذلك، ولكنه لم يثق بذلك الشعور؛ إذ بدا كل شيء وكأنه خطة متقنة لتدميره مرارًا وتكرارًا... لكن اليوم: شعر بالأمل. مستقبله قارب قوسين أو أدنى، قريب... قريب جدًا.

الاختبارات النهائية على بُعد أسبوع واحد، وبعدها ستطلق البطولة. اقترب كثيرًا. فعل كل ما في وسعه من أجل الاستعداد. بدا ناصر والآخرين وكأنهم توقفوا عن التخريب، وقد اجتهد وليد بنفسه ليقبى بعيدًا عن المشاكل. كانت هذه فرصته، أو هكذا ظن، حتى استدعاه الأستاذ بحبي بعد التمرين.

أشار الأستاذ إلى الكرسي الأخضر المقابل لمكتبه: «اجلس» أجبر وليد نفسه على إطلاق ابتسامة وهو يجلس، وقال: «نعم يا كابتن»، ولكن لم يبدُ في ملامح الأستاذ بحبي أي دفء.

كان وجهه يلمع بالعرق، وثقته المعتادة تراجعت إلى التردد. ضاقت أنفاس وليد.

بدأ الأستاذ يحيى: «اسمع يا وليد»، ثم عدل جلسته وواصل: «أنت لاعب ممتاز، ولا شك لديّ أنك ستصل المجد يومًا ما»
أجاب وليد بحذر: «شكرًا»

«ولهذا يصعب قول هذا الكلام. قررنا أن من الأفضل استبعادك من هذه البطولة. جميع الفرق ستكون من طلاب انضموا إلينا منذ عامهم الدراسي الأول»

هبط قلب وليد وقال: «أأنت جاد؟»
«أدرك أن ما أقوله صعب، ولكن...»
«لكن ماذا؟ لاعبو الاحتياط لم يتدربوا معنا منذ أيام! مستبدلني بأحدهم؟»

قال الأستاذ يحيى بنبرة حازمة: «هذا لا يخصك. اهدأ»
«أبطلب منه الهدوء؟ إنه يسلب الشيء الوحيد الذي يعني له كل شيء»
«ويتوقع أن يبقى هادئًا؟»

قال الأستاذ يحيى، محاولاً أن يبدو متهاسكًا، رغم أن العرق على جبينه كان يقول شيئًا آخر: «هذه من القواعد التي تغاضيت عنها. اللوم يقع عليّ»
صرخ وليد: «هذا كذب!»

بدت الحدة المفاجئة في نبرة الأستاذ: «عذرًا؟!»

«راجعتُ الموقع. لا توجد قاعدة كهذه!»

لا بد أن أحدًا أخبره عن جمال.

قال الأستاذ، وصوته يحمل القرار النهائي: «عد إلى صفك»

توسل وليد: «أستاذ يحيى، أرجوك!»، ولكن أستاذ يحيى لم ينظر إليه.

عاد وليد إلى الصف في شبه غيبوبة، تملأ رأسه غشاوة من الذهول. لم يدِر
حتى متى جلس إلى مقعده. إيهاب يراقبه، ووجهه يحمل قلقاً وفضولاً. قال
شيئاً، ولكن وليد لم يسمعه. الطنين في أذنيه حجب كل صوت.
صفق شخص ما بأصابعه أمام وجهه: «هيه؟!» إنه فهد.
قال إيهاب: «دعه وشأنه»

لكن فهد تجاهله، ولوّح بيده باستهزاء. راح يتحدث عن الاختبارات
بكلمات لم يستطع وليد فهمها وسط الفوضى في رأسه.
لوّح فهد مجدداً وقال: «يا فتى! أنا أتحدث إليك»
قفز وليد نحوه ولكمه في وجهه، وظلّ مستمراً في اللكم حتى تكدّرت
رؤيته. جذبته شخص ما، وضربه أحدهم في المقابل، وبعد لحظات وُجد
وحده على الأرض..

لا مستقبل. لم يكن سوى كذبة قاسية، كما هو الحال دائماً.

بلاط غرفة الغسيل بارد كما في السابق. رأس وليد مسند إلى الأرض. لا ينبغي لذلك أن يمنحه أي راحة، ولكنه يشعر بها. هذا هو المكان الوحيد الذي أحس فيه بانتهاء.

نظر نحو الباب؛ ذلك الباب الذي حاول ذات مرة فتحه عنوة في محاولة يائسة، محمومة، للهروب عندما كان طفلاً.

ما تزال علامات الخدوش محفورة في الإطار، وتسخر منه الآن. حتى حينها، لم تكن محاولته ذات معنى.

كُتِبَ عليه الشقاء منذ اللحظة التي قتل فيها رامي.

مرّت الأيام ضبابية، وهو هناك، يذوب في سكون الشقة. أمه تدخل وتخرج، وأبوه يدخل ويخرج. لم يبقَ أحد منها طويلاً. لا أحد أراد رؤيته. لم يرغبوا بذلك منذ أن كُشِفَت الحقيقة؛ منذ أن أدركوا فداحة ما ارتكبه. رأوه على حقيقته: قاتل.

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص

مزّق صوت محمد الصّمت مع أنين الباب وهو يُفتَح: «وليد؟»

لم يتحرك وليد، وعيناه ثابتتان على زاوية الغرفة. سحبته يد خشنة على ظهره، وأجبرته على مواجهة الجسد الذي يقف فوقه.

سأل محمد: «هل أنت نائم؟»

استدار وليد مجدداً، وانكمش على نفسه.

ارتفع صوت محمد، وتسرب الغضب إلى هدوئه الظاهري: «إنني أكلُّمك! انهض، لقد أخفت أُمِّي!»

ارتجف صدر وليد قبل أن تنفجر منه ضحكة جوفاء، لا تُكبح، مجنونة، اجتاحت جسده، وارتدَّ صداها في الغرفة الصغيرة.

«ما خطبك يا ولد؟»

تحوّل انزعاج محمد إلى قلق، فراجع خطوة إلى الوراء، وساد الصمت مرة أخرى.

فكر وليد في نفسه: «كان عليه أن يسلمني للشرطة في ذلك اليوم. لكان ذلك أرحم». طال الصمت.

تنهد محمد وجلس إلى الأرض بجانبه، وقال: «هل تتذكر وجه رامي؟»

باغت السؤال وليد. جلس فجأة وتوتر وسأل: «ماذا؟»

اعترف محمد وفي صوته نبرة حزن: «أدركتُ أنني لم أعد أستطيع تذكُّره»
«كلما حاولت، أراك بدلاً منه»

ارتسمت على وجهه ابتسامة باهتة مريرة.

تجمّد وليد في مكانه. كانت الكلمات خناجر تخترق قلبه. حدّق في وجه أخيه، باحثاً عن شيء مألوف، لكن الرجل الذي أمامه بدا غريباً تماماً.

تابع محمد وصوته مثقل بالندم: «أنساءل أحياناً عما كان سيحدث لو أنني لم أخبرهم... لو أنني لم أخبرك؛ لكنني كنت صغيراً أيضاً. لم أعرف ماذا أفعل...»

«ماذا؟!»

مرّقت صرخة وليد الهواء، والغضب يملأ نبرته. نهض واقفاً، يعلو فوق محمد وقال: «حرقْتُ رامي حياً، وتتمنى لو تركت ذلك يحدث دون أن تفعل شيئاً؟!»

أدار محمد وجهه، عاجزاً عن مواجهة نظرات أخيه المشتعلة.

صرخ وليد: «انظر إلى ما اقترفته يداي! مات أخونا! أبي لا يعود إلى المنزل!
أمي حاولت الانتحار! وأنت تجلس هنا متمنياً لو أنك لم تدافع عن رامي؟!»،
مسح محمد وجهه بيدين مرتجفتين وهو ينهض صامتاً. تراجع، وخرج،
وترك وليد وحده.

فاض الغضب وانفجر داخله، متحوّلاً إلى صرخة حادة، غرزية، انبثقت
من أعماق صدره.

جلستُ في المقعد الخلفي من سيارتي، ركبتي مشدودتان إلى صدري،
وجبهتي ملتصقة بزجاج النافذة.

يتلاشى الليل خارجاً في خطوط مبهمه؛ الطرق المظلمة والأنوار المتناثرة
لا تصل بعيداً.

مازن يقود السيارة، وعيد يجلس إلى جانبه، ينهش أظافره بأسنانه؛
يتحدثان، ولا ألتقط سوى شذرات.

عيد لم يسمَّ أحداً. غداً، سيفقدون ما طلبه المجهول.

مازن يحاول إقناع نفسه أن ما بداخل تلك العلب، غالباً مجرد حبوب
منومة، مثل التي استخدمها فهد ضدهم في المخيم.

سأل عيد، صوته خافت، كأن مجرد النطق بالسؤال يُخيفه: «وماذا لو لم
تكن كذلك؟»

لم يُجب مازن.

انخفضت أنظاري إلى ملف عيد في حضني، وأصابعي تمرُّ على حافة
الورقة. قال المجهول إن الصندوق أُرسِل إلى منزل عيد، لكن ذلك غير
صحيح.

وُضِعَ الصندوق في المبنى المهجور، والطريقة التي جمعنا بها معاً، وأجبرنا
على رؤية ما يمتلكه ضد كل واحد منا، لا تبدو طبيعية.

لماذا أراني ما يملكه عن عيد؟ لماذا يُري مازن ما يملكه عني؟ لو أراد من عيد تسميم المشروبات، لابتزّه وحده، أو مازن، ولكن لماذا يُقحمُني في ذلك؟ ما الذي كسبه من هذا؟

إيهاب كان سيفهم الأمر ويساعد، ولكن بسبي، يرقد الآن في المستشفى يصارع من أجل حياته.

كل من يقترب مني... يحترق.

لم أدرك أننا عدنا إلى المدينة حتى سأل مازن: «أين بيتكم؟»

لم أجب. سأل مجددًا؛ ثم مرة ثالثة. نظرت إلى النافذة ولم يتحرك فمي.

استسلم مازن، وتبادل نظرة مع عيد قبل أن يُدير المقود. انتهى بنا المطاف

عند منزل عيد، في مكان هادئ. قاداني إلى الداخل؛ إلى مجلس الرجال.

مدفأة في الزاوية، وبجوارها بطانية مطوية فوق وسادة، وبجانباها كومة

صغيرة من الكتب المدرسية.

أشار مازن لي إلى مكانه من دون أن ينطق بكلمة. فتمدّدت دون تفكير.

لامس رأسي الوسادة، وعينا على السقف.

شعرت بهما يجلسان في مكان قريب، ولم يتحدث أيّ منهما. كان الصمت

خائفاً. كلاهما أدرك الحقيقة. اقتربت نهايتنا.

اهتزّ هاتف على ساقي. نظرت إلى الشاشة، فكانت أمي. قلبته إلى الوضع

الصامت، لكن رسالة واتساب ظهرت على الفور: «أين أنت؟»

لو تجاهلناها، ستفزع، فكتبت: «سأعود قريباً»

ثم، دون سبب يمكنتي تفسيره، فتحت إنستجرام. حساب وليد. محظور.

كنت أعلم ذلك؛ سبق أن تحققت، ولكن مع ذلك، شعرت بالوجع.

الحساب الذي أقنعتُه بإنشائه. الحساب الذي أنشأته له حرفياً. لم أعد أستطيع

النظر إليه. افتقدته.

ليس فقط بسبب الذنب، بل لأنني أردته هنا؛ حتى لو لم يحدثني مرة أخرى، حتى لو كرهني، كنت أريد أن يكون حيًا فقط، وعندها تذكّرت. كلمة السر.

أنا من وضعها له، منذ زمن، حين أنشأنا الحساب معًا؛ كانت مزحة سخيفة بيننا، لكنها كانت تليق به: Wal33dL0stInF1f4

سجلت الخروج من حسابي وكتبتها. ترددت قبل أن أضغط تسجيل الدخول، ولكنني في نهاية المطاف دخلت.

الحساب كما تذكرته بالضبط؛ ثلاث منشورات فقط. ولا واحد يُظهر وجهه. آخر منشور كان للاعبه المفضل، ماجد إسماعيل، في صورة معدلة وجدها وليد على الإنترنت. كانت صورة ماجد خلال تسديده إحدى ضرباته.

ذهبت إلى الرسائل الخاصة؛ محادثة واحدة فقط. مع إيهاب.

إيهاب: مرحبا، كيف الحال؟

وليد: جيد، وأنت؟

إيهاب: رائع، هل أنت متفرغ؟

حدّقتُ في الرسائل، ومعدتي تتلوى. كانا صديقين حقيقيين.

كنت أريد تصديق عكس ذلك، أن وليد يتحلى باللطف فقط، أو أن إيهاب يُزعجه، ولكن لا.

كانت الرسائل واضحة وعفوية، كحديث شخصين يتواصلان دائمًا. شعرت بالغيرة تحرق حلقي، وتختلط بالذنب؛ حتى ما عدت أُميّز بينهما.

نقرتُ على ملف إيهاب الشخصي. آخر منشور هو نفسه الذي رآه مازن في وقت سابق؛ شاشة سوداء، ونص أبيض يطلب الدعاء، قائلاً إن إيهاب ما يزال في العناية المركزة.

لثانية، تساءلت من الذي نشره أصلاً. والداه لن يعرفا كيف، صحيح؟
ربما أخ، أخت، أو أحد أبناء العمومة؟ لا يهم.

واصلت التمرير للأسفل. نشر إيهاب كثيرًا على مرّ السنين؛ معظمها
لقطات شاشة من مقاطع يوتيوب؟ هل هو مشهور؟ لديه قناة على يوتيوب
لم يخبرني بها قط.

جرائم حقيقية، قضايا لم تُحل. إنها هوسه. كل صورة مصغرة للفيديوهات
كُتبت عليها عبارة واحدة: المحقق إيهاب.

المحقق إيهاب؟

ضحكت بخفة، وتذكرتُ حين حاول مساعدتي... هل كان يحاول حل
لغز طوال الوقت؟ واصلت التمرير، فأصابني البرود فجأة.
منشور، في منتصف الحساب تقريبًا.

لقطة شاشة لفيديو على يوتيوب بعنوان: قاتل ويستفيلد المتسلسل،
والتعليق أسفلها من كلمتين فقط: استمتعوا بالفيديو؛
هوت معدتي.

تابعت التمرير باحث عن صور أخرى، وظللت أرى ذلك الإيموجي ؛)
في بعض المنشورات... حتى في الردود على التعليقات. لا. لا يمكن!

محمد متزوج. سمع وليد الخبر صدفة، وهو في طريقه إلى المطبخ ليملأ كوبا من الماء. في البداية، لم يُثر الأمر في نفسه شيئا؛ فكرة أن أحدا من هذه العائلة يمكنه أن يجيا حياة رغم الجرح الذي تسبب به وليد، ولكن الصوت في رأسه عاد. الصوت الغاضب. الصوت الراض لتقبل الظلم الذي وُجّه إليه. الصوت الذي ظلّ يؤكد له أنه لم يكن يفعل شيئا سوى الدفاع عن نفسه حين لم يدافع عنه أحد. الصوت الذي كان يدفعه للشجاعة، حتى عندما كان يشعر بصغر لا يُحتمل.

تأرجحت أفكاره بعنف بين الندم والسُمية، سمٌّ لكل من خذلوه، لكل من بدا كأنه مصمّم على تحطيم ما تبقى لديه.
كان مرهقا.

تكور على الفراش المُصفرّ في غرفة الغسيل. فراش مهلهل، بلا شرشف، عليه وسادة وبطانية قديمة تركتها له أمه. لم تطلب منه حتى أن ينام في غرفته. أغمض عينيه تحت البطانية. ليس نائما تماما، ولا مستيقظا بالكامل. اليوم هو الخميس حسب تقديره، قبل عدّة أيام من الاختبارات النهائية، ولن يذهب، ولكنه كان يعذب نفسه بتخيل ما كان يمكن أن يكون، لولا الضربة القاضية التي سدّدها الأستاذ بجبي إلى حياته.

عادت فكرة قديمة إلى السطح، جارحة وقاسية: ماذا يفعل سعد الآن؟ على الأرجح بخير. على الأرجح نسي وليد تماما بعد أن حطم الحياة الباقية

التي بدأ بترميمها. لدى سعد والدان يرعيانه، ولن يواجه أي عواقب حقيقية أبدًا.

انغrust أسنانه في شفته السفلى، وشقَّت الجلد. تسلس دمٌ دافئ، بطعم المعدن، إلى فمه، بينما كانت نوبة الغضب تتضخم داخله. ثمَّ حطَّم دويُّ الرنين العالي هذا التوتر.

قال إيهاب عند الباب: «أين كنت؟!»

لم يخبره وليد يومًا بأي شقة يعيش، ومن شكل العرق المتصبب على وجه إيهاب، لا بد أنه طرق أبواب المبنى كلها حتى وجده.

سأل وليد: «ماذا تريد؟»

«ظللت أتصل بك دون توقف؛ ظننت أن مكروهاً أصابك!»

دفع وليد الباب، ولكن إيهاب أوقفه متألماً وهو يلمس بطنه.

سأل وليد: «ما الأمر؟»

تمتم إيهاب: «لا شيء؛ أنا بخير... علينا أن نتحدث. أرجوك يا وليد،

قاد إيهاب السيارة بصمت. جلس وليد في المقعد المجاور، ذراعاه معقودتان، ينظر إلى الشوارع تمرُّ أمامه دون أن يراها فعلاً. لم يسأله إلى أين يذهبان؛ يعرف أن إيهاب سيتكلم حين يكون مستعداً. الكدمة على جانب إيهاب أخبرته بما يكفي. اعتدى أحدهم عليه، ووليد لديه فكرة واضحة عمَّن يكون.

توقفت السيارة أمام المبنى المهجور. صعدا إلى الطابق الثالث، وأشعة شمس ما بعد الظهر تتسلَّل فتحاته. جلس وليد عند الحافة، ساقاه متدلّيتان وهو يحدِّق إلى الأسفل. وقف إيهاب قريباً، يتحرك جيئةً وذهاباً.

قال إيهاب، قاطعاً الصمت: «ما زال بإمكانك تقديم الاختبارات في عطلة الربيع، أليس كذلك؟» «أظنُّ ذلك سيكون أفضل لك عمراً»

سأل وليد بنبرة حادة: «ولم تهتم؟»

تلعثم إيهاب، زافراً بضيق، ثم تألم حين ضغط على جانبه، وقال بصوت خافت: «لا يجب أن تعود إلى المدرسة»

التفت إليه وليد، وعيناه تضيقان: «هم من فعلوا هذا بك، أليس كذلك؟»
تردد إيهاب قبل أن يرفع قميصه، كاشفاً عن كدمة أرجوانية عميقة تنتشر على جلده، وقال بمرارة: «بالطبع هم من فعلوها، ولكن هذا ليس ذنبك»
عاد ذهن وليد إلى الشجار مع فهد. اللحظات الفوضوية بعد أن انقضَّ عليه، والباب المغلق، والتهديدات من مازن ودحي لبقية الصف.

«إذا أخبرتم أحداً بما حدث، فاعتبروا أنفسكم انتهيتم، مفهوم؟!»

كانوا خائفين حينها؛ خائفين مما قد يفعله وليد بما يعرفه، ومع ذلك، ها هم الآن، يردون الانتقام من إيهاب بعد أيام، بدل أن يضربوا وليداً في حينه.
سأل وليد: «لماذا لا تريدني أن أعود إلى المدرسة؟ لا يستطيعون إيدائي.

إنهم خائفون»

نظر إيهاب إلى الأرض، والخزي يغطي وجهه.

ضغط وليد: «ماذا؟»

اعترف إيهاب بصوت خافت: «أنا... ربما فعلتُ شيئاً للانتقام منهم، ولكن يجب أن تفهم أنني فعلتُ ذلك لأنني لم أستطع تحمل كلامهم عنك وتهديدهم لك في غيابك»

قال وليد بابتسامة لم يستطع إخفاء فخره بها: «وماذا فعلت؟»

أخذ إيهاب نفساً عميقاً، متجنباً نظرات وليد، وقال: «بلغت الشرطة عن دحي أمس. جاؤوا وألقوا القبض عليه»

«ماذا؟!»

«وليس هو فقط. أبلغتُ المدرسة عن مازن، وفهد، وعيد، لأنهم سرقوا الامتحانات من سجل الطابعة. اليوم اكتشفوا الأمر. يظنون أنك من أبلغت»
لمس إيهاب جانبه مجددًا، متألماً وقال: «ضربوني، وسألوني عن مكانك.
قالوا إنهم سيقتلونك»

هبطت الكلمات على وليد كعاصفة هادئة، تجمدت أفكاره بوضوح.
هؤلاء الأشخاص، تمامًا كأبناء عمومته من قبلهم، لن يتركوه وشأنه. كان أمثالهم في انتظاره في كل محاولة للهرب، يتحينون الفرصة لنحطيمها.
كان يبغضهم. يبغض الكلاب التي تلهث خلف فرصة لتمزقه، ولكن ما كان يبغضه أكثر، أولئك الذين شاهدوا ذلك يحدث؛ الذين لم يجرؤوا على فعل شيء.

رأى في ذهنه رامى يحترق، وللمرة الأولى لم يشعر بالاشمئزاز من نفسه.
رامى مات... أمّا سعد...

اشتعلت في ذهنه صورة واضحة كالنار في ليلٍ بارد.
قال وليد بصوت ثابت: «إيهاب؛ هل معك أرقامهم؟»

اتسعت عينا إيهاب من الدهول، وقال بحذر: «نعم، لدي أرقامهم، ولكن لماذا؟»

قال وليد بصوت هادئ: «سأستدرجهم إلى هنا وأقتلهم»

فغر إيهاب فاه وقال: «هل فقدت عقلك؟!»

لم يكن تفكيره صافياً، ولكن هذا المخطط، رغم ضبايته، بدا المسار الوحيد الممكن. سيعود إلى البيت، ويأخذ سكيناً، ويتصل بهم ليأتوا إلى هذا المكان بالذات؛ وبمجرد أن يدركوا ما يحدث، سيتأكد من ألا يغادر اثنان منهم على الأقل وهم أحياء، وحين ينتهي، سيتجه مباشرة إلى منزل سعد لمواجهة أخيرة؛ وما قد يحدث بعدها لم يعد يهم.

قال وليد: «أعطني أرقامهم واذهب إلى البيت، يا إيهاب»

التوث ملامح إيهاب بعدم تصديق وسأل: «وماذا سيحدث لك بعد ذلك؟»

«هذا ليس من شأنك»

صرخ إيهاب: «بل هو كذلك! تريد قتلهم، ثم ماذا؟ أنتعتقد أن الجثث لن تؤدي إليك... أو إلي؟»

«إليك؟»

لمس إيهاب الكدمة في جانبه، متألماً وقال: «نعم، لدي دافع! وأنت كذلك. ما لم نخفيهم في مكان لن يعثر عليهم أحد فيه، سيُقبض علينا معاً»

ضحك وليد ضحكة مظلمة أرعبت إيهاب.

سأل إيهاب بغضب: «ما المضحك؟»

قال وليد، بنبرة باردة: «لا أعلم. كنت أظن أنك ستحاول منعي. ربما ستهرب من هنا خائفاً»

لانت ملامح إيهاب قليلاً، وخفَّ التوتر، ثم ضحك ضحكة صغيرة، فيها شيء من الدهشة وقال: «ولم أخاف منك؟ فكرة قتل أولئك الأوغاد راودتني منذ اللحظة التي عرفت فيها مَنْ تكون حقاً»

تجمَّد وليد وسأل: «عمَّ تتحدث؟»

اتَّسعت ابتسامة إيهاب وقال: «الحريق في المخيم... أبناء عمك. أعرف ما حدث يا وليد»

شَلَّت الصدمة وليداً في مكانه. كيف عرف؟ لم يعرف أحد بما جرى في تلك الليلة سوى سعد... ما لم يكن سعد أخبره.

زجر وليد، والغضب يغلي في صدره: «هل أخبرك سعد؟!»

قال إيهاب، رافعاً يده لتهدئته: «لا. لم يخبرني أحد»

«فكيف عرفت؟»

خفض إيهاب صوته إلى همسة سرية، وقال: «تلك الحادثة... كانت قصتي المفضلة حين كنت طفلاً. كنت أعرف نواف وحسن؛ كانا يأتيان إلى هذا المتنزّه مع أخيك رامي. رأيتك مرة، رغم أنك على الأرجح لا تتذكرني» هزَّ وليد رأسه، والذهول يجري في عروقه. لم يأتِ معهم إلى هذا المتنزّه قط، لم يكن حسن ليسمح له بذلك.

تابع إيهاب بصوت ينضح سُماً: «كانوا فظيعين، أليس كذلك؟ شرٌّ محض. كنت أغادر المتنزّه فور رؤيتهم قادمين، فقط كي لا يتحرَّشوا بي. ثم في يوم ما، سمعت أنهم ماتوا في حريق. وبصراحة؟ ما فكَّرتُ به آنذاك... أمر رائع! احترقوا نائمين؟ هذا ما يستحقونه. لكن حين علمت أنك الناجي الوحيد،

خطر بيالي سؤال... كيف نجوت إن لم ينجوا هم؟ إن كنت مستيقظاً وقت اشتعال الحريق، لماذا لم توقظهم؟ إما أنك تركتهم ليموتوا وهربت... وإما...

قال وليد: «وإما أنني من أشعلتُ الحريق»

«بالضبط. في البداية كانت مجرد شكوك. لكن في ذلك اليوم، حين سألتني عن الفيديوهات، وبدأت تتحدث عن الدفاع عن النفس... أكّدت لي الأمر، دار عقل وليد. شعر بأنه مكشوف تماماً، فانكمش داخل نفسه.

اعترف إيهاب: «لطالما أعجبت بك؛ ما فعلته بأبناء عمك... كان ذلك عدلاً وإنصافاً. استحقوا ما نالوه، وأنت نجوت بالخط، ولكن هذه المرة، إن كنت تريد قتل مازن والبقية حقاً... فدعني أساعدك لتنجو منه بالطريقة الصحيحة»

ساد الصمت في المبنى ووليد يحدّق في إيهاب، وثقل كلماته يتغلغل فيه، ولم يشعر بالوحدة لأول مرة منذ سنوات.
«ما الذي تفكر فيه؟»

تسمرت أصابعي على الشاشة، تنتقل بين صور حساب إيهاب على إنستجرام بجموح، وقلبي يخفق بقوة مع كل صورة جديدة. منشور تلو الآخر، يظهر ذاك الرمز ؛) ليس رمزاً تعبيرياً، بل النسخة القديمة المكتوبة كما على لوحات مفاتيح الحواسيب. بدا الأمر مقصوداً، بدا الأمر متعمداً، حركة غريبة جعلته بطريقة ما أكثر إثارة للغضب، كما لو أن المجهول يسخر مني مباشرة..

حُيِّتْ أنفاسي وأنا أقرأ التعليقات؛ يمدحه الناس ويشيرون حماسه. «يا أخي، أنت كونان جيلنا!» أوريا كانوا يسخرون منه؟ «قناتك صارت حياتي حرقاً»

إيهاب، أو بالأحرى (المجهول)، ردَّ قائلاً: «شكراً، القادم أكثر؛» رسمت المنشورات صورة لشخص مهووس بذاته، يتغذى على موجات الحماس حوله. إحدى الصور كانت سيلفي له يحمل كتاباً بعنوان «عقول إجرامية في القرن الحادي والعشرين»، والتعليق يقول: «بحث للفيديو القادم. أسبق الجميع بعشر خطوات. ترقبوا، يا محققِي الصفار!» وصورة أخرى لطاولة مزدحمة، متناثرة عليها أوراق لاصقة، وشاشة حاسوب متوقفة عند مشهد من وثائقي شهير عن الجرائم. كتب في التعليق: «المحققون الحقيقيون لا ينامون، ولهذا أنا ملك قنوات الجريمة الحقيقية على يوتيوب»

واصلت التمرير حتى جمدتني صورة بعينها: لقطة شاشة من فيديو على
يوتيوب بعنوان «فضح LaithX لسرقته فكرتي».

علقت عيناى على اسم القناة: المحقق إيهاب
تسارع نبضي، والشك تحول إلى يقين. هل يمكن حقاً أن يكون إيهاب
هو المجهول؟ الغرور، الأنا المتضخمة؛ كل شيء بدا الآن منطقياً.
سأل مازن، وجبينه معقود وهو يلتفت عن عيـد: «إلى أين أنت ذاهب؟»
أجبت بحدة، ونبرتي مقتضبة ومشتتة: «إلى البيت»
أضاف عيـد: «وماذا عن الغد؟»

«أعطني أرقامك»
قال مازن: «أنت تملك رقمي أصلاً؛ أرسلته لك مع الموقع سابقاً»
«آها، صحيح»
اتجهت نحو الباب وقلت: «سأراسلكما بعد قليل، هناك أمر عليّ إنجازه
فقط»

سأل عيـد: «أستطيع القيادة؟»
«نعم نعم لا تقلق»

فتحت الحاسوب المحمول في غرفتي. ما تزال الصفحة الرئيسية لموقع
يوتيوب تعجُّ بمقاطع ملخصات مباريات كرة القدم؛ بقايا مما اعتاد وليد
مشاهدته قبل عام. تجاهلتها، ونقرت على شريط البحث وكتبت: المحقق
إيهاب.

ظهرت القناة على الفور، كما ظهرت صفوف من المقاطع تحت صورة
إيهاب الشخصية. الابتسامة ذاتها، وقصة الشعر نفسها. انقبض جوفي وأنا
أنقر على القناة. امتدت شبكة المقاطع لسنوات، كل منها يتباهى بعنوان مثل:
«لغز منزل آل بدر» و«فيصل وصيادو البشر».

أحدث المقاطع نُشر قبل ستة أشهر: «جرائم ديفيد سميث»
نقرت عليه. أضاءت الشاشة بصوت إيهاب. حيّا الجمهور بنبرته المألوفة،
الوثيقة حد الغرور: «هذه القضية... لم أرَ أحداً يتحدث عنها. تتعلق بطالب
في المرحلة الثانوية سُمِّم أربعة من أصدقائه في أثناء الاستعداد للامتحانات
النهائية! ولكن قبل أن نبدأ...»

أوقفت المقطع ونزلت إلى قسم التعليقات؛ لم يكن هناك سوى خمسة
تعليقات: «لا تنسَ الاشتراك، والإعجاب، ومشاركة هذا الفيديو حتى نصل
إلى خمسة وعشرين ألفاً قريباً!» من حساب المحقق إيهاب.

كتب أحد المستخدمين: «كونان، اذهب وادرس»
علّق آخر بسخرية: «صوّر مقطعاً عن كيف أنك لن تصبح مشهوراً أبداً»
ردّ إيهاب على هذا التعليق: «سأصبح كذلك، وستمنى أن تلتقط صورة
معي. فقط انتظر»

كانت التعليقات ملأى بالسخرية، ومعظمها من طلاب مدرستا. حينها
فقط فهمت لماذا يلقبونه بكونان.

عدت إلى صفحة القناة وتصفّحت المقاطع الأقدم. كانت تمتد لسنوات،
حتى لفت انتباهي مقطعٌ تطابقت صورته مع لقطة الشاشة التي رأيتها على
إنستجرام: «فضح LaithX لسرقته فكرتي».

نقرت عليه. كان المقطع يحظى بعدد مشاهدات يفوق غيره بكثير، مع
أكثر من مئة وخمسين تعليقاً. نسبة عدم الإعجاب كانت مرتفعة بشكل
واضح. شغلته.

ظهر صوت إيهاب دون مقدّمة، بل بجملته مباشرة: «اليوم سأفضح
LaithX لأنه سرق مني»

بدأ هجوماً غاضباً، مدّعيًا أنه أول من تناول جريمة فتى قتل والده:
«كنت الأول! يمكنكم الدخول إلى قناتي والتحقق من التاريخ»، قال ذلك

وهو يعرض لقطة شاشة لتاريخ النشر مميزًا، ويقارنها بتاريخ نشر مقطع LaithX الذي جاء بعده بأسبوع.

استمر الفيديو، عارضًا مقاطع متقابلة من القناتين، صرّح إيهاب: «قال إن الجن هو من قتل والده... لا هو»

ثم تلتها لقطة من مقطع LaithX، يكرر الادعاء ذاته تقريبًا. نزلت إلى التعليقات.

كتب أحدهم: «لقد سرقته من الإنترنت»، وكتب آخر: «القصة ليست ملكك أساسًا»، وعلّق ثالث بسخرية: «دع LaithX وشأنه».

انقلب ما في داخلي. لم تكن هذه مجرد قصص، بل كانت عن أشخاص حقيقيين، عن ضحايا حقيقيين. إيهاب كان يتعامل معهم كأنهم مجرد محتوى، يغلف كل شيء بعبارات مثل: «مرحبًا بالجميع، أنا المحقق إيهاب! لا تنسوا المشاركة!»

تحوّل الاشتزاز إلى رعب. لم يكن هوس إيهاب بهذه الجرائم سطحيًا؛ بل كان يشبه تمامًا الطريقة التي استغلّني بها المجهول. لقد استغلّ غضبي، وحرّفني حتى كدتُ أقتل فهد؛ وغدًا، سيجبرنا إيهاب على تسميم المدرسة بأكملها.

ثم حان الغضب. إن كان إيهاب هو المجهول بالفعل، فهل تلاعب بوليد أيضًا؟

هبط قلبي. هل ذهب وليد إلى هناك ليقتلهم؟

لم يكن ذلك احتمالًا بعيدًا. المجهول دفعني نحو القتل، عارضًا الخطة المثالية لقتل فهد والخروج من دون أن يُكشَف أمرى. كان يمكن أن يفعل الشيء نفسه مع وليد؛ أن يترصد اللحظة المناسبة ليدفعه إلى ذلك.

تدفقت إلى ذهني عبارة قالها إيهاب حين كنّا نحاول كشف هوية المجهول: «الفتلة المتسلسلون يحبون العودة إلى مسرح الجريمة ليعيشوا اللحظة من

جديد. فهل من الجنون أن نقول إن المجهول؛ لأنه لا ينفذ الجرائم بنفسه،
يحاول أن يشاهدها وهي تحدث؟»

توقفت فجأة، وقطع الأحجية تتداخل أمامي. كان إيهاب يراقبني طوال
الوقت.



وليد سابقا

«لن يعرف أحد على الإطلاق»

ذلك ما قاله إيهاب، وبالنظر إلى تعابير وجهه، أدرك وليد أن إيهاب لا يطلق كلمات بلا معنى، بل يمتلك خطة... خطة أجبرته على الانتظار حتى عطلة الربيع، وها هو اليوم؛ اليوم الذي سينفذان فيه ما خططاه.

تمكّن وليد من أخذ سيارة محمد القديمة، وانطلق بها في وقت مبكر من الليل نحو منزل إيهاب، وأوقف السيارة في الحديقة. فتح تطبيق إنستجرام؛ الحساب الجديد الذي طلب منه إيهاب إنشاءه قبل مدة. (لا تنشر شيئاً، لا تضع صورة ولا اسماً، فقط اجعله مفتوحاً، واستعدّ لحذفه فور الانتهاء).

وليد: أنا وصلت

أرسل الرسالة إلى إيهاب، منتظراً الرد من حسابه المجهول.

المجهول: تفقد الطابق الثالث

ترجّل وليد من السيارة واندفع إلى داخل المبنى المهجور. لم يكن في الحديقة كثير من الناس، ولا يهم إن رآه أحد؛ فخطة إيهاب محكمة بالكامل. تسلّق الدرج، وهناك في الطابق الثالث، وجد حقيبة. ليست شفافة، لكنه كان يعلم ما بداخلها. قارورة البنزين. التقطها وليد، وعاد إلى سيارته.

وليد: تم

المجهول: هذا هو الموقع

أرسل له رابط فتح خرائط جوجل تلقائيًا حالما ضغط عليه وليد، صحراء
خالية تبعد مسافة ساعة ونصف، وهناك سيجدهم. ليس فقط فهد ومازن
وعيد بل أيضًا دحي، الذي، وفقًا لإيهاب، أطلق سراحه بها أنهم لم يعثروا
على شيء يدينه في المرة السابقة.

كل ما أخبره به إيهاب أنهم سيكونون نائمين، الأربعة جميعًا، وكل ما عليه
فعله هو إشعال الخيمة والانصراف.

المجهول: لا تذهب حتى أخبرك بذلك

رفض إيهاب أن يخبره بالكثير. لا كيف عثر على مخيم في تلك المنطقة، ولا
كيف سيجعلهم يذهبون إلى هناك دون أن يعلموا بقدوم وليد.

لم يُبد وليد اعتراضًا، ولم يُلحَّ على التفاصيل.. لأنه كان ينوي فعل شيء
ربما لا يوافق عليه إيهاب.

فتح تطبيق واتساب، وأزال الحظر عن سعد، وبدأ بكتابة رسالة.

الجزء الثالث

سابقا

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص

لم يسبق لفهد أن شعر بأنه وُلد محظوظًا؛ منذ أن بدأ يعي الأشياء من حوله، اعتاد الغرباء أن يضعوا أكياس الدقيق والأرز أمام باب بيتهم. كانت أمه تشكرهم من خلف الباب، بصوت مرتجف، ثم ترفع كفيها بالدعاء لكرمهم.

تعلم سريعًا ألا يذكر شيئًا من هذا أمام أبناء عمومته في التجمعات الأسبوعية؛ لم يشأ أن يُعامل كما يُعامل دحي. يساعد أمه أسبوعيًا في حمل الطعام إلى المطبخ في بيتهم القديم، يضعه في خزانة ذات باب مترنح، ويصمت تمامًا.

عندما بدأ المرحلة الابتدائية، ظلت في ذاكرته عينا أمه المبللتان وهي تساعد في ارتداء ثوبه الجديد؛ ذلك الثوب الذي يبدو أنها دفعت ثمنه أكثر مما تحمل ميزانيتهم.

في المدرسة، حمل حقيبة طُبعت عليها علامة جمعية خيرية، وهي علامة صامته على وضعه. لم ينس أحد بكلمة، لكن لم تكن هناك حاجة للكلام. شعر بذلك الفاصل غير المنظوق بينه وبين الأطفال الآخرين، وأدواتهم المدرسية اللامعة الجديدة.

بعد انتهاء الدوام، تحيل زملاءه وهم يعودون إلى بيوت تحوي وجبات كاملة ومشروبات باردة، دون أن يرافقها إحساس بالخجل أو الترقب. في ذلك اليوم الأول، خنقه شعور بالنقص، لاصقه كالظل. اختبأ في غرفته، متظاهرًا بالنوم، كي لا ترى أمه الدموع التي تهدد بالسقوط من عينيه.

في ذلك اليوم، قطع فهد وعدًا على نفسه: سأكون أفضل طالب. سأخرج
أمي ونفسي من هذا الجحيم، وقد فعل. عامًا بعد عام، تصدر صفوفه، من
المرحلة الابتدائية حتى المتوسطة. عاش وفاءً لذلك الوعد؛ حتى وصل إلى
الصف الأول الثانوي.

حين أمسك بورقة درجاته بعد الاختبارات النهائية، ارتجفت يده وهو
يتأمل الأرقام:

الكيمياء: 95%

الرياضيات: 97%

ومعظم المواد الأخرى تجاوزت 95%

لكن الإنجليزية: 79%.

حدّق الرقم فيه، كأنه يسخر من كل ما بذله. تقلّب شيء في معدته وهو
يتخيّل عرضه على أمه.

لم يحتاج إلى من يخبره بأن سمير من الصف ب، ومراد من الصف أ، قد
حصلوا على المركزين الأول والثاني؛ كان لديهما مدرسون خصوصيون، وهو
أمر لا يستطيع فهد تحمّله، إذ إن كل ريال يجنيه من عمله في السوبرماركت
يُصرف لإبقاء عائلته واقفة على قدميها.

حاول دراسة اللغة الإنجليزية بمفرده، أصرّ على التركيز، لكنها ظلّت
لغة غريبة بكل معنى الكلمة؛ فبدأ بدّخر شيئًا فشيئًا ليستطيع دفع أجر معلّم
خصوصي ببطء وألم.

ثم، ذات يوم بعد الغداء، كان في دورة المياه يحقن الإنسولين في بطنه،
حين التقطت أذناه أصواتًا خارج الحمام.

«اخفض صوتك»

«لم أتكلّم»

«أرأيت؟»

سمع صوت تقليب أوراق.

«ما هذا؟»

«اقرأ!»

«هذه رياضيات، أليس كذلك؟»

«كيمياء، جغرافيا... إنجليزي!»

«كيف؟»

«هناك المزيد قادم!»

«هل أنت متأكد أن هذه هي الاختبارات؟»

اختبارات؟ تجمّد فهد، وسقطت زجاجة الإنسولين من يده، وارتطمت بالأرض.

توقفت الأصوات في الخارج.

فتح باب الحمام، فوجد مازن وعيد، وبين يدي عيد كومة من الأوراق. لم يحتج فهد إلى تهديدات ليحصل على ما أراد. اكتفى بابتسامة، وسؤال لطيف، وسلمه مازن نسخة من كل اختبار.

في منتصف ذلك الفصل الدراسي، حصل فهد على أعلى الدرجات في معظم المواد، باستثناء الإنجليزية: 89%. نخرته خيبة الأمل؛ حتى مع حصوله على الاختبارات مسبقاً، ظلّت درجاته في الإنجليزية تتأرجح بين 85% و91%.

انتقل وليد إلى المدرسة في عامه الدراسي الأخير. لم يعرف فهد عنه الكثير، سوى أنه جاء من مدرسة خاصة.

في يومه الأول، أجاب وليد عن أسئلة اللغة الإنجليزية بسهولة، وتحدث بطلاقة مع المدرّس، حينها قرر فهد أن يتقرب منه، على أمل أن يساعده وليد مقابل حصوله على الاختبارات.

رفض مازن الفكرة بشدة. حذّر فهد من إشراك وليد، وهدّده بحرمانه من الوصول إلى الاختبارات.

احتجّ فهد: «لا يمكنك فعل ذلك»

ردّ مازن: «ماذا؟ ستشي بنا؟ أنت غششت أيضًا»

مع ذلك، اقترب فهد من وليد قبل الاختبارات النهائية، متجاهلاً تحذيرات مازن، وقال بابتسامة مصطنعة: «مرحبًا وليد، هل يمكنني التحدث معك قليلًا؟»

نظر إليه كأنها ينظر من خلاله، كأنه شفاف غير موجود.

قاطعته إيهاب: «اتركه وشأنه»

اقترب فهد وهمس: «اسمع يا أخي، الاختبارات النهائية تقترب، ولديّ شيء قد يهّمك»

لم يتكلّم وليد... كأنه غير حاضِر أساسًا.

«أملك اختبار اللغة الإنجليزية»

فرق أصابعه وقال: «ولد؟!»

أصابته لكمة شديدة وجه فهد، حتى كاد الهواء يفرّ من صدره. وقف مذهولًا لثانية، قبل أن ينقضّ عليه وليد.

في دورة المياه، بينما كان يغسل الدم عن شفتيه المشقوقة، استمع فهد إلى دحى يحاول أن يجرّضه.

قال دحى: «سوف ننتظره بعد المدرسة؛ سأمسكه، وستضربه أنت»

صرخ فهد: «هل فقدت عقلك؟»

تصلّب وجه دحى. سقط قناع ابن العم اللطيف، وكشف عن غضب بارد، وقال وهو يربّت على كتف فهد: «يبدو أن سكر دمك منخفض. سأكون في الخارج»

حل وقت الاختبارات، وخفق قلب فهد في كل مرة جلس فيها على المقعد. راقبت عيناه الباب باستمرار، خشية أن يفتحهم مدرّس الغرفة ويجرّه مع الباقيين بتهمة الغش، ولكن الاختبارات انتهت، ولم يظهر وليد.

سمح لنفسه بشعور طفيف بالارتياح؛ فصل دراسي واحد فقط. كل ما عليه هو أن يتخرّج، ويترك كل هذا خلفه.

درجاته شبه الكاملة ستمنحه مكانًا جيدًا في الجامعة، وهناك سيبدل جهدًا أكبر ليتخرّج، ويظفر بوظيفة عظيمة.

وفي يوم قريب، سيشتري منزلًا له ولأمه... وسيدلّلها أيضًا؛ سيجلب لها كل ما تستحقه من ذهب وهدايا.

بعثت تلك الفكرة في صدره راحة وهو ينظر إلى نتائج الفصل الأول خلال عطلة الربيع. درجات كاملة، باستثناء الإنجليزية: 91٪، ولكنّه شعر بالامتنان لمجرد نجاته من الطرد.

ثم وصلته تلك الرسالة، التي جمّدت أحشاءه. رسالة على حسابه في إنستغرام، ذاك الحساب الذي بالكاد يفتحه.

المجهول: كيف كانت اختباراتك؟؛

المجهول: لا بد أنك تدرس كثيرًا

المجهول: هل لديك مدرس خصوصي؟

المجهول: أوه، انتظر...

الصورة المرفقة جمّدت في مكانه.

طابعة المدرسة؛ المصدر الذي سُرق منه الاختبارات.

المجهول: لن أفصح أمرك... إن فعلت شيئًا واحدًا لأجلي.

دحمي سابقا

مرّت ثمانية أشهر على اعتقال عمّه حمد، وثمانية أشهر وأسبوع على عشور دحمي على جدته ميتة في سريرها. لم يستوعب كيف يمكن لعمّه أن يتسبب في ذلك... عمه المفضّل، عمه الذي كان يشاركه الاسم نفسه، «حمد» - الرجل الوحيد الذي اهتمّ به - والذي كان يناديه «دحمي»، رغم أن اللقب لم يكن يليق باسمه.

كيف يمكنه أن يفعل ذلك؟

لا إجابات. كل ما يعرفه أن هذا المنزل الكبير المتداعي، الذي جمعهم ذات يوم، غارق الآن في صمت خائق.

تحرك دحمي بين الجدران المتقشرة، حتى وصل إلى غرفته. رمى هاتفه على الفراش الموضوع في الزاوية، وتمدد على ظهره متنهّداً بتعب. على الأقل، الأمر انتهى.

وليد لا يبدو مهتماً بالتبليغ عنه بسبب ما فعله. تلك المحاولة الوحيدة لبيع ما تبقى من أشياء عمه حمد، وحتى عملية سرقة الاختبارات التي أقلقت فهد ومازن، لم تعد مهدّدة بالانكشاف.

كيف يمكن لشخص واحد أن يخلف هذا الكم من الفوضى؟ ثم يزول من حياتهم كلياً، كما يزول الكابوس عند الاستيقاظ.

اختفى وليد بعد ما فعله بفهد، وطوال تلك الفترة ظلّ دحمي في قلقٍ دائم، مترقباً لحظة يقنحم فيها رجال الشرطة المنزل لاعتقاله.

لكن لم يحدث ذلك. ولا يوجد ما يورّطه الآن؛ لا شيء بعد اليوم.

كان يريد أن يضرب وليد، ليس فقط لما فعله بابن عمه فهد، بل لأنه تجرأ على أن يجعله قلقاً كل هذا الوقت، ولكن، لحسن الحظ، استمع دهمي لفهد هذه المرة.

لا مواجهة. لا مشكلات إضافية.

ولحسن الحظ أيضاً، قد يظل عمه حمد في السجن لسنوات قادمة. على الأقل، لم يعد دهمي مضطراً إلى القلق بشأن ردّة فعله عندما يكتشف أن كل أقراصه اختفت.

كان عليه أن يتخلص منها منذ زمن بعيد، جرّت «أعمال» عمّه عليهم الكثير من الأذى، ناهيك بموت الجدة... كانت لتبقى حيّة لو أن العم حمد اختار طريقاً آخر.

أما بالنسبة لدهمي، فقد كان فهد محمّلاً بإمكانه أن يفتح صفحة جديدة. سيبحث عن عمل جزئي ليرعى نفسه حتى التخرج. يستطيع أن يعيش مع فهد وأمه حتى الجامعة، حين يتخرج من المدرسة؛ ويفضل الدرجات الجيدة التي نالها من تلك الاختبارات المرسوقة، ما يزال الأمل قائماً. بقي فصل دراسي واحد. فصل واحد فقط.

رن هاتفه على الفراش بجواره. كان المتصل فهد.

ردّ دهمي: «نعم؟»

«يا رجل! هل حصلت على النتائج؟»

«لا، سأذهب غداً»

قال فهد بمرح: «بإمكانك الحصول عليها إلكترونياً. الأمر بسيط»

«لا أعرف الطريقة»

«سأريك غداً، لا مشكلة»

ثم ساد صمت.

قال فهد: «اسمع يا دهمي، ما رأيك أن نذهب للتخيم غداً؟»

سأل دحي مستغربًا: «ماذا؟»

لم يسبق لفهد أن اقترح شيئًا كهذا. لم يخرج من البيت أصلًا، إلا للعمل.
«نخيم؟»

«أجل، استأجرت مخبأ في مكان ما حتى نستمتع بالإجازة، سيكون الأمر
ممتعًا، أعدك»

«فقط أنا وأنت؟»

«لا، لا. مع طلاب من الصف أيضًا»
«من؟»

«لا أعرف. سأتصل بهم لاحقًا. أحتاج أن أعرف أنك موافق»
«كم علينا أن ندفع؟»

«لا شيء. أنا تكفّلت بكل شيء»
«لا، لا ينبغي أن تدفع عن الكل...»
«سعر زهيد. لا تقلق»

ومع ذلك، حملت نبرة فهد شيئًا غريبًا. هذا لا يُشبهه إطلاقًا. لماذا الآن؟
ولماذا هذا بالذات؟

قال دحي أخيرًا دون أن يفكر: «حسنًا. أنا موافق»

مازن سابقاً

عليك اللعنة يا وليد!

ذلك وحده ما كان يدور في رأس مازن وهو يحدّق في رسالة إنستجرام «المجهول»، ها؟ كأنه لم يدرك أن وليد هو من يحاول التلاعب به.

ظنّ وليد أن مازن هو من بلّغ الأستاذ يحيى عنه بدافع الانتقام، لكن هذا لم يكن صحيحاً، فمازن لم يهتم بهذه الألعاب الصبيانية، حتى لو اعتقد وليد أنه ما يزال غاضباً بسبب ابن عمه جمال.

وليد لم يعرف الحقيقة. لم يرَ وجه مازن حين علم بما حدث لجمال العام الماضي. ربما ظنّ أن مازن قلق، أو حتى خائف، لكن الحقيقة أن مازناً شعر بالفرح.

كان يودّ زيارة جمال في المستشفى فقط ليقول له إنه يستحقّ ما جرى. ثمة أمر مازن يعرفه دائماً: ألا تملك المال أمر مؤلم، بلا شك، لكن ألا تملك الكرامة؟ ذلك جحيم أسوأ.

كان أبوه تذكيراً دائماً بهذه الحقيقة. بخيل، لا يكف عن التذمّر من قلة المال، بينما عمّه حسام يملك كل شيء. بيت كبير، وسيارات فاخرة، ومديح لا يتوقف لابنه جمال. كان التباين صارخاً كلّما زارت عائلة عمه منزلهم.

في ذلك الصيف، قبل أن يبدأ مازن المرحلة الثانوية، جلس جمال في غرفة المعيشة بثقة زائفة، يحاول أن يبدو ذكياً بينما كان والداهما يتحدثان عن أخبار ذلك اليوم.

ظَلَّ مازن صامتًا، متمنيًا أن تمر الدقائق سريعًا حتى لا يتحمّل وجهه جمال أكثر، ولا نظرات عمه، ولا صوت أبيه، ولا اليأس المتخفي في نبرته.

خلال العشاء، حين استعرض والده بشكل مُبالغ وهو يطلب من مازن أن يُحضّر صلصة حارة للجمال، التي لم تكن موجودة أصلًا، فهم مازن الإهانة. كان أبوه يحاول إرضاء حسام، الذي أعطاه مالا لدفع الإيجار قبل شهر. احمرَّ وجه مازن خجلًا وهو يفتش عن الصلصة التي لا وجود لها، ثم كذب قائلًا إنه لم يجد مفاتيح السيارة. رفض أن يقود لأجل جمال.

قال والده بحدة: «يمكنك أن تمشي على قدميك»

قال العم حسام: «دع الفتى يأكل»، ولكن والده تجاهله، وأصرَّ، فأضاف حسام: «أو... يمكن للجمال أن يقود»

خرج مازن غاضبًا، وجمال يتبعه كظل متباهٍ. أشار إلى سيارة جديدة لامعة كانت مركونة قريبًا، وابتسم قائلًا: «جميلة، أليس كذلك؟ أبي اشتراها لي الأسبوع الماضي»

كان طريق العودة لا يُطاق.

لم يتوقّف جمال عن التعليق حول حيّ مازن، وعن غياب أعمدة الإنارة، وحاويات القمامة الممتلئة، مدّعيًا التعاطف ولكن بصوت يقطر استعلاءً. أراد مازن أن يلكمه، وأن يمحو تلك الابتسامة من وجهه، ولكنه بقي صامتًا. حين كانا طفلين، ارتكب مازن خطأ محاولة اللعب بجهاز بلايستيشن جمال خلال الزيارة؛ وحين علقت أسطوانة في الداخل، ركض جمال باكياً إلى أبيه، يتهم مازنًا بتعطيمه.

انتهت الحادثة بجر مازن خارج المنزل على يد والده، مذلولًا، غاضبًا. ما تزال كلمات جمال الأخيرة تتردّد في رأسه: «متسوّل».

استغرق مازن وقتًا ليُدرك أن جمال لم يكن يتحدث عنه، بل كان يقصد والده، وعندها قطع مازن وعدًا على نفسه: لن أكون مثل أبي، مهما كلّفني الأمر.

سأصبح أكثر ثراءً من عمي حسام، ومن خطئه الذي أسماه جمال.

في نهاية تلك الليلة، رأى عمه وهو يعطي نقوداً لوالده خارج المنزل، فراقبه بغضب، ووالده يتسهم وهو يحشو النقود في جيبه. لقد طارده ذلك الانعدام الصارخ للكرامة لأيام.

كلما ارتدى شيئاً، أو تناول لقمة من الثلاجة، لم يقدر أن يمنع نفسه من التفكير: أيُّ من هذه الضروريات دفع ثمنه من مال عمه؟

حتى السقف فوق رأسه أصبح يبدو له كصندوق ضخم، يمتص منه كرامته ببطء. لا. لن يسمح لنفسه أن يصبح مثل والده. سيفعل أي شيء ليمنع ذلك.

منحته المدرسة الثانوية فرصته الأولى.

أقنع المدير بالسماح له بالعمل إلى جانب عامل المقصف مقابل خمسة ريال شهرياً. لم يكن مبلغاً كبيراً، ولكنها بداية. وبفضل امتلاكه مفاتيح المبنى الصغير، قرّر أن ينام في المقصف ما دام ذلك ممكناً، فقط ليتفادى العيش تحت سقف يدفع ثمنه والد جمال.

جاءت فرصته الثانية حين أصحح طابعة المدرسة للأستاذ بسام. قدّر المعلم جهده، ومنحه إكرامية بسيطة، وعندها خطرت لمأذن فكرة: أن يعرض خدماته على معلمين آخرين. ومع الوقت، بدأ عددٌ منهم يثق به في بعض المهام. وربما، منحه بعضهم إكرامية أيضاً.

فعل ذلك، ولكنهم لم يكرموه، ولم ينو أن يطلب شيئاً منهم على أي حال. في أحد الأيام، وفي أثناء مساعدته أحد المعلمين على طباعة اختبارات الكيمياء، اكتشف أمر سجل تلك الطابعة، إذ كانت تحتفظ بنسخ من كل ما طُبِعَ عليها، بما في ذلك الاختبارات.

وبهذا الوصول، لم يكن يحتاج إلى الدراسة، كان يحتاج إلى الحفظ فقط. بل وربما... يستطيع بيع تلك الاختبارات لمجموعة صغيرة من الطلاب فقط، أولئك الذين يثق بهم، حتى لا تنفجر المسألة في وجهه.

كل خطوة كانت تقرُّبه أكثر من هدفه: أن يدَّخر ما يكفي ليخرج من ظل والده، ويتخرَّج بدرجات عالية، ويصنع يومًا ما حياة تفوق ما يملكه عمه. ذلك الوليد...

كان يعرف بالأمر، ومع ذلك، ما خشيهِ مازن لم يحدث؛ أن يفضحهم بعد ما جرى مع فهد بدا أمرًا محتومًا؛ خصوصًا أن دحميًا وفهدًا لن يسمحا له بالسكوت.

لكن لا... لم يظهر وليد في المدرسة حتى بعد ذلك اليوم، وبعد أسابيع أهلكه فيها القلق، استتج مازن أنه في أمان. يمكنه أخيرًا التفكير في المستقبل. تبقى فصل دراسي واحد فقط، ومع عمله الجاد، لا شك لديه أنه سيقرب خطوة من تحقيق حلمه؛ أن يصبح غنيًا ويتباهى بتلك الثروة في وجه جمال. صار بإمكانه أن يفكر في المستقبل.

لم يعرف بعدُ كيف سيحقق ذلك تحديدًا، لكنه كان واثقًا من نفسه بما يكفي ليكتشف الطريق. تمدد في غرفة المعيشة، ينتظر عيد ليُحضِر له ماء من الداخل. ضحكك بصوت خافت... متذكرًا ذلك اليوم.

فصل دراسي واحد فقط؛ عندها اهتز هاتفه. اتصال من فهد، من جديد. صرخ قبل أن يتكلم فهد: «لن أذهب! أنا مشغول! كم مرة يجب أن أخبرك بذلك؟!» ثم أغلق المكالمة.

بعد ساعات، ظهرت رسالة على إنستجرام.

المجهول: مرحبًا مازن

المجهول: أعلم أين كنت تطبع تلك الاختبارات

المجهول: أستطيع أن أدمِّرك باتصال واحد فقط، لذا أنصت جيدًا...

تجمّد الدم في عروقه.

عيد سابقا

في يوم عادي، أول ما يفعله عيد بعد عودته من المدرسة هو الاتصال بوالدته. ينتظر منها أن تعرض عليه الانتقال للعيش معها ومع زوجها الجديد.

«عليك أن تُنهي الثانوية أولاً»

كانت تقولها دائماً، دون تأكيد، دون وعد بأنه سيستقل إليهم يوماً ما. لم يكن ذلك عقاباً؛ هكذا كان يخبر نفسه على الأقل، ولكن في أعماقه، كان يعلم أن زوجها الجديد لا يريد وجوده بينهم. ربما كان التعامل مع التوأمين، نورة وهدى، اللتين لم يتجاوز عمرهن السادسة حين وقع الطلاق، عبئاً كافياً بالفعل. اشتاق إليهن. اشتاق إلى وجبات العشاء التي كانت أمه تعدّها في أيام الجمعة، رغم جدولها المزدحم كونها طبيبة نساء.

كان مطعم والده يستهلك معظم وقته آنذاك أيضاً، أو هكذا ظنَّ عيد. في أغلب الأيام، لم يكن في المنزل إلا عيد وأختاه والعاملة. كان يحب اللعب معهنّ، فيتظاهر بأنه ذئب ليصرخن ويختبئن خلف الستائر، وأقدامهنّ الصغيرة تبرز من تحتها.

أشتاق إلى ضحكة هدى المعديّة، وكيف أن نورة كانت تضحك فقط لأنها تسمع أختها تضحك.

ذات مرة، وفي أثناء لعبة الغميضة، في انتظار عودة والديهم إلى العشاء، اختبأت نورة بإتقان، حتى لم يستطع عيد ولا هدى العثور عليها. دبّ الذعر فيهما، ليكتشفاها في النهاية نائمة بعمق خلف أريكة غرفة المعيشة.

اليوم، تعيشان على بُعد أربع ساعات، وعيد وحده. حاول أن يفهم سبب طلاق والديه، لكن لا أحد منهما أراد إخباره. كان في السادسة عشرة حينها، وتصرفا وكأنهما لا يدينان له بتفسير.

ربما كان السبب فشل مطعم والده الذي موّله أمه ولم ينجح يومًا. ربما كانت تلك الفترة التي لم يُجِب فيها والده على اتصالاتها لشهر كامل، يتركها تسير في غرفة المعيشة جيئة وذهابًا، والهاتف في يدها؛ وربما كانت تلك الليلة التي عاد فيها أخيرًا، وحقائبه مزينة بملصقات المطارات، ووجهه يفيض بهجة.

تزوج كلاهما بسرعة بعد الطلاق. علّق والده بسخرية: «تزوجت واحدًا من الكلاب الذين تعمل معهم»، رغم أنه كان يستعدُّ للزواج من أخت صديقه المقرب.

لم يستطع عيد منع نفسه من التساؤل: هل كان زواجهما الجديد مُحْطًا له منذ البداية؟ كيف تحرّكا بهذه السرعة، دون أن يأخذا تأثير الأمر على التوأمين بعين الاعتبار؟ لم يصدّق.

تصرّف والداه بطفولية لم ير مثلها حتى عند نورة وهدى.

بعد ليلة زفاف والده، خرج عيد يتمشى بلا هدف، لا وجهة له. الصوت في رأسه عالٍ، لا يرحم: أمك لم تنصل اليوم. ربما لا تريدك. أبوك لا يريدك أيضًا. لقد تزوّج، وسيُجب أطفالًا جددًا. ستترك وحدك. ستساك هدى ونورة. ستكبران من دونك. وأنت؟ لا شيء. لطالما كنت لا شيء بالنسبة لهما. قطع بوق سيارة عالٍ حبل أفكاره.

أعمته أضواء أمامية وهو يُدرك أنه يقف في منتصف الطريق.
صرخ السائق وهو يُنزل النافذة: «ما خطبك أنت؟!» ثم هزَّ رأسه،
وانطلق مبتعدًا.

مع تحوُّل السَّماء الداكنة إلى زرقة الفجر، لم يرنَّ هاتف عيد. لا اتصال من
والدته، ولا رسالة من والده.

التفَّ عناق العزلة حوله كبرودة الصباح الباكر. وجد نفسه واقفًا أمام
صفٍّ من المحال، ورائحة الخبز الطازج والعدس تتسلل في الهواء. دخل
في طابور صغير، والتقط علبة ماء، ثم ربَّت على جيوبه، ليكتشف أنه نسي
محفظته.

جاءه صوت من الخلف: «هل كل شيء على ما يرام؟»
تتم عيد معيّدًا الزُّجاجة إلى الرف: «نعم»
أصرَّ الرجل الواقف خلفه، في الثلاثين تقريبًا، بأكمام مشمَّرة وهيئة
مريجة، على الدفع بدلًا منه.

شكره عيد، وجلس على الرصيف، يرتشف الماء بهدوء.
وقف الرجل بجانبه يحمل أكياس طعام الإفطار وسأل ناظرًا من أعلى:
«هل ترغب في توصيلة؟»

تردَّد عيد، ولكنه لم يجادل. نادرًا ما يفعل. صعد إلى السيارة، الجيب
الصفراء التي تعود لذلك الغريب، وجلس بصمت، وحده صوت المحرك
يملأ الفراغ بينهما.

انتفض عيد مستيقظًا، والمكان حوله غير مألوف. دبَّ الذعر فيه وهو
ينظر حوله. أين هو؟ أين الرجل؟

أزعجته طرقات على نافذة السيارة وصوت الرجل يقول: «صباح الخير»
لم أشأ إيقاظك باكراً»

كانا متوقّفين خارج استراحة في منطقة شبه مهجورة، وفي طرق نصف
مكتملة ولافتات متناثرة تقول: «أرض للبيع»
قال الرجل، وهو يقوده إلى الداخل: «تعال تناول الطعام معنا. سأعبدك
إلى المدينة لاحقاً»

جلس عيد في الداخل وسط أربعة رجال أكبر منه، يتناول الطعام محاولاً
أن يشعر بأنه أقل غربة.

شيشة في كل زاوية، وموسيقى صاخبة من التلفاز تصعّب التركيز على أي
شيء سوى إرهابه العالق في جسده.

خرج سلطان، ذلك هو اسم الرجل، بعد الوجبة وسحب سيجارة من
جيبه.

سأل مبتسماً بأسنانه المصفرة: «أتريد واحدة؟»
لم يسبق لعيد أن دخّن، لكن التحذيرات عن الرئتين المحروقتين
والإعلانات المخيفة لم تعني له شيئاً في تلك اللحظة.

سأله والده فور دخوله المنزل: «أين كنت؟» كان أنيقاً، وحقيقته الزرقاء
الداكنة تقف قرب الدرج بجوار حقيبة أخرى جديدة، أكثر إشراقاً، لم يرها
من قبل.

أجاب عيد: «مع صديق»
قال والده مبتسماً، فيما أصوات الصحن تتصادم في المطبخ: «اذهب وألقِ
التحية على زوجتي»

وفي أثناء مرورهما بالممر، شمّ والده الهواء وتوقّف.
«ما هذه الرائحة؟»

«صديقي، دخّن خلال إيصالي»

ارتفعت حاجبا والده، ثم واصل السير.
توقّف عيد وقال: «أبي... أنا دخّنت أيضاً»

والده حدّق به لحظة ثم قال: «لا تفعلها مجددًا»

فعلها عيد مجددًا، ثم مجددًا.

تواصل مع سلطان الذي أجاب سريعًا. عاد إلى الاستراحة، وجرب
الشيشة، سُحب من نكهة الكرز تملأ الغرفة، والضحك يتعالى.

حين أحضر عيسى، أحد أصدقاء سلطان، زجاجات من شيء يعرف عيد
أنه لا ينبغي له شربه، لم يتردد في سؤاله: «ما هذا؟»

بعد بضع ساعات، كانت الزجاجاة شبه فارغة. الرجال يرقصون
ويصرخون، يصوّرون أنفسهم والأضواء تومض في أنحاء الغرفة.

عند الساعة الواحدة صباحًا، خرج عيد، محدّق في السواد الكامل الممتد
خلف البوابة المفتوحة.

عاد إلى غرفة المعيشة، وفصل التيار عن الأضواء، وارتقى على الأريكة
وقد غلبه الإرهاق.

خنقه الجاثوم خلال نومه. وحش قذر جثم فوقه، سحقه بثقله. لم يستطع
الحراك، لم يستطع الصراخ. لعاب الوحش تقطر على وجهه وهو يجهد نفسه
للاستيقاظ.

وحين أفاق، لم يفارقه الرعب. ما يزال الجميع ممدّدين في أرجاء الغرفة،
يد عيسى تتلّى قرب الأرض. لكن سلطان لم يكن هناك. نهض عيد مترنّحًا،
جسده منهك، ملابسه مجمّدة. هرع إلى الحمام، يتقيأ تحت وطأة الذعر الذي
اجتاحه.

جاء صوت سلطان من خلف باب الحمام: «عيد؟ هل أنت بخير؟»
تجمّد جسد عيد بالكامل. دفع سلطان الباب الموارب بكتفه، مبتسمًا.

سأل وهو يقترب أكثر: «ماذا حدث؟»

تمتم عيد متراجعًا خطوة: «لا شيء»

اتسعت ابتسامة سلطان، وامتدت يده نحو كتف عيد وسأل: «الم في المعدة؟»

حين أوصله سلطان إلى البيت، اندفع عيد إلى الحنّام، غمر نفسه بهاء ساخن جدًّا، وفرك جلده حتى احمرَّ، ولكن الاشمئزاز لم يفارقه. لم يفهم السبب. لماذا طُلّق والداه؟ لماذا تتجنبه أمه؟ لماذا لا يرى أخواته؟ لماذا وافق أن يذهب مع سلطان؟ لماذا استمر في الاتصال به... مرارًا... وتكرارًا؟

الشيء الوحيد الذي فهمه هو السبب الذي جعله يطلب من سلطان شيئًا يخدر الألم. بدت حالة الطفو أفضل من الغرق. تمسك بذلك... إلى أن... إلى أن وصله ذات يوم مقطع عبر إنستجرام. حدّق عيد في الشاشة، أصبعه يحوم فوق زر التشغيل.

بدأ الفيديو بزوايا متزعزعة، وضحكة سلطان واضحة خلف الكاميرا، ثم ظهر أمامها. ظهر وجه عيد؛ فارغ، بفك مرتخ، وكأن الجسد ليس جسده. لم يصرخ. لم يرمِ الهاتف. جلس هناك فقط، يشاهدهم يسلبون ما تبقى من براءته.

ظنّ أن 'المجهول' أحد رجال الاستراحة. ربما عيسى، أو أحد أولئك الكبار الذين يضحكون دائمًا على اللاشيء، بضحكة أطول مما تستحق. لم يعرف قط لماذا قد يفعلون ذلك، ولا ما الذي يجنونه من ورائه؛ ولم يملك الشجاعة ليسأل. حظر الحساب وتظاهر أن الأمر انتهى.

بدأت السنة الثانية من الثانوية، وأقنع نفسه لبعض الوقت أن الكابوس مضى، ولكن خلال الأسبوع الأول، حين مدّ يده إلى درج مكتبه ليأخذ قلمًا، تجمّد، حيث وجد صورة مطبوعة من الفيديو. وجه عيد فارغ أجوف مع ابتسامتين عريضتين من سلطان وعيسى.

لا رسالة. لا تفسير. الصورة وحدها تسخر منه. خفق قلبه بعنف،
لدرجة أنه ظنَّ أن زملاءه سيسمعونه. دسَّ الصورة في جيبه، وقضى الساعة
التالية يحدِّق في كل طالب من حوله. من؟ من قد يفعل هذا؟

وتكرَّر الأمر؛ مرَّة تلو الأخرى. صورة جديدة في كل بضعة أيام. لم يتفوَّه
أحد بكلمة، لكن أحدهم يفعل هذا، يدسُّ الصور في درجه كأنه شبح يمرُّ
قرب كتفه.

نهشه الهلع حتى الإنهاك. بالكاد استطاع النوم، وإن نام، تذوب أحلامه
في الفيديو نفسه، مرارًا وتكرارًا. وفي منتصف الفصل، لم يعد يحتمل.
طلب المساعدة من دهمي. شيئًا يخدِّر الألم. رفض دهمي في البداية، إلى أن
أخبره عيد، بصوت منخفض مرتجف، أنه رأى عمَّه مرَّة أمام الاستراحة،
يبيع لسلطان، في الظلام.

عندها، لم يعترض دهمي.

منحت الحبوب عيدًا صمتًا. لم يكن سلامًا حقيقيًا، ولكنه خدَّر كفيف
بما يكفي للاختباء وراءه. كلما ضغط عليه العالم، ابتلع طريقه نحو السكون.
وتوقَّفت الصور بعد حين. يبدو أن من كان يلعب تلك اللعبة شعر بالملل،
ومع كل أسبوع هادئ، بدأ عيد يصدِّق أن الفيديو ربما يظلُّ مدفونًا إلى الأبد.
بعد عام، في الفصل الدراسي الأول من الثالث ثانوي، انتقل وليد إلى
المدرسة. بالكاد لاحظ عيد في البداية، إلى أن سرق منه شيئًا وهو نائم في
الصف.

توقَّف دهمي بعدها عن بيعه؛ وكان لدى مازن خطط كثيرة للانتقام من
وليد وجعله يدفع ثمن ما سرق. لكن عيد لم يهتم بالخمسين ريالًا. فقد سُلِبَ
منه ما هو أغلى بكثير.

في إجازة الربيع، جلس عيد في مجلس الضيوف، واستلقى مازن في الزاوية
يشاهد التلفاز؛ اهتزَّ هاتف عيد على طاولة القهوة: رسالة خاصة من حساب
إنستجرام مجهول.

المجهول: أهلاً عيد

المجهول: هل اشتقت لي؟؟

عيد: من أنت؟

لم تكن هناك حاجة لردّ. الرسالة التالية كانت فيديو؛ الفيديو نفسه.

ارتجفت يده حتى كاد الهاتف يسقط من بين أصابعه.

سأل مازن، عابسًا: «ما الأمر؟»

همس عيد بصوت مرتعش: «إنه هو مرة أخرى». أمسك مازن بالهاتف

من يده، وبدأ بالرد.

عيد: أتظن أنك قوي؟

عيد: إن كنت رجلاً، تعال وواجهني بدلاً من الاختباء خلف هاتفك!

المجهول: حسنًا. ما رأيك غدًا؟؟

المجهول: سأرسل لك الموقع.

أقسم المجهول إنه لم يكن سُئماً؛ مجرد قطرات عين، لا يمكن أن تقتل أحداً.
كل ما في الأمر أنهم سيفقدون السيطرة على أمعائهم، وربما يغلبهم النعاس.
هذا كل شيء.

مجرد مزحة غير مؤذية أُجبر على تنفيذها حتى لا يُكشَف أمر الاختبارات.
سيفهم دحي والآخرين، وسيدركون أنه يفعل ذلك لحمايتهم تمامًا كما يفعل
لحماية نفسه.

وصل فهد إلى الموقع الذي أرسله المجهول قبل غروب الشمس. بدا
الهواء هناك أكثر برودة، وأكثر حدة، كأنه يتسبب إلى منطقة أخرى من العالم؛
لم تكن هناك أي مخيمات أخرى في الأفق، رمال خالية وصمت مطبق فقط.
الخيمة متوارية خلف تل منخفض، بالكاد تُرى حتى اقترب منها. اهتزت
سيارته الديدسون القديمة وهي تشق طريقها فوق الأرض غير المستوية،
لكنها أوصلته في النهاية.

خيمة واحدة، منصوبة على نحو غير متقن، بعض جوانبها مشدود أكثر
من غيره. لا سيارات أخرى. لا أثر لأحد. مجرد توتر يتصاعد في صدره حتى
بلغ حدود الذعر.

في الداخل، سجادة حمراء تقليدية مفروشة على الأرض، وهناك فانوس
يتدلَّى من العمود الأوسط، ومبرد ماء يرتقي في الزاوية، كأنه في انتظاره.
تسارعت أنفاس فهد وهو يفتح المبرد. ظهرت زجاجات العصير بين
مكعبات الثلج التي بدأت تذوب.

أخرج كيس الصيدلية من جيبه، وارتجفت أصابعه حين أخرج قطرات العين؛ زجاجة تلو الأخرى، فكَّ الأغطية، وضغط السائل داخلها، رجَّها بعنف، ثم أعادها إلى مكانها. شعر بالبلل والبرودة في يديه حد التجمد.

بعد الانتهاء، أخرج هاتفه، فظهرت رسائل إنستغرام السابقة أمامه:

فهد: مازن رفض الحضور، ولا أملك رقم عيد

المجهول: توليت الأمر. ركّز على الباقي

المجهول: كما اتفقنا، تأكد من شربهم كل شيء، وتأكد من وجودهم

داخل الخيمة

المجهول: والصور. عندما ينامون، التقط صورًا لهم

المجهول: لا تغادر قبل أن أطلب منك ذلك

المجهول: هل وصلت؟

فهد: نعم

المجهول: أخبرني عندما تنتهي

كتب فهد: انتهيت. لكن الرسالة لم تُرسل. هرع إلى سيارته، قادها نحو

الطريق، رفع هاتفه عاليًا حتى التقط إشارة

فهد: انتهيت

بضع ثوانٍ من الانتظار. ثم ظهرت نقاط الكتابة.

المجهول: التقط صورة

فهد: صورة ماذا؟

المجهول: افتح المبرد وأرني ما بداخله

عاد إلى داخل الخيمة، فتح غطاء المبرد مجددًا، والتقط صورة بيدين

مرتعشتين، وأرسلها، ثم ركض نحو التل لعله يلتقط إشارة أقوى من هناك.

رنَّ الهاتف على الفور. أمسكه كما لو كان طوق نجاة.

خرج صوت فهد متهدجًا: «دعني!»

«أين هذا المكان؟ لا يشبه مواقع المخيمات المعتادة»
قال فهد محاولاً ضبط نبرته: «كل ما عليك هو تتبّع الموقع،
تتبعته. أنا عند نهاية الطريق»

«انتظر، سأقود السيارة حتى تراني»
قفز إلى الديدسون، وقادها نحو الطريق، شقّت أضواء السيارة السماء
الآخذة في الغروب. وهناك، على امتداد الطريق، سيارة دهمي.
المجهول: تحديث؟

فهد: وصل دهمي

دحمي

سابقا

انحرف دحمي بسيارته خلف سيارة فهد الديدسون، وإطاراته تصدر صريرًا فوق الأرض الوعرة. لم تشبه الخيمة أيًا من ترتيباتهم المعتادة، إذ لا وجود لمخيمات قريبة، ولا لأي علامة مألوفة توحى بأن هناك رحلة خُطِّطَ لها. مجرد رمال خاوية تمتد في كل اتجاه.

بدا الأمر برمته... غريبًا.

فهد ليس من النوع الذي يرتب شيئًا كهذا. رحلة كاملة؟ مدفوعة ومجهزة من قبله؟ منذ متى؟ هذا لا يشبهه إطلاقًا.

ربما احتاج إلى استراحة فقط. ربما هذه طريقته في محاولة نسيان ما حدث مع وليد؛ تلك اللحظة في الصف عندما أمسك به وليد وأذله أمام الجميع. ودَّ دحمي أن يفعل شيئًا لوليد بعدها؛ ما يزال يتذكر كيف خيَّم الصمت على الصف كله، يراقبون وليد وهو يدفع فهد كما لو لم يكن شيئًا. ابن عمه، لحمه ودمه، ووليد خرج من الأمر هكذا ببساطة؟

كان دحمي مستعدًا للتصرف، لكن فهد طلب منه أن يترك الأمر وشأنه؛ وها هما الآن، في منتصف اللامكان، في مخيم يُفترض أن فهد هو من أعدّه. أوقف دحمي سيارته خلف الخيمة، ونزل منها، ربما كان فهد على حق. ربما تكون ليلة هادئة، الشباب فقط بعيدًا عن كل شيء، ولكن تبدد الشعور حين رأى وجه فهد.

كان العرق يلمع على جبينه رغم البرودة، وكثفاه مشدودتان، وعينه تنحركان بسرعة مفرطة لمن يُفترض أنه هنا للاسترخاء.

قطب دهمي حاجيه وقال: «هل أنت بخير؟»

رمش فهد بعينه، ثم أوماً بكتفيه بجمود وقال: «نعم، ولكنني كنت أجهز كل شيء»

لم يكن الأمر على ما يرام. نظر دهمي إلى الخيمة، والسجادة بداخلها، ويراد الماء البرتقالي في الزاوية. «إذن، أنت من دفعت ثمن هذا كله؟ وجهزته بنفسك؟»

«نعم»

رفع دهمي حاجبه وسأل: «لماذا؟»

تردد فهد أكثر من اللازم، ثم اصطنع ابتسامة سريعة جداً، ومتفنة أكثر مما ينبغي، وقال: «شعرت أننا بحاجة إلى استراحة»

لم يصدق دهمي.

«من سيأتي أيضاً؟»

«عيد ومازن في الطريق»

انقبضت معدة دهمي. مازن؟ ما كان فهد ليدعو مازن حتى لو دعا الفصل بأكمله؛ وما كان مازن ليوافق على المجيء، حتى لو دفع له فهد.

ومع ذلك، ها هو فهد، يقولها بهذه السهولة. كما لو أنه تدرب عليها. إنه يكذب. أيا يكن هذا، فهو ليس ما أخبره به فهد.

مازن سابقا

راقب مازن المدينة وهي تنكمش في المرأة؛ كما ازدادت السماء عتمة.
غاصت أصابعه في حزام الأمان، وفكُّه مشدود. المجهول - أو وليد بالأحرى
- يجزُّهم بعيداً عن الجميع.

كان عيد يمسك المقود، صامتاً، ملاحه لا تُقرأ، ولكن مازن شعر بذلك
التوتر الكثيف والثقيل بينهما.
زفر بحدة، وهزَّ رأسه.
«كيف تجرأ...»

قبض عيد على المقود بقوة أكبر وقال: «ماذا؟»
«كيف تجرأ أن تستخدم ذلك الفيديو. كيف تجرأ، أن يأخذ ما فعله أولئك
الأوغاد بك ويحوِّله إلى لعبة مريضة»

ارتجف صوته من شدة الغضب الذي بالكاد كان يسيطر عليه.
سكت عيد طويلاً، ثم قال، كأنه يخاطب نفسه: «لا أدري ماذا فعلت له
لأستحق هذا»

تقلَّب شيء في جوف مازن، وقال بازدراء: «إنه مريض. لا أحد يفعل ما
فعله إلا إذا كان في عقله خلل»

تسلَّل إليه طيف ذكرى قديمة، لم يتفكَّر فيها منذ وقت طويل. تذكَّر
أنه سمع والدته تتحدث عن جمال، عن زميل له كاد يضربه حتى الموت.
يتذكَّر مازن ذلك اليوم جيداً. الشعور بالرضا الذي اجتاحه حين علم أن ابن

عنه المتطرس تلقى أخيراً صفة يستحقها، طريحاً على سرير المستشفى. في داخله، شكر ذاك المعتدي المجهول الذي أنزله إلى الأرض.

ثم، وكأنها عقوبة من الله، جاء وليد إلى مدرسته هو، بل وفعل به الأسوأ، وكذلك بصديقه.

لحظة... تصلب جسد مازن. أخذت أفكاره تجري بسرعة، وقد زحف إدراك مقرف على عموده الفقري كأنه ماء جليدي.
لحظة... لحظة...

استدار برأسه بسرعة نحو عيد وقال بنبرة حملت استعجالاً، ونبضه يتسارع: «متى بدأ الابتزاز؟»

لم يلتفت عيد إليه إلا لمحة: «قلت لك، ليس وليد»
كان فكُّه مشدوداً، وضغط بقدمه على دواسرة الوقود، يزيد السرعة كأن يعرف تماماً من هو المجهول، ومستعد لما سيأتي.

عيد سابقا

اشتدت قبضتنا عيد على المقود كلما اقتربا من نهاية الموقع الذي أرسله المجهول. امتد الطريق في عتمة متصلة، والصحراء تبتلعها من الجانبين. لا يمكن أن يكون وليدًا. لقد عرف ذلك. لم يكن وليد حتى في مدرستهم بعد عندما بدأ أمر الصور المطبوعة على ورق، تُدس في درجه كأنها سر لا يُراد له إلا أن يفتك به. لعبة المجهول. لعبة لا غاية منها سوى العبث به. «لماذا؟» كادت تلك الكلمة أن تفقده صوابه من قبل. السؤال ذاته الذي طرحه بشأن الفيديو نفسه؛ لماذا وُجد أصلًا. تلك الكلمة البسيطة دفعته ذات مرة إلى الهاوية، إلى رغبة عميقة في إطفاء عقله إلى الأبد. لذا فقد تمسك هذه المرة بـ «كيف»

كيف انتقل ذلك الفيديو من هاتف سلطان إلى المدرسة؟ إلى طالب، أو طلاب، قرروا أن مهمتهم هي تدمير حياته؟ كان يمكن لشخصين فقط في المدرسة أن تصل إليهما تلك المادة. فهد ودحي. عمهما؛ الرجل الذي باع المخدرات لسلطان، هو الصلة الوحيدة. أعلن الجي بي إس عن الوصول. الطريق أمامهم محض ظلام، والصحراء الشاسعة تمتد في كل اتجاه. أبطأ عيد من سرعته، يفتش في الفراغ. لا أحد. لا وجهة.

أشار مازن إلى الرمال قرب الطريق المعبد وقال: «انظر». كانت هناك آثار إطارات حديثة.

لحق عيد بها، وتقدم حتى ظهرت بضع سيارات إلى جانب خيمة صغيرة.
وقف شخصان أمام المدخل، تلوح ظلالهما في الضوء البامت.
دحي وفهد. محدّقان إلبها.

كان عيد يتوقع ذلك. كان يعلم. إنها هما. ما لم يتوقعه هو الغضب؛
الحرارة المشتعلة خلف عنبه، الطريقة التي تلاشى بها محيط رؤيته. لم يرَ
سوى الاحمرار.

فلمد سابقا

وقف فهد خارج الخيمة، وعيناه مثبتتان على عيد. اشتعل شيء ما خلف نظراته، شيء لم يره فيه من قبل.

لا بد أن المجهول ابتزّه أيضًا بالامتحانات، كما فعل معه. لا تفسير آخر. نظر فهد إلى دهمي وقال: «هل أنت...» تردّد، وتقطّب وجهه، ثم قال: «هل بعث له شيئًا...»

قاطعه دهمي: «لا»، وهزّ رأسه.

اقترب عيد، واقترب مازن معه، فأثارت خطواتها الرمال المتفككة عند كل خطوة.

سأل دهمي: «ما الأمر؟»

دقّ قلب فهد بعنف. بدا الهواء كثيفًا، يضغط على صدره. مدّ يده نحو عيد، في محاولة يائسة لتبديد التوتر، لسحبهم إلى داخل الخيمة... اخترقت بطنه لكمة فانقطع نفسه وترنّج، قابضًا على جسده، وعيناه متسعتان من الصدمة.

أمسك دهمي عيدًا وجذبه للخلف. تقدّم مازن، واقفًا بينهما، يحجب دهمي.

صرخ دهمي: «ما مشكلتكم؟»

«الفيديو، يا ابن ال...!»

فكر فهد في نفسه: فيديو؟

بعد دقائق، داخل الخيمة، جلس فهد في الزاوية وذراعاه تطوقان بطنه المتألم. انسكب ضوء المصباح ظلالاً مرتجفة على قماش الخيمة، تتمدد وتتلوى مع ضغط الريح من الخارج.

لم يُذكر الاختبار. ولا مرة. لا علاقة لأي من هذا بالاختبارات المبروقة. قال دهمي بلهجة متوترة: «قلت لك إننا لم نرسل لك شيئاً. لا أملك حتى حسابك على إنستجرام»

جاءت نبرة مازن حادة حين قال: «أرنا هاتفك إذن»

التفت إليه عيد، وأوماً قائلًا: «أنتما الاثنان»

مستحيل. إن رأوا الرسائل المباشرة، سيطلعون على كل شيء. رسائل المجهول، والسبب الحقيقي لوجودهم هنا. ماذا قال لهم المجهول؟ لن يوافق دهمي هو الآخر. لن يرضى بالإذلال.

«حسنًا، بسرعة»

رفع فهد رأسه فجأة، وقد سلّم دهمي هاتفه لعيد.

«أعطهم هاتفك يا فهد»

ارتجفت أصابع فهد فوق هاتفه. لا يستطيع تسليمه. إن رأوا الرسائل، لن يُنقذ هذا المقلب، وسيحطم عيد كل شيء بغضبه هذا.

لا بد من مخرج. الخيار الأكثر أمانًا أن يجعلهم يشربون العصائر، ويتنظر حتى يناموا، ويأخذ الصور التي طلبها المجهول، ولكن ليست هناك طريقة طبيعية لاقتراح ذلك؛ إلا إذا...

راودته فكرة. رفع رأسه وقال: «الشخص الذي ظنتم أنه نحن... اسم حسابه (المجهول)، أليس كذلك؟»

لمحت عين مازن عيد بنظرة يصعب تفسيرها. ثم أوماً بيضاء.

أجبر فهد صوته على الثبات وقال: «إنه قادم. طلب مني أن أدعوكم جميعًا. سيلتقينا هنا قريبًا»

حين تنتهي هذه الليلة، سيخبرهم بأنها كانت مقلباً سخيفاً فحسب،
وسيشرح لهم لماذا اضطر لفعل ذلك. سيتفهمونه. لا بد أن يفهموا.
لمع الارتباك في وجوههم، ولم ينطق أحد بكلمة.
تحرك فهد نحو البراد، ورفع الغطاء فغاصت يده بين القوارير الباردة،
تتحسس البلاستيك، ثم التقط عصير البرتقال وقال: «علينا فقط أن نجلس
وننتظر...»

فتح، وأخذ منه رشفة مزيفة وقال: «ألا تشعرون بالعطش؟»

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقش



@N_BHS2

وليد سابقا

انتظر وليد في موقف السيارات ناظرًا إلى يساره، إلى الحديقة، بكل ما تحمل من ذكريات عن سعد. بدا الأمر حديثًا، كما لو أنه حدث بالأمس: يتسللها مع سعد أثناء نوم والداه، يلعبان في الظلام لساعات حتى يتعبا، ثم يتجهان إلى المبنى المهجور، إلى الطابق الثالث حيث يطلان على العالم. قال سعد ذات مرة: «ربما سأصبح مدرّسًا... لست متأكدًا»

ابتسم وليد بسخرية وقال: «أتريد أن تصبح مدرّسًا؟ هل رأيت الأستاذ علي اليوم؟ هل رأيت انكساره وهو يحاول إسكاتنا؟»

«لن أكون مثله؛ سأكون أكثر... لا أدري، سأحاول أن أكون أكثر صلابة»

قال وليد مازحًا: «وماذا لو جاءك طالب مثل جمال؟»

«سأرسبه من دون سبب»

ضحك سعد، ثم واصل: «وسأحصل على إحدى تلك العصي التي يملكها الأستاذ عمر، وأضربه حتى يتوسل لي أن أتوقف عن ضربه»، ثم ضحك مستمتعًا بالفكرة.

للحظة، بعث الذكرى دفقًا في صدر وليد، ولكنه أدرك الفخ. هكذا يحدث دائمًا؛ كلما وجد سببًا وجيهاً ليتعد عن سعد، يشده شيء كهذا مجددًا، ولكن ليس بعد الآن.

أخرج هاتفه ونظر إلى الشاشة.

آخر رسالة من وليد: «أنا في الخارج»، وردّ سعد بكلمة مختزلة: «حسنًا».

وها هو، يخرج من العتمة، يسير ببطء نحو وليد. خطوة ضعيفة تجرُّ
أختها، حتى أضاءت أنوار السيارة وجهه.

إنه هو. الشخص الذي كان وليد يصفه بصديقه الوحيد. الجبان الذي
لم يدافع عنه؛ الذي يدين له، ومع ذلك أدار ظهره. مثل رامي. مثل الجميع.
بدا أصغر حجماً الآن. أكله الحزني من الداخل. وصل إلى نافذة الراكب،
والذنب محفور في ملامحه، ويعجز عن النظر في عيني وليد. هذا جيد، ولكن
ذلك لا يكفي للتكفير عما فعله، وما سيحدث الليلة... سيكون كافياً.

«اركب»

ظلامٌ دامسٌ في الخارج. جلس فهد داخل الخيمة، وأصابعه تطوق زجاجة عصير البرتقال التي بالكاد شرب منها، ويجلس مازن وعيد قبالة يتحدثان بصوت منخفض. مضى على مازن عشرون دقيقة يحاول تهدئة عيد، لكن التوتر ظل عالقا في ملامحه.

أيّا يكن ذلك الفيديو الذي يتحدثان عنه؛ فلا بد أنه سيئ. ربما تمكّن المجهول بطريقة ما من تسجيل عيد وهو يسرق الاختبارات من الطابعة، ولكن كيف؟

وقف دحامي عند المدخل يدخن، ويده الأخرى تشدّ على زجاجة العصير الثانية. انجرفت نظرات فهد نحو الزجاجات. ما زالت زجاجة عيد تحوي بعض العصير، أما زجاجة مازن ففارغة.

ردّد في نفسه وهو يمسك بزجاجته وأصابعه مشدودة حول البلاستيك: «سيكونان بخير. سيكونان بخير. بالتأكيد سيكونان بخير»

استدار دحامي نحوه وعيناه مقلتان، ثم قال: «هل أحضرت الإنسولين معك؟»

تصلّب فهد، إذ تحرّكت عينا دحامي نحو العصير في يده.

«لا؛ نسيت في البيت، ولكن لا بأس. لا أشعر بعطش كبير»

تمايل دحامي قليلاً قبل أن يجثو بجانبه؛ أما مازن وعيد ففي الطرف الآخر من الخيمة، ينظران إليها.

تمتم دحى بصوت متهدج: «اسمع... كان المفروض... كان المفروض
تقول لي من البداية، لا أفهم لماذا...»

انقطع صوته، وراح يرمش ببطء. عُقِدَ شيء في بطن فهد.
«هل تشعر بشيء؟»

انكأ دحى إلى الخلف، وحدق في سقف الخيمة: «مرهق فقط»
ارتفع صوت مازن وهو يلتفت نحو عيد، يده تقبض على كتفه: «هيه!
ما الأمر؟»

تمدد عيد وأغمض عينيه.

استدار مازن نحو فهد، وازدادت نظراته حدة، ولكن فيها شيئاً مختلفاً.
ترددت عيناه بين زجاجة الفارغة وزجاجة فهد؛ أصبحت أنفاسه أبطأ،
وثقلت جفونه.

ترنح وهو ينهض، وجسده يشتد بما تبقى فيه من غضب. خطا خطوات
متعثرة باتجاه فهد... ثم سقط.

إنها مزحة. مجرد مزحة صغيرة، ولكن قلب فهد قصف صدره كأنه
سينفجر. نهض دفعة واحدة، يبحث عن هاتفه، ويحاول فتح تطبيق الكاميرا،
ولكن لم تتوقف يده عن الارتجاف.

انزلق منه الجهاز، وارتطم بالأرض، وسقط قرب دحى.

وليد سابقا

تحركت السيارة عبر شوارع المدينة، وامتدَّ الصمت بينهما، باتساع الأشهر التسعة التي انقضت. برز هدير المحرّك، وتلاشى وهج المصابيح خلفهما مع ابتعاد المدينة.

قضبت يدا وليد على المقود، واشتدَّت أصابعه أكثر كلما اقترب من المخيم. سأل سعد بصوت خافت كبيرة دقيقة تغرز صدر وليد: «إلى أين نحن ذاهبان؟»

للحظة، كاد أن يقع في الفخ؛ كاد أن يضعف، ولكنه تذكَّر؛ تذكَّر العزلة، والهجمات، والإذلال، والوقت الذي قضاه في السجن. شفتاه مغلقتان، همى صديقًا لم يستحق الحماية؛ إذ سُرِّقَت حياته التي كان يمكن أن تكون له. كل ما سيحدث الليلة، ما سيحدث للآخرين، تعود جذوره الأولى إلى سعد. سيحصد سعد ما زرع، وكذلك البقية.

قال وليد بصوت مشدود: «الرؤية بعض الأصدقاء»

استدار سعد نحوه، وحاجباه معقودان. شعر بالصدمة، وربما بالخيانة، وسأل: «هل كَوْنَتَ صداقات؟»

كاد وليد أن يضحك من الإهانة المبطَّنة في السؤال، وأجاب: «نعم. إنهم أناس رائعون من المدرسة. لا أطيق صبرًا حتى أعرفك بهم»
تلا ذلك صمت آخر، ولكنه كان أكثر ثقلًا في هذه المرة. رمق وليد لوحة القيادة؛ خرائط جوجل. كانوا قريبين من وصول وجهتهم.

ثم همس سعد بشيء؛ بالكاد يُسمع: «أنا آسف»
توقفت قبضة وليد عن الشد، ونظر إليه للمرة الأولى طوال الطريق.
كان سعد يحدّق في حضنه، ويداه ترتجفان. كان هذا يكفي. كأنّ اعتذارًا
واحدًا قادر على إصلاح كل شيء.
ضحك وليد ضحكة خافتة مريرة.

«يا لك من جبان»

ارتجف جسد سعد.

همس وليد بصوت مرتعش: «تركتني! تركتني أتحمّل الذنب وحدي.
والآن تقول آسف؟»

لم يجب. استدار سعد مبتعدًا.

«انظر إليّ!»

انتفض سعد. عيناه متسعتان، والخزي يغشى ملامحه.
تقلّب صدر وليد، وتشوشت رؤيته، وهدر الغضب تحت جلده كهزيم
صامت، ثم قال بصوت متحطم: «لماذا تركتني؟ لماذا تخلّيت عني؟»
لم يجب، وابتلع الظلام الطريق.

رمش وليد بقوة، وقد عادت يدها تقبضان على المقود.

«هل اعتقدت أنني أستحق ذلك كله؟ هل هذا ما اعتقدته؟»

ومض وجه رامي في ذهنه، ثم أبناء عمومته، واللهب، والصرخات،
وأجسادهم المتفحّمة. تقلّب شيء في معدته؛ تمنّى لو أنه لم يعرف سعد قط،
وأنه لم يسرق من ذلك المتجر، ولم يسمح لهذا الجبان بالدخول إلى حياته؛ ومع
ذلك، نظر مرة أخرى إلى سعد. ما زال مستديرًا. ما زال صامتًا. ما زال...
سعد.

ثم تحركت يد سعد، وتسلّلت إلى جيبه. توتر جسد وليد ونأهّب.

سحب سعد شيئاً. كان بخاخ الربو، اخترق الشهيق الحادّ صدر وليد.
عادا طفلين من جديد؛ جالسَيْن على الأريكة في غرفة سعد بشاهدان رسوماً
متحرّكة نَظَاهِر وليد بأنه يستمتع بها.

سأله وليد حينها: «هل عدت لاستخدامه؟»

«نعم أصرت أُمِّي بعد ما حصل»

اختنق سعد في تلك الليلة في المبنى المهجور. بدا صغيراً، خائفاً في اليوم
التالي؛ تماماً كما يراه والداه: شيئاً ضعيفاً يحتاج إلى حماية.

تذكر وليد كم أراد أن يحميه، وأن يكون ما لم يكنه رامي؛ تذكر كم كان
يعني له سعد، أكثر مما عني لنفسه؛ ثم تكسر الدفء.

اصطدم باللحظة الراهنة، وقال في نفسه: لن أسقط في هذا الفخ مرة
أخرى. جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص

انطلقت يد وليد فجأة، وخطف البخاخ بسرعة جعلت مفاصله تخدش
معصم سعد. اشتدت قبضته حتى آلمته أصابعه. لم يكن يفكر. أمّا يده الأخرى
التي تقود، فأفلتت عجلة القيادة.

وليد سابقا

تحطّم كل شيء في ثوانٍ. انحرفت السيارة القديمة عن الطريق الصحراوي الخالي، وانقلبت المقود من يد وليد حين كان يتترع بخاخ الربو من يد سعد. خدش الحصى الإطارات، فدارت السيارة بعنف، ثم انقلبت مرة، ثم أخرى، وثالثة، ودوى صراخ المعدن، وانفجار الزجاج، ثم تلا ذلك صمت. انقلبت السيارة المحطمة على ظهرها، وأحد الأبواب مغروس في الأرض. تصاعد دخان من غطاء المحرك. وانتشرت رائحة البترين في مكانٍ ما قريب. لم يكن من السيارة، بل من العلبة التي أحضرها وليد. كان وليد محاصرًا في الداخل. ارتطم جسده إلى الأمام أثناء الانقلاب بشدة، وانكمش فوق لوحة القيادة المقلوبة، وصدره مضغوط، ورماته تكافحان لابتلاع الهواء.

تقاطر الدم على السقف المتشقق الذي أضحي والأرض تحته. أضاء وجهه توهج ضوء المكابح الأحمر الخفيف الذي ما زال ينبض في الظلام؛ حاول الحركة، فلم يستطع سوى بشفتيه. بالكاد أدار رأسه ليرى سعد الذي ما يزال مثبتًا في مقعده، يتدلّى مقلوبًا، ساكنًا، ولكنه يتنفس.

تشوشت الرؤية، وفي أذنيه طنين. جاءه الألم من كل الجهات، ولكنه لم يكن الأسوأ، فالأسوأ من ذلك كانت الذكرى التي انقضت عليه؛ رامي.

وجه أخيه الأكبر. ليس في المرة الأخيرة التي رآه فيها، بل قبل ذلك، في مباراة كرة قدم مع أولاد الحي، حيث ابتسم رامي له بفخر بعد أن سجّل وليد هدفًا.

صرخ رامى: «هذا أخى»، واحمرَّ وجه وليد، وامتلا قلبه فرحًا، وقد أدرك
كم يُسعدُه أن يُرضي أخاه.
ماذا فعلت...

رمش وليد، ولثانية، رأى رامى جاثما إلى جواره في السيارة. لسعت رائحة
البترين أنفه.

لا. لا، أرجوك، ليس مرة أخرى! اخرج. أرجوك، اخرج.
تقطع نفسه وتمتم شاهقًا: «... اخرج»
عاد الألم فجأة، وجذبه للواقع. أدار رأسه نحو سعد، وانتزع صوتًا من
صدره: «سعد»

لا شيء.

همس: «اصح»، ونكسرت الكلمات بين شفثيه.
تحرك سعد، وتأوّه. ارتعشت أصابعه وارتبك وجهه، وفتح عينيه ببطء.
سعل سعلة دافئة ملطخة بالدم: «اخر... اخرج. الآن»
رمش سعد بسرعة، ثم اجتاحه الذعر حين أدرك أنه معلق رأسًا على
عقب. تحرك مرتبكًا، وقد شدَّ حزام الأمان بإحكام، وعلقه في الهواء.
اتسعت عيناه خوفًا، وقال: «وليد...»

تلمس الحزام بأصابع مرتجفة حتى سمع نقرة المزلاج، ثم سقط بعنف
على السقف الذي أصبح الأرضية وهو يلهث.

ركل باب الراكب فلم يتحرك. ركله مرة أخرى، ثم أخرى، فتحرك
الباب قليلًا، ولكن ميلان السيارة أغلقه مجددًا؛ ثم، بركلة أقوى، اندفع
الباب وفتّح. زحف سعد خارجًا.

بالكاد أبقى وليد عينيه مفتوحتين، وقال: «ساحبنى...»

بدا رأسه أخف، وبدأ الألم يبهت ببطء.

«وليد ... سأُخرجك»

بدا صوته بعيدًا. ابتسم وليد، مدركًا أن هذه هي نهايته. حياة من العذاب والعقاب الطويل القاسي على قتل رامي ... أخيرًا... أخيرًا... انتهت.

فهد سابقاً

هل هم... هل ماتوا؟

دارت الدنيا من حوله. ملأ أزيز حاد أذنيه. لا... لا، إنهم نائمون فقط. ترنّح إلى الأمام، ووضع هاتفه في جيبه، وانحنى فوق دحى. ما زال يتنفس، والباقون كذلك أيضاً. أجسادهم مسترخية، لا تتحرك، ولكنها ليست بلا حياة. إنهم نائمون فقط. لا بد أنهم كذلك.

سيستيقظون، وسيكونون بخير، ولكن الخوف تسرّب إليه. سيفهمون ما حدث، سيعرفون أنه هو من فعل هذا. لا يمكن الوثوق بدحى ليمنع عيد ومازن من الهجوم عليه.

كان عليه أن يرحل الآن ويختفي حتى تنتهي عطلة الربيع فقط؛ ليهدأ كل شيء، ثم يشرح لهم كل شيء، ويقول إنه لم يملك خياراً، وقد أجبر، وسيربهم الرسائل ويفهمهم. سيصدقونه؛ لا بد من ذلك.

التقط هاتفه مجدداً والتقط صورة للمشهد؛ جميعهم فاقدو الوعي داخل الخيمة، لم يكن متأكداً حتى من سبب طلب المجهول ذلك الجزء.

ما الذي يجنيه من هذا؟ ما المتعة فيه؟

ركض فهد خارج الخيمة إلى العتمة، رافعاً هاتفه عالياً يبحث عن إشارة؛ لا شيء. عليه أن يذهب إلى الطريق.

وعندما وصل إلى سيارته وفتح الباب، شق الليل صوتاً صاخباً: صرير عنيف لإطارات على الإسفلت، ثم ارتطام، وتوقف.

ما هذا؟ ضرب الخوف صدره.

قفز إلى مقعد السائق، وأدار المحرك، وانطلق حول التل، وحينها رأى
سيارة مقلوبة إلى جانب الطريق؛ وقد انعكست أنوار المصابيح على الرمل.
عَصَفَ عقله. إنه حادث، والحادث يعني شرطة؛ والشرطة تعني
صافرات، وأسئلة... قد يفتشون الخيمة.

لا، لا، لا. صرخت كلمات المجهول في ذهنه: «التقط الصور. أرسلها.

غادر فوراً»

أطال البقاء.

«إن لم تفعل، سأفصح كل شيء»

ثم شعر بحركة. لوّح شخص من الذين وقعوا في الحادث يطلب النجدة،
فأطفا فهد أنوار سيارته.

غادر الآن. ارحل.

ضغط على دواسة الوقود، متجهاً نحو الطريق، ولكن الشخص واصل
التلويح، واقترب أكثر، وقف مباشرة في طريقه.

لا. لا يمكن أن يراني. ليس هنا. ليس الآن. لم يُعطى، لا يمكن أن يُعطى.

لم يتحرك الشخص، ثم سمع صوت ارتطام.

اصطدم شيء بجانب السيارة، ولكنه لم يلتفت ولم يتوقف.

الجزء الرابع الآن

حمل الصباح الباكر سكوناً مريباً مشوباً بالتوتر، كصرخة مكبوتة.
ما أعرفه عنه لم يستقر بعد في أعماقي. لا خطته اللعينة التي يريدنا أن
نتفدها، ولا حقيقة أنه كان إيهاب طوال هذا الوقت.

مازن: أين أنت؟ نحن بانتظارك!
حدّقتُ في الرسالة، وإيهامي معلق أسفل اسم إيهاب. لم يتصل بالإنترنت
بعد.

وللمرة المئة، كدت أكتبها: «أنا أعرف من أنت» ولكنني لم أفعل.
إخباره الآن سيكون تنبيهاً وتحذيراً مبكراً، وسيختفي مجدداً؛ كما فعل من
قبل.

لا، لن أسمع لذلك بالحدث.
حتى مازن أو عيد، لا يمكن أن يعرفا؛ ليس بعد. إنها قريبان من الحدث
أكثر من اللازم ومتزعزعان.

إن زلَّ أحدهما، إن شم إيهاب رائحة الشك واحدة، فستداعى كل شيء.
هو لا يعرف أنني أعرف؛ وتلك هي رصاصتي الوحيدة.
نزلتُ إلى الطابق السفلي لأجد أمي واقفة عند الطاولة، وقد وضعت
إبريق القهوة وكشفت الغطاء عن الفطور. ابتسامتها رقيقة، ولكنها مرهقة؛
ذلك النوع من الإرهاق الذي كنت سببه.

كل تلك السنوات من القلق والصمت، المشاجرات، والنظرات المتبادلة بينها وبين أبي حين ظننا أنني لا ألاحظ. استحقاقاً أفضل مما كنت، وأفضل من الشخص الذي أصبحت عليه.

قبلتُ جبهتها فانتفضت قليلاً، وتفاجأت، ثم ذابت في العناق كأنها كانت تنتظره.

همست: «شكراً يا أمي»

ردت بضحكة ناعمة: «على ماذا؟»

قلتُ متناولاً كوباً مخففاً ما به من ماء لأشربه بسرعة: «على... الفطور»

قالت بقلق: «هل ستخرج الآن؟ فالوقت مبكر جداً»

«نعم. لدينا شيء مبكر اليوم»

أمسكت شطيرة وخرجتُ قبل أن تسأل المزيد. قبل أن أضطر للكذب

مجدداً.

الهواء في الخارج بارد؛ نقيّ بطريقة لاذعة، ملأ رتتي كأنني بحاجة إليه لأبقى متماسكاً. فتحت باب السيارة الخلفي ومددت يدي إلى الصندوق، وفي داخله علب مغلقة بإحكام. ما تزال الرغبة واضحة منذ أن هزتها بالأمس. تبدو مطابقة تماماً لتلك التي أرسلها المجهول.

فليظن أن كل شيء يسير كما خطط؛ فليظن أنه ما يزال المتحكم بالخيوط. فليراقب، كما يفعل دائماً.

مازن الآن

كان مبنى المدرسة مريباً في الظلام. لم تشرق الشمس بعد، هناك كدمة
زرقاء باهتة فقط تنتشر عبر السماء.

يمشي مازن جيئةً وذهاباً أمام سيارة عيد المركونة، وذراعه معقودتان
بقوة، وساحة الانتظار خالية وصامتة؛ أما عيد فيجلس في الداخل، ورأسه
منكس، كأنه ينمى شيئاً مسبقاً.

علقت في الهواء رائحة شؤم مرّة تشبه المعدن. توقف مازن، والتفت نحو
المبنى، ثم عاد بنظره إلى عيد. سيتركنا بعد أن ننتهي من هذا.

فكر بذلك وتمنّاه، ودعا أن يكون هذا هو الشيء الوحيد والأخير الذي
سيُجبرون على فعله كي يرضى عنهم المجهول ويتركهم وشأنهم. تفقد هاتفه
من جديد.

سعد: في الطريق

لم يصل بعد

ربما... ربما ليس شيئاً؛ ربما هو شيء يشبه ما فعله فهد، ذلك الشيء الذي
وضعه في مشروباتهم في عطلة الربيع الماضية؛ حبة جعلتهم يغيبون عن
الوعي تماماً. لا أكثر.

نظر إلى عيد من خلال الزجاج، فكان صاحباً ساكناً؛ ولا يمكنه تخيل أن
يرى أي شخص ذلك الفيديو الذي يملكه المجهول.

صرّ مازن على أسنانه.

سبق أن مرَّ عيد بالبحيم. لا يمكن أن يسمح له أن يُمزَّق مرة أخرى.
لكن... ما الذي يريد المجهول أصلاً؟ إنه يجبرهم على تهريب تلك المادة
السائلة إلى كل علبة عصير في المقصف؛ أي نوع من المرضى يخطر له هذا؟
حاول قتل إيهاب، وقتل فهد فعلاً. هل خطة اليوم هي الشيء نفسه؟ لا،
لا.

لم ينو مازن إيقاف الخطة، إذ كان يعلم أن ذلك سيجرُّ عليهم عواقب
أسوأ، ولكن ربما... ربما ما زال في يده شيء بسيط يفعله؛ تفصيلاً يحرفها.
فكرة لم يخبر أحداً بها بعد.

. أين اللعين سعد؟

مازن: أسرع!

وأخيراً شاهد أنواراً أمامية لسيارة. توقف سعد وترجّل يحمل كيساً في

يده.

تمتم مازن بصوت خافت: «أخيراً»، ولكن جسده توتر، وقاوم كل جزء
فيه؛ أطرافه، وتنفسه، وقلبه، وكأنَّ جميع خلاياه تصرخ: لا. لا تفعل هذا.

دفن الصرخة وابتلعها؛ أخذ الكيس من يد سعد، فتلاقت أعينها ثانية
واحدة، ثانية فقط، ولكن شيئاً ما مرَّ بينهما؛ كان شيئاً ثقیلاً غير منطوق، ثم
استدار مازن نحو بوابة المدرسة.

طرا شيء على عيد منذ لقائه بسلطان أمس. لم يستعد شعوره بقيمته تمامًا، ذلك الذي سرقه سلطان منه، ولكن شيئًا ما بدأ يتفتح بداخله.

ربما هي الطريقة التي بدأت بها صورة سلطان الشاهقة والوحشية والمخيفة في عقل عيد، تتقلص وتتضاءل. خصوصًا حين أمسك عيد بالسكين. لم يكن سلطان وحشًا مرعبًا. لقد كان وحشًا مشيرًا للشفقة.

جعل ذلك عيدًا يتساءل عن هوية من يقف خلف قناع المجهول. من هو ذلك الشخص الذي استمدَّ كل هذا المتعة من العذاب الذي سببه؛ كل صورة طُبِعَتْ من ذلك الفيديو وسُرِّبَتْ إلى درج عيد دون سابق إنذار، أسبوعًا تلو آخر، حتى اليوم.

تبع عيد مازنًا وسعدًا عبر بوابة المدرسة، مرُّوا بجوار غرفة الحارس؛ بدا الرجل في الداخل نائمًا، ورأسه متدُّلُّ للأمام. كان غائبًا عن الوعي تمامًا.

لم تشرق الشمس بعد، ولكن السماء فوق رؤوسهم اكتسبت زرقَةً خافتةً ناعمة حين وصلوا إلى المبنى الصغير.

فتح مازن الباب بالمفتاح، وحدَّق عيد بالمفاتيح في يده وسأل: «قلت إن أحدهم سمَّم إنسولين فهذا؟» فالتفت إليه مازن وسعد معًا.

قال مازن بحدَّة: «لا وقتَ لدينا لهذا الآن»، ودفع الباب بقوة، مندفعًا نحو المقصف.

تبعه سعد بصمت، وألقى نظرة خاطفة على عيد فوق كتفه.

أبطأ عيد الخطى لحظة، وقد حدّق بغرفة التربية البدنية المقابلة للمقصف.
الطلبة المكلفون بإذاعة الصباح يستخدمونها، أحدهم على الأقل؛ وناصر
كذلك، قبل طرده من الفريق.

لو كان ناصر هو من دسّ تلك الصفحات المطبوعة على ورق 4A في درج
عيد... فذلك سيكون سهلاً عليه، إذ إنّ مقعده خلفه.

ولكن لماذا؟ عيد لم يفعل له شيئاً قط.

«هيه!»

قطعه صوت مازن عن أفكاره، ثم قال: «أسرع!»

ركض عيد إلى داخل المقصف. سبقه مازن، ووضع علبتين من عصير
البرتقال وعلبتَي كوكتيل على الطاولة.

أشار إلى سعد ليعطيه علبة السم، ثم وضعها إلى جانب المحاقن.

قال مازن: «النبأ»

مرّت دقائق قليلة. أعاد مازن شرح التعليمات، كيف يُسحب العصير إلى
المحقن، وكيف تُحقن المادة السائلة العكرة، فتجمّد عيد في مكانه.

عجز عن فعلها؛ حتى لو لم تكن هذه المادة ذات الرائحة المشابهة لمعجون
الأسنان سُمّاً، حتى لو كانت مجرد حبوب منومة مطحونة... مجرد فكرة إيذاء
أحدهم، انتهاك جسده، وخيانتَه، كفيّلة بأن تُجمّد يده.

يعرف كيف يشعر المرء حين يُتّهك؛ الفيديو والإذلال، لم تكن تلك الليلة
لتحدث لولا سلطان وأصدقائه المرضى الذين خدعوه.

قال عيد بصوت مرتجف: «لا يمكننا فعل ذلك»

رمش مازن بقوة، وامتقع لونه، أما سعد فبقي ساكناً يراقب بصمت.

تابع عيد: «هذا جنون! إننا لا نعرف على الأقل ما الذي في السائل»

ردّ مازن بحدّة: «أنظنّ أنه سيرسل ذلك الفيديو ويتوقّف؟» ثم بصوت
أهدأ، منكسر: «أتمنّى لو أنّك رأيت ملفك»

«ماذا تقصد؟»

«إنه يخطط لإرسال ذلك الفيديو إلى كل من تعرفه؛ حتى عائلتك. إنه يملك أسماءهم وعناوينهم»

تصلب عيد، وتفكك الأمل الهش الذي داخله.

خف صوت مازن لدرجة الهمس تقريباً وقال: «عيد... أتمنى لو لم نكن مضطرين إلى فعل هذا أيضاً، ولكن لا خيار آخر أمامنا»



@N_8H52

خرجت من المقصف وقلبي يدق بعنف حتى خُيِّلَ إليَّ أن صوته يرنُّ في أذني، وسرت بخطى سريعة خارج المبنى الصغير. أضاءت السماء، والشمس على وشك الشروق.

شعرت كأنني أحبس أنفاسي مع كل خطوة، وكان شيئًا خفيًا يراقبني. كل ما فكرت به: ما إن أدخل مبنى المدرسة الرئيسي، سأجده. إيهاب، أو... المجهول. أيا يكن في الحقيقة. ربما يتخفى في مكان ما، وربما سأضبطه متلبسًا بالمراقبة، لكن الفكرة التي أزعجتني أكثر من أي شيء آخر: ماذا لو لم أجده؟

ماذا لو أخطأت التقدير تمامًا؟ ماذا لو أن كل هذا لا يعدو كونه وهماً؟ دور أوديه في تحقيق وهمي داخل لعبة أكبر مني بكثير؟ دخلت المبنى، وابتلعني الممر الطويل. ساد صمتٌ تام. تسلمت ومضة ضوء باهت إلى الرواق أمام عيني. من في غرفة المدير؟

هل حضر أحد الموظفين مبكرًا؟ أم أن أحدهم نسي إطفاء أنوار المكتبة؟ لم أتوقف على أية حال. واصلت السير؛ صعدت الطابق الأول ثم الثاني. صعدت بسرعة أكبر، وعينا ي يقظتان، وأنفاسي قصيرة. ثم... شخص مألوف الزاوية. كدت أرتطم به. تجمدت. لم يكن إيهاب، ولم يكن طالبًا حتى، بل الأستاذ يحيى.

بدا وكأنه خارج من كابوس؛ فشعره أشعث، وملابسه مجمدة، كأنه لم يذق النوم، وقد علفت به رائحة خفيفة حامضة من العرق.

كان يحمل واحدًا من أجهزة العرض (بروجيكتور) القديمة المغبرة التي رأيتها في غرفة الرياضيات.

تلاقت أعيننا لحظة أطول مما ينبغي؛ كان هناك شيء ليس طبيعيًا. تعبيره لم يكن مجرد مفاجأة، بل كان مشدودًا متحفّظًا؛ كأنه يدرسني ويظن أنني أخفي شيئًا؛ والشعور كان متبادلًا.

لماذا هو هنا في هذا الوقت المبكر؟ لماذا يحمل هذا الجهاز؟ ولماذا بدا كأنه يتمنى لو انشقت الأرض وابتلعته لحظة رآني؟

انقبضت معدتي. المجهول. لا بد أن له يدًا في هذا. لا أعرف كيف يمكن ذلك بعد، ولكنني شعرت بذلك كأن حرارته تشتعل على ظهري.

لم ينبس أيُّ منا بكلمة، حيث مرَّ بجانبني وكأني غير موجود؛ لم ألتفت. بدلًا من ذلك، أخرجت هاتفي، وفتحت المحادثة مع إيهاب. توقَّف إيهامي فوق صندوق الرسائل.

«أنا أعرف من أنت؛ لكنني لم أكتبها؛ عجزت، ليس بعد.

تابعت سيرتي، حتى وصلت إلى سياج الطابق الثالث. نظرت إلى الأسفل، ثلاثة طوابق تحت قدمي، إلى الباحة الوسطى المفتوحة في الدور الأرضي.

هناك حاسوب محمول فوق كرسي بلاستيكي على المنصة، وبجانبه، على الطاولة الخضراء، الأستاذ يحيى يضبط جهاز العرض.

وصله بالكهرباء، وأماله إلى الأعلى، ووجَّهه نحو جدار المسرح المؤقت. انكمش شيء بداخلي، فما سيحدث بدأ بالفعل.

يحيى الآن

كان أمس أسوأ يوم مرَّ به يحيى. يوم بدأ بتهديد بتدمير سمعته، وانتهى بتعليقات واضحة.

فرك يحيى صدغيه، ملأ طنين خافت من جهاز العرض القاعة الصامتة بينما يعاين توصيلات الكهرباء. أرققه يوم أمس. ما زال صوت المدير المندھش يرنُّ في أذنيه، يتساءل عن سبب الطلب المفاجئ لعقد ندوة توعوية. صاح يحيى عبر الهاتف، وغضبه يغلي في حين تردد المدير: «أحد طلابنا مات! الطلاب يحتاجون هذه الندوة. لن تستغرق وقتاً طويلاً؛ حصص قليلة بعد الفسحة فقط، وستنتهي»

وافق المدير على مضض.

في هذا الصباح الباكر، حمل يحيى جهاز العرض المحمول من غرفة الرياضيات إلى ساحة المدرسة الوسطى؛ فظهر المسرح المؤقت أمامه، وهو أثر من زمن سبق تعيينه هنا، بخشبه المنشقق، وأكوام سجاد الصلاة القديم المحشورة تحته. وضع جهاز العرض فوق طاولة، ووصله بجهاز الحاسوب، واختبر الاتصال.

انطلق شعاع الضوء الساطع نحو الحائط الأبيض على المنصة، يغمر الفضاء المعتم بضوء صارخ.

لفتت نظره صورة قديمة له على شاشة الحاسوب. حدَّق فيها؛ نسخة أصفر، ذات وجه مشرق، مليء بالأمل والحماسة. ظنَّ نفسه محظوظاً في تلك الأيام.

تخرج حديثاً من الجامعة، وتلقى تعيينه في مدرسة خلال أشهر، بينما انتظر غيره سنوات.

يا له من حظ.

زفر بمرارة، وهز رأسه حيث اكتسبت الذكرى مذاقاً مرّاً. يا له من حظ، أن ينتهي به المطاف هنا، في هذه المدرسة، حيث انتظره طالب مختل متكرر في هيئة فتاة.

الإذلال بدأ منذ مدة، بحساب على الإنستغرام اسمه «روان». في البداية، تجاهل الرسائل، ظناً منه أنها من رسائل السبام العشوائية.

لكن «روان» استمرت، دافئة، مازحة، تجذبه إلى حديث كان يعلم أنه لا يجب أن ينجرّ إليه، وحين انكشفت الحقيقة، جاءت كضربة قاصمة. روان لم تكن حقيقية؛ والأسوأ من ذلك أنها أحد طلابه.

قضى شهوراً في صمت العار، ممتناً لتوقف الرسائل. أقنع نفسه أن الأمر انتهى؛ حتى ذلك اليوم، حين أضاء هاتفه برسالة مرعبة: «ستطرد وليدك من الفريق، وإلا سيرى الجميع قصة حبك مع روان؛»

لم يملك خياراً؛ طرد وليد عابد من الفريق جرحه أكثر مما أراد أن يعترف به. ولكن خطر الفضيحة كان أكبر من أن يُجازف به. لم يفهم قط لماذا أراد ذلك الشخص إبعاد وليد، ولكن لم يكن بوسع الاعتراض.

حتى الآن، وسط طنين جهاز العرض الخافت، لم يتخلص من ثقل ذلك القرار. يشك بمن يقف خلفه، لكنه لم يجرؤ على مواجهته. وماذا عساه يقول؟ لن يغامر بذلك.

المجهول: جهاز كل شيء، وانتبه جيداً لهاتفك خلال الفسحة

يحيى: حسناً

المجهول: بالنسبة للأمر الآخر، هل أنت متأكد أنك رأيتهم يدخلون
المقصف؟

يحيى: نعم
المجهول: ودحي؟

غرفة المعلمين ساكنة، والأنوار مطفأة، والصوت الوحيد فيها طنين خافت من برّاد الماء، يتوهج زراه الأحمر والأزرق بضوء باهت في العتمة. ألقى نظرة سريعة من النافذة نحو الردهة، فرأى الأستاذ يحى منشغلاً بشيء ما، ثم أخرج علبة السائل من جيب ثوبه. انزلت من أصابعه المرتجفة، وسقطت أرضاً، وتدحرجت حتى اصطدمت بالأريكة الجلدية القديمة. انحنى ليلتقطها. لقد يكون هذا غير قانوني، فتسارعت أنفاسه عند هذه الفكرة. السجن ليس خياراً، ولن يصمد فيه، ولكن المجهول لم يترك له مخرجاً.

وجد ليلة البارحة طرداً أمام باب منزله مباشرة: علبة فيها سائل أبيض، وبعض الأوراق. قطّب حاجبيه وهو يلتقطها، لكن كل شيء تغير ما إن قرأ ما كُتب على تلك الأوراق: أعرف ما بعته لعيد، وأستطيع التبليغ عنك للشرطة. سحقه ثقل تلك المعرفة. لم يرغب دحمي يوماً في أن يسلك طريق عمه حمد، وكان يكره الشعور بالقلق الذي يراوده كلما تذكر العمل الكارثي الذي كان يديره عمه قبل أن يُقبض عليه. لطالما علم أن ذلك طريق مضمون نحو تدمير حياته؛ حتى فهد قال ذلك أيضاً، ولكن عيد ضغط عليه في مرات قليلة كي يبيعه، ولم يعرف كيف يرفض؛ وإن كان صادقاً مع نفسه ... فهو كان بحاجة ماسة إلى المال.

حاول فهد أن يبعده عن هذه الطريق، وأقنعه بأن يتقدم لوظيفة بدوام جزئي كصراف، فذهب دهمي متردداً، ولكنه قبل بالرفض، حيث قال الرجل باستخفاف: «آسف، لا مكان لك عندنا»

رأى الحكم في عينيه، ولم تكن تلك المرة الأولى، فدائماً ما يمنع وجهه الناس الانطباع الخطأ، ويجعلهم يرونه مجرمًا قبل أن يفعل أي شيء أصلاً؛ وما هو الآن، يثبت لهم صوابهم.

المجهول: «الأمر بسيط، ولن يتضرر أحد. ضع زجاجة الماء فقط في آلة القهوة، ثم غادر»

آلة القهوة؟

نظر حوله، فوجدها على طرف إحدى الطاولات قرب الجدار، وإلى جانبها صناديق من الشاي والسكر وأكواب ورقية. أخذ الإناء الزجاجي الفارغ؛ غير متأكد إن كان هذا ما قصده المجهول بمكان سكب محتوى العلبة. لم يسبق له استخدام واحدة من هذه الآلات... لم يعرف كيف يتدفق الماء إلى الإناء. تفحصها، حتى وجد غطاءً في أعلاها.

فكر وفكر مشدود: «لن أذهب إلى السجن مهما حدث»

غادر غرفة المعلمين بسرعة، متذكراً الشيء التالي الذي طلبه منه المجهول: النوافذ.

طاولة إيهاب خالية. دقائق الساعة تصخب في رأسي، كل ثانية تسحبنا
 ببطء نحو وقت الفسحة. خمس دقائق متبقية، ولم يظهر بعد، كما توقعت.
 معدتي تتقلب بمزيج غثيان من التوتر والندم. ظللت أختلس النظر
 إلى مازن وعيد، الجالسين في الجهة المقابلة. مازن ينقر بقلمه على الطاولة،
 محدق بلا تركيز نحو السبورة، بينما يسترخي عيد في كرسيه ووجهه شاحب
 وشارد. لم يعجبني هذا الشعور.

سيكتشف المجهول الأمر. سيعرف أننا لم نتبع التعليمات، أو على الأقل،
 أنني لم أتبعها، وحين يكتشف، سيفضحنا جميعًا.
 انقبض صدري تحت وطأة قراري الذي أخذ يتعمق داخلي أكثر فأكثر.
 ارتكبت خطأ؛ والآن، سندفع الثمن جميعًا.

مازن الآن

بدأ مازن بالكاد تشعران بشيء في المقصف، وهو يناول علبة تلو أخرى من العصير لطابور لا ينتهي من الطلاب. علبة فرغت، ثم أخرى، حتى نفذت جميعها. صدره يضيق مع كل كرتونة يسلمها عبر النافذة، وذكرى علب السم التي أرسلها المجهول تنهش عقله.

لم يبدُ السائل كما ينبغي. يتذكّره أكثر بياضاً بطبقة طباشيرية، لا هذا القوام المعجون والرائحة النعناعية لما صبّه في العلب. لا بد أن سعد غير شيئاً لا دليل لديه، ولكن الشك يأكله من الداخل.

تمنى جزء منه أن سعداً قد استبدل محتوى العلب، وأنه أنقذهم من الفظاعة التي كان المجهول يخطط لها، ولكن جزءاً آخر ارتجف خوفاً. ماذا لو اكتشف المجهول الأمر؟ ماذا سيفعل بهم إن علم أنهم لم ينفذوا التعليمات؟ وحين بدأ الصف يتقلص، ثم يختفي، استند مازن إلى الطاولة ليلتقط أنفاسه. شردت عينه نحو نافذة المقصف، تطل على الرواق المقابل. الطلاب متشرون في مجموعات متفرقة، ويتبادلون الأحاديث والضحكات. بعضهم جالس بمفرده، يأكل بصمت.

ثم رآه بجانب الباب.

إيهاب؟

إيهاب؛ يتكى بلا مبالاة على الحائط، وتلك الابتسامة المستفزة مطبوعة على وجهه.

ألم يكن في العناية المركزة أمس؟

عندما ذهب الجميع إلى الغداء، جُلت في الطابق الثالث بأكمله، لم أترك زاوية دون تفتيش. حتى الحمامات. إنها خالية. لا أحد يختبئ هناك. لا أثر لإيهاب.

ازدادت العقدة في معدتي ضيقًا. ربما كنت مخطئًا بشأن ما قاله إيهاب عن القتلة المتسلسلين. ربما لا ينطبق هذا هنا؛ هل من الممكن أنني أسأت الفهم؟ هل أخطأت المجازفة - بكل شيء يملكه المجهول ضدنا - بسبب نظرية غبية عن طريقة إيهاب في كتابة رمز شائع؟

لا... فتمة أمر مريب في الفيديوها أيضًا. شيء لا أفهمه تمامًا.

أسرعت إلى الطابق الثاني، وخطواتي تصدح في الممرات الفارغة وأنا أمرُّ بكل فصل من فصول السنة الثانية. لا شيء. لا أحد. المختبر الكيميائي قرب السلام مغلق، ولكن عندما نظرت من خلال النافذة الصغيرة في الباب، كان واضحًا.

لا أحد هناك؛ ثم، فجأة، صدر صوت للحظة. شيء من مكبر الصوت. نظرتُ من الأعلى إلى الطابق الأول، فرأيت الأستاذ يجي، مجددًا في المكان نفسه الذي رأيته فيه صباحًا. كان جالسًا أمام حاسوبه المحمول، وشاشة العرض خلفه تُظهر سطح مكتبه. ضوء العارض باهت بسبب إنارة المبنى، لكنني استطعت تمييز خلفية الشاشة.

صورة له مبتسمًا، تغطيها الأيقونات والملفات. حرك الفأرة، ونقر على بعض الأشياء، فعادت الخلفية إلى الوضع الافتراضي.

ثم رفع بصره فرآني. وتجمّدت في مكاني. للمجهول علاقة بهذا أيضًا...
لا يمكنني نزع هذا الشعور من رأسي.
ثم، رنّ جرس عالٍ فوقني معلناً انتهاء الفسحة.

لم يتطلب الأمر من ناصر أي جهد تقريبًا لتخدير (أبو أنس). لظالما كان الحارس العجوز سهل الإلهاء، وأسلوب ناصر جعله أكثر سهولة. وصل إلى المدرسة بابتسامة مشرقة وشاي فاتر.

جلسا معًا، وراقبه وهو يشرب، والتوق يتصاعد في صدره. ها هو أخيرًا هنا؛ تمامًا كما وعد المجهول.

اليوم، سينال الأستاذ يحيى ما يستحقه. كرهه ناصر منذ أول حصة تربية بدنية في السنة الأولى من المرحلة الثانوية.

كان الجميع مصطفًا تحت الشمس بينما يحيى يختار قادة الفرق. طلب ناصر أن يكون أحدهم، لكن يحيى تجاهله؛ ربما لأنه سمين. كان يعرف ذلك حينها. لكنه كان يعرف أيضًا أنه يلعب أفضل من معظم تلك الوجوه الجديدة. لا بأس. لعب على أي حال، وانتُخب حارس مرمى وأثبت نفسه وصد جميع الكرات؛ ثم جاءت كرة طارت عبر الملعب منقوسة في الهواء. كان يمكنه الإمساك بها، ولكن الأستاذ يحيى يراقب، وأراد ناصر أن يترك انطباعًا؛ فصد الكرة بصدرة، وأسقطها على ركبته، ثم ركلها بقوة نحو السماء...

وحينها بدأ الضحك.

فلاح، أحد الأولاد الآخرين، انكفأ على الأرض يضحك بهستيرة قائلاً: «صدّها بأثدائه...» وقلد حركة الصدر المرتد، فانفجر الجميع ضحكًا.

حتى الأستاذ يحيى ضحك. علق ذلك الضحك الملعون في ذاكرته
كالمسمار؛ كالطريقة التي اقترب بها الأستاذ يحيى على أرض الملعب،
محاولاً تهدئة الآخرين، لكنه كان هو نفسه يضحك.

سمعهم يقولون بعدها: «أبو ثدي»

ظلت الكلمة تتردد شهوراً؛ حتى بعد أن تخلص من الوزن في الصيف،
وأثبت نفسه مجدداً، ظل الأستاذ يحيى يتجاهله، وبخاصة عندما ظهر وليد في
السنة الثالثة ونال الاختيار بدلاً منه.

كل ذلك الجهد. بلا جدوى؛ ثم جاءت الرسالة.

المجهول: الأستاذ يحيى أحمق. ما كان يجب أن يختار وليد بدلاً منك
ناصر: من أنت؟

المجهول: لا يمكنتي إخبارك بعد، ولكن يمكنتي مساعدتك. سأساعدك
في الانتقام من الجميع

تحدثاً لأيام. نفس ناصر عن غضبه، وأصغى له المجهول.

أخبره عن «روان»، وكيف أن الأستاذ يحيى ظن أنه واقع في الحب.
توسّله ناصر أن يُسرّب الرسائل المحرّجة، ولكنه رفض.

ناصر: أريده أن يُطرد

المجهول: ماذا لو فعلنا ما هو أسوأ؟ ماذا لو جعلناه يُسجن مدى الحياة؟

ناصر: أنا معك

المجهول: إذن استمع جيداً

الطلب الأول: سرقة ملابس وليد الاحتياطية من مكتبه

بعد فترة من تنفيذ طلبات المجهول، وليد لم يعد للمدرسة. شك أن خبر
وفاته كان نتيجة لخطط المجهول.

الطلب الثاني: سرقة الإنسولين الخاص بفهد من حقيبته

تردد ناصر.

ناصر: لماذا؟

المجهول: خمن أين يوجد الإنسولين الاحتياطي لفهد؟

ناصر: ...أين؟

المجهول: في ثلاجة يحيى. إذا أبلغنا عن الوفاة في الوقت المناسب،

خمن من سيدو ملذنباً؟

ناصر: هل سمعته؟

المجهول: زجاجات الإنسولين الاحتياطية؛

ناصر: هل سنبغ عنه الآن؟

المجهول: لا. ليس بعد. أريده أن يذلل أولاً

لم يصمد أبو أنس عشر دقائق. تدلى رأسه للأمام، غارقاً في نوم مخدر

عميق.

تفقد ناصر هاتفه.

رسالة واحدة من المجهول: «حان وقت الأبواب»

المدرسة صامتة، وقد انتهت الفسحة منذ خمس عشرة دقيقة. عاد الجميع

إلى الداخل.

أعاد ناصر الهاتف إلى جيبه، وانخفض إلى الأرض، وأخذ مفاتيح الحارس

من جسد أبو أنس المرتخي.

توجه نحو البوابة الأولى، ونظر حوله، ثم أدار القفل؛ ثم دار حول الفناء

ليصل إلى الباب الثاني، ثم غرس المفتاح وأداره.

البابان مقفلان الآن. ارتسمت على شفثيه ابتسامة وهو يعيد المفاتيح إلى

جيبه.

وعد المجهول يتحقق أخيرًا. قد يموت الجميع في الداخل... ربما... من
يهتم؟

إن حدث ذلك، وسقطت القطع في أماكنها، فسيُلام الأستاذ يحيى.
بنظرة خاطفة خلفه، دار ناصر حول المبنى وأخرج الولاة. حان وقت
الخطوة التالية: النوافذ.

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص

اجتمع الطلاب في وسط المدرسة، جالسين على سجاد قديم مهترئ. الهواء خافت الهسيس، وهناك ضجيج من الهمسات والأجساد المتحركة. رقت في الخلف، أبحث في بحر الرؤوس عن إيهاب. عيناى تتقلان من رأس إلى رأس، والإحباط يتصاعد كلما اضطرت للجلوس بالحاح من أحد طلاب النظام.

قالها بحدة للمرة الثالثة، وهو يحجب رؤيتي: «ابقِ جالسًا»

خرج الأستاذ يحيى أخيرًا من غرفة المعلمين، وصعد منصة المسرح بخطوات بطيئة... مظهره قوضوي، وكتفاه مشدودتان وهو يقترب من الميكروفون. نقر عليه عدة مرات، فأطلق الميكروفون صفيًا حادًا عبر مكبرات الصوت جعل الحشد يرتجف ويصمت.

بدأ بصوت مرتعش: «صباح الخير جميعًا... هذه الرسالة... ليست مني، بل من...» تردد، والتقط الميكروفون أنفاسه غير المنتظمة.

تحرك الحشد بقلق، وتصاعدت همسات منخفضة بين الطلاب. تابع وصوته يتهدج قليلًا: «فهد جمعان. كان طالبًا متفوقًا، ولم يستحق أن يُقتل»

سقطت الكلمات كالصاعقة.

نتم أحدهم في الصف الأوسط بصوت مرتفع: «ماذا قال؟»

قال صوت آخر أشد حدة: «قُتِلَ!؟»

قلبي يخفق بقوة بينما ينتشر الدهول والارتباك بين الجميع. التفتت الرؤوس، والهمسات أصبحت أعلى، حيث نهامس الطلاب مصدومين. رفع الأستاذ يحيى يده، محاولاً تهدئة الضوضاء، وقال: «الرسالة التي أقرأها الآن...» ابتلع ريقه بصعوبة، وتفاحة آدم تتحرك بوضوح، ثم تابع: «هي من شخص يُدعى مجهول»

شهقتُ ودار العالم من حولي، وتصاعدت الهمسات إلى طنين قلق. واصل الأستاذ يحيى: «على أي حال»، ثم توقف ليأخذ نفساً عميقاً، ويده ترتجف وهي تمسك بالهاتف: «يقول المجهول: ربما تلقى بعضكم رسائل مباشرة مني. وبعضكم كان غيباً بما يكفي لتجاهلي؛ لقد وعدتكم بالعقاب، واليوم أفي بوعدي»

لم أستطع الحركة. تسابقت الأفكار في عقلي، وصرخت كل خلية في جسدي بأن أفعل شيئاً، لكنني تجمدت.

نزل الأستاذ يحيى عند المنصة، بوجه شاحب، ويده ترتجفان وهو يمرُّ بجانب المعلمين الذين تبادلوا نظرات حائرة.

اقترب من الحاسوب المحمول على الطاولة وقرب جهاز العرض، ونقر شيئاً بحركات جامدة مقصودة. أطلق جهاز العرض أزيزه، وضياؤه الساطع شقَّ التوتر، وبدأت الشاشة تضيء.

بدأ تشغيل الفيديو.

«مرحباً بالجميع»

الصورة في الفيديو متوقفة على ظل لرجل في الظلام، وهناك دخان يحيط بأطراف الشاشة، بينما هو يتحدث.

«بعضكم قد يعرفني، وبعضكم تحدث إليّ من قبل»

اتسعت عيناى وأنا أسمعهُ يتحدث عن عدد الأشخاص الذين لديه شيءٌ
ضدهم، وكيف سيُقضّون جميعًا، واحدًا تلو الآخر.

الأول اسمه فيصل مفلح. حيث انفجرت رسائله مع المجهول على
الشاشة بسرعة.

«أراد فيصل أن يقتلكم جميعًا في العام الماضي»

ظل صوت المجهول المزيف مستمرًا، يروي جانبًا من القصة، ويعرض
دليله ضد فيصل وتراجعهُ في القتل.

لمحت النظرات تتجه نحو الصف الثاني، فعلمتُ أن الجميع ينظر إليه.
استمر المجهول... وكشف الطالب التالي الذي تم الإيقاع به، ثم انتقل
إلى أحد المعلمين.

فكرت: نحن التالون. تجمّد جسدي وأصبحت رؤيتي ضبابية.
صرخ المدير: «هيه!»، مندفعًا بسرعة بين الطلاب نحو الأستاذ يحيى
الذي انكمش خجلًا.

فصل أحد المعلمين الحاسوب، وارتفعت الضوضاء من حولي ثم
انخفضت ثم ارتفعت مجددًا.

صرخ المدير في وجه الأستاذ يحيى: «ما هذا العبث!»، واقترّب عدد من
المعلمين الآخرين.

إيهاب. أين أنت أيها اللعين؟

على الغضب بداخلي، بينما تمّد الصمت من حولي. أمام المنصة، بدا أن
الأستاذ يحيى والمدير يتجادلان محاولين إبقاء صوتيهما منخفضين، ولكن
الجميع يراقب.
أين هو؟

واصلت فحص الطلاب بعيني، ولكنني لم أجد رأسه بين رؤوس
الطلاب؛ ثم شعرت به، كأن شيئاً ثقيلاً يعلو فوقنا جميعاً، يراقب الفوضى
التي صنعها.

نظرت إلى الأعلى... ها هو، في الطابق الثالث، متكئاً على السور، وهاتفه
موجه مباشرة نحو المسرح.

غادر العامل عرفان المقصف بعد أن رتباً المال معاً في رُزْم.
عيد أيضاً هنا، جالساً على كرسي في الزاوية، واستطاع مازن أن يخمن
شيئاً ما بسهولة. السبب ذاته الذي جعل الهواء يحتبس في معدته.
لم يعرف مازن ما الذي يجب أن يشعر به. كل ما عرفه هو أن الحلم
السخيف الذي راوده بالعمل الجاد وتجاوز جمال وعمه لن يتحقق في أي
وقت قريب.

اقرب من عيد، غاضباً من نفسه لأنه يغرق في التذمر من أمور تافهة، بينما
حياة عيد كلها ستتخطم بسبب ذلك الفيديو.

بدا عيد شاردًا، يحدّق من نافذة المقصف نحو القاعة الخالية.

«هيه! اسمع!»

اقرب مازن أكثر، واضعاً يده على كتف عيد: «نفذنا ما طلبه منا، فلا
داعي للقلق، أليس كذلك؟»

تابعا طريقهما نحو باب المبنى الرئيسي في صمت. عند وصولهما إلى الباب،
أمسك مازن بالمقبض وسحبه، ولكن لم يتحرك. قطّب حاجبيه، وجرب مرة
أخرى، بقوة أكبر هذه المرة، فوجده مغلقاً. في العادة يكون مفتوحاً طوال
اليوم... فلماذا يُغلق الآن؟

أشار مازن إلى عيد بضيق ليتبعه بينما دارا حول المبنى للوصول إلى البوابة الرئيسية، وحينها رأياه.

ناصر يقف على كرسي، بجانب إحدى نوافذ المبنى... هذه النافذة مفتوحة... هذه نافذة المكتبة.

لم يتبه ناصر لهما، إذ كان مشغولاً بمحاولة إشعال لفة مناديل.
قال عيد وهو يتعد نحو النافذة المجاورة مباشرة: «يا إلهي، ما هذا!!»
كانت مفتوحة قليلاً وهناك نار تشتعل في الداخل.

إيهاب فوقنا جميعًا، يراقب وهاتفه في يده، يسجل كل شيء؛ كل الفوضى التي تسبب بها.

الحرارة تتصاعد خلف عيني، وأنا أدرك الآن يقين... إيهاب هو المجهول. تظاهر بأنه صديقي، وصديق وليد، وخدعنا جميعًا لينفذ ما تريد أفكاره المريضة أن تصل إليه.

انسللت خارج الزحام، وقبضتاي مشدودتان، وعيناي مفتوحتان على اتساعهما. انخفضت بين بحر الطلاب المشتين، وعبرته بينهم في صمت. كل الأنظار متجهة نحو الأستاذ يحيى والمدير، المنغمسين في جدال محتدم. لا أحد يلاحظ اندفاعي نحو الدرج للصعود.

عندما وصلت إلى الدرجة الأخيرة في الطابق الثالث، توقفت. هاهو. إيهاب.

يتكئ بارتخاء على السور، والهاتف في يده، يسجل كل ما يجري في الأسفل. لوهلة، ظننت أنني سأشعر بالارتياح لأنني استبدلت السائل السام، ولأنني أوقفت ما كان يخطط له، ولكن بدلًا من ذلك، تفجّر الغضب بداخلي، حارقًا، لا يعرف الرحمة.

كل الطرق التي خدعني بها نومض في ذهني. كيف تلاعب بي لأؤذي فهد، وكيف ابتزني لأفعل المزيد، وكيف تظاهر بالاهتمام، وتصرف وكأننا في الجانب نفسه. لستُ مميزًا في هذا، وشيء عميق بداخلي يخبرني أن وليد لم يكن كذلك أيضًا.

كنا مجرد دمي له، لا أكثر.

أرسله إلى موته تلك الليلة، تمامًا كما حاول أن يفعل معنا جميعًا اليوم.
«سعد؟»

أعادني صوت إيهاب إلى اللحظة الراهنة. لاحظني الآن، وشفاهه تشكل ابتسامة متوترة.

«إنه يوم جنوني، أليس كذلك؟»

محاولة في التصرف بشكل عادي بدت مصطنعة، متكلفة، كما لو أنه يظن أنني أعلم.

سألته وأنا أقرب منه: «هل كنت تسجل؟»

تلاشت ابتسامته. تلعثم وهو يحاول أن يدس الهاتف في جيبه.
«نعم... كنت...»

انزعجت الهاتف من يده قبل أن يكمل.

تمتم، وتبدل تعبيره إلى الصدمة: «ما مشكلتك؟»
«كفى»

قلتها من بين أسناني، قابضًا على الهاتف بقوة، ثم تابعت: «أعرف أنه أنت»

«أنا؟ عن ماذا تتحدث؟»

نبرة إيهاب دفاعية، وعيناه تتجهان نحو الدرج، وكأنه يفكر في الهرب.
ضربته بالهاتف بقوة على وجهه دون تفكير. تراجع إيهاب إلى الخلف، ويده تمسك أنفه، والدم يتساقط على شفتيه.

«هل جنت؟»

لثت بصوت مكتوم، وتفحص يده التي لطخها بالدم.
بدأت الفوضى قرب المنصة في الأسفل.

زجرت مقترباً منه أكثر: «أعرف أنك المجهول، وأعرف أنك السبب في موت وليدا»

مسح إيهاب الدم عن أنفه بظهر يده، وقد أصبح وجهه شاحباً، لكن، ولدهشتي، رفع نظره إليّ وابتسم تلك الابتسامة اللعينة.

لم يتوقف ناصر حين لاحظهما. أيًا يكن ما كان يفعله قرب النافذة، فقد أصبح أسرع بحركاتٍ محمومة ومقصودة.

خفق قلب مازن بقوة وهو يقترب منه. ناصر يقف على كرسي، ممدود الذراعين ليصل إلى النافذة، ورائحة البترين الحادة اللاذعة تضرب أنف مازن كصفعة.

قال عيد: «ما الذي يفعله؟»

سأل مازن نفسه: «هل يحاول أن...»، ثم تبادلا نظرة حائرة.

ظل ناصر يضغط على الولاة؛ شرارة، ثم لهب. قربها من المناديل المطوية في يده، فاشتعلت، وألقاها داخل النافذة المفتوحة.

اندفع عيد نحوه: «هيه!»

نزل ناصر عن الكرسي، ورفع، واتجه إلى النافذة التالية؛ وكأنها لم يكونا هناك. وقف عيد في طريقه.

قال بدع، وطققة النار الخافتة تصاعد: «ما الذي تفعله؟»

أجاب وهو يدفع عيد جانبًا كما لو أن شيئًا لم يحدث: «ليس من شأنك»
لكن قبل أن يتمكن ناصر من اتخاذ خطوة أخرى، انقض عليه عيد بعنف لم يره مازن من قبل. انطلقت لكباته، ولكن ناصر كان أسرع، فتغلب عليه، وطرحه أرضًا.

لم يتردد مازن، إذ اندفع للأمام، واصطدم بناصر من جانبه، فأسقطه على بطنه، بالتزامن مع بدء اللهب بالظهور من النافذة خلفهم. الحرارة تتصاعد، ورائحة الدخان اللاذعة تملأ الهواء. قال عبيد وهو ينهض من الأرض: «اذهب!»، لطح التراب ثوبه، وناصر ممد على الأرض يمسك بطنه، ثم تابع: «اذهب وحذرهم!»

لم أعد بعيداً عن الشهرة سوى خطوات قليلة. سيصبح اسمي في كل مكان؛ في الأخبار، وعلى وسائل التواصل الاجتماعي. ستنفجر شعبية قناتي. أخيراً. أخيراً، سيرى الجميع كل ما أنجزته؛ ذلك العمل العبقري.

إيهاب، الشاب الذي فضح المجهول؛ الفتى الذي نجا من الحريق. الوحيد الذي عاش ليحكي القصة؛ هذا كان المخطط، على الأقل، إلى أن ظهر سعد. قال وأنا أمسح الدم من تحت أنفي: «أعرف أنك المجهول؛ وأعرف أنك السبب في موت وليد!»

ماذا؟ أنا السبب؟

صرخ: «أجبنني»، وأدرك أنني أبتسم، فسأل: «لماذا قتله؟»

ضحكتُ مذهولاً من مدى غبائه: «أنا من قتله؟!»

عينا سعد هائجتان، محمّرتان بالغضب. قبضتاه ترتجفان على جانبيه، وصدره يعلو وكأنه على وشك أن يندفع مرة أخرى. أبتسم، والدم من أنفي يتزلق إلى فمي. لا أخافه، ولا قليلاً حتى، ولكنني بحاجة إلى بعض الوقت، إذ ينبغي أن يكون ناصر في المراحل الأخيرة مما طلبتُ منه.

تمتمتُ وأنا أمسح الدم: «لم أقتله يا غبي! لم لا تخبرني كيف انقلبت السيارة في تلك الليلة؟»

ارتجف وقال: «اخرس!»

قلتُ بحدّة: «ما كان ليموت لو استمع إليّ ولم يفكر في إحضارك معه»،
ثم ضغطتُ عليه بنبرة أكثر حدّةً وقلت: «كانت لك علاقة بذلك الحادث،
أليس كذلك؟»

تشنج فكّه، وارتعش جسده كلها؛ وحينها شممت رائحة النار، إذ بدأ
الطابق الأول بالاشتعال، فابتسمتُ. أخيرًا.
ولكن وسط الفوضى في الأسفل، لم يفقد أحد وعيه. لا الطلاب، ولا
المعلمون.

هل سيهم ذلك أصلًا؟

كانت مجرد خطوة احتياطية. ضحكت على بساطة ذلك المخطط الآن.
هذا... سٌحفر هذا في ذاكرة الجميع لأجيال. قصة أكون فيها البطل الوحيد.
قلتُ وأنا أمدُّ يدي بهدوء: «والآن، أعد لي هاتفي، وأغلق فمك، كدنا
نتهي هنا»

تمتم ذاهلاً ويشعر بالتيه: «لماذا؟»

«لأنه هاتفي بالطبع...»

صرخ بصوت منكسر: «ماذا فعل ولید لك ليستحق الموت؟!». الدموع
تخطط وجهه، ولا أحد يسمع، ولا أحد يأتي. هي الفوضى فقط.
نظرتُ إليه لحظة، وراقبته وهو ينكسر.

زفرتُ وقلتُ: «أراد قتلک، يا أحمق. أراد قتلک أنت، ولذلك أحضرك»
أرى الصدمة تصيبه كأنها صفعة.

شهق وقال: «أنت تكذب. لقد تلاعبت به، كما فعلت بي، وكما فعلت
بالآخرين...»

قاطعتُ بصوت حاد وحازم: «اغلق فمك يا سعدا فقد أفسدت تلك
الليلة علينا. أتعلم أيضًا؟ كنتُ كريماً بعدم فضحك. فاحمد ربك وأعد
هاتفي!»

تجمد. أصبحت دموعه صامته. إنه بائس مشير للشفقة.

قلتُ باحتقار: «ماذا؟ أما زلت عالقًا عند فكرة أن وليد أراد قتلك؟»، ثم اقتربت، ووضعت يدي على كتفه وقلت: «ماذا كنت تتوقع من شخص قتل شقيقه؟»

شحب وجهه.

«لقد أخبرني بذلك»

نواف وحسن ورامي. ما زلت أذكر اليوم الذي سمعت فيه أنهم ماتوا. سمعت أمي تتحدث يومها عبر الهاتف لإحدى جاراتنا: «حدث ذلك في رحلة تخييم عائلية»، حتى أنني حضرت الجنازة مع أبي. تساءلت عن الناجي الذي لم يمت، وعرفتُ آنذاك... عرفت أن هناك شيئًا خاطئًا. طفل في خيمة مع ثلاثة آخرين يحترقون، ولكنه بقي حيًا. لا معنى لذلك. إلا إذا... كان هو سبب الحريق.

عرفت اسمه في الابتدائية. سألتني أمي عنه؛ قالت إن جارة ذكرتها لها. لم يكن في صفي، لكنني رأيته. بدا عديم الخطر، ولم يكن ذلك مناسبًا لتصوري عنه. كرهت أنه لم يكن مناسبًا لذلك.

حتى عندما فصلت في الصف الثاني بسبب ما فعلته بسجمل في المسبح، فكرت في وليد، ولكن ذلك التفكير خفَّ بمرور الوقت.

أتذكر أسوأ يوم في حياتي؛ أول يوم في الثانوية. ذهب الجميع لاستلام كتبهم الجديدة، لكنني بقيت في الصف، وحدي. شعرت أنني أحتضر...

أهذه حياتي؟ حياة أعيشها مثل بقية الحثالة حولي؟ هل أنا مثلهم؟ أردت أن أبكي، ليس كما علمت نفسي، بل البكاء الحقيقي، ولكنني لم أستطع.

كل ما كان لديّ هو قصص جرائم الواقع؛ وهي الشيء الوحيد الذي جعلني أشعر بشيء. تمامًا كما فعل وليد.

ثم في السنة الثالثة، قُدم لي هديّة، حيث أصبحنا في الصف نفسه.
لا أحد سيفهم الإتقان الذي تطلبه الأمر لأبد وطبيعياً... لا أحد سيفهم
عبقرية ما فعلته.

شممت رائحة المتاعب، وركضت نحوها؛ جعلته رهن إشارتي. حفزته،
وغرست أفكاراً، وسرقت أشياءه، وشكّلت قصته. كان وليد دميتي المفضلة.
كان سيقتل مازن وعيد والبقية، وكنت سأروي القصة. صديقي القاتل.
الفيديو الذي سيجعلني مشهوراً، ثم جاء سعد وأفسد كل شيء يتعلق بتلك
الليلة في المخيم، ولكن ربما عليّ أن أشكره؛ اليوم أكبر بكثير مما حلمت به من
قبل.

انفجر الحريق في إحدى الغرف. علت الصرخات. الأبواب مغلقة. ممتاز.
طلبت بلطف: «هل ستعيد لي هاتفي؟ أحتاج أن أسجل هذا»
تحرك سعد كمن يسير أثناء النوم. عيناه خاويتان. سلّمني الهاتف. عدت
إلى الحافة ورفعت الكاميرا، ووجهتها إلى حشود الطلاب الذين تراحموا أمام
أحد الأبواب. النيران تتصاعد، وصرخاتهم ترتفع.
ممتاز. ممتاز!

منظرهم أجمل بكثير مما تصورته.

راقبته هناك، يصوّر الفوضى والدخان والصرخات. هاتفه مرفوع كأنها
يوثق تحفةً ينبغي تخليدها؛ العالم يحترق، وهو يتسم، ولكن كلماته: اكان يريد
قتلك، تتردد في رأسي، تلتف وتدور، أعلى من كل الضجيج في الأسفل.
ذلك ليس وليد. ذلك ليس صديقي. إيهاب يكذب، لقد كذب طوال هذا
الوقت.

صديقي كان طيبًا. لم يدافع عني أحد كما فعل وليد، ولا مرة، ما فعله
بأبناء عمومته، وبشقيقه، كان لأنهم استحقوا ذلك. لأنهم آذوه أولاً، وإيهاب
أذاه أيضًا، والآن آذاني، وآذى الجميع.

لا أعلم متى بدأ الأمر. تحركت ساقي من تلقاء نفسيهما، وضافت رؤيتي
وأنا أندفع نحوه. لم يلتفت. لم يلاحظ؛ إلا حين فات الأوان.

قبل أن أدرك، أمسكت يداي به، ثم دفعته، فاندفع جسده إلى الخلف،
وانزلقت قدماه، ولوحت ذراعاها عبثًا، وارتطم ظهره بالسياج. لوهلة رأيت
الصدمة على وجهه، حاول الإمساك بي معه، ثم سقط.

جاء الارتطام في الأسفل مكتومًا، فلا أحد انتبه، وسط هذه الفوضى.
انقبض صدري ورأسي يطن. لا أستطيع التفكير.

وقفت هناك، أهدق في السياج، في الفراغ الذي كان إيهاب واقفًا فيه قبل
لحظات؛ والعالم يحترق بالأسفل.

ركض مازن نحو البوابة الرئيسية، وساقاه تشتعلان مع كل خطوة، وعندما وصل، انقبض صدره، حيث التصق حشد من الطلاب بالبوابة، يصرخون ويدفعون، ويحاولون فتحها بشدة، وقد رُسم الذعر على وجوههم. قبض مازن على رأسه، ونظر حوله بجنون بحثاً عن حل. طرق باب غرفة الحارس بجانب البوابة الخارجية، ففتَح الباب بصوت متهالك، وهناك كان أبو أنس، مستنداً، يشخر بهدوء.

صرخ مازن وهو يهزُّ الرجل العجوز: «استيقظ!»، لكن دون أي استجابة. تنقَّلت عيناه في أنحاء الغرفة بحثاً عن المفاتيح. قلبت يده الأذراج والرفوف، ولكن لا أثر لها.

صاح ناصر وهو ينهض بسرعة، والعرق يتصبّب من وجهه تحت الشمس القاسية: «ابتعد عني، وإلا كسرت عنقك!». خيّم الصمت على الفناء حولهما، ولم تُسمع سوى فرقعة بعيدة للنار المتأججة داخل المدرسة. لم يتحرك عيد. ظلّ يحدّق فيه غاضبًا وأنفاسه متسارعة. الظلّ الذي ألقاه المبنى لم يخفّف شيئًا من حدة التوتر بينهما. قال ناصر ببرود: «لقد حذرتك»، واستدار ليمسك بالكرسي الذي أسقطه للتو.

اندفع عيد نحوه، إذ لم يستطع السماح له بالاستمرار. استدار ناصر وأمسك عنقه. انغلقت أصابعه بقوة. أخذ عيد يتخبط، وقبضته تنهالان على صدر ناصر، وقدماه تحفران الأرض اليابسة. لم ينبس ناصر بكلمة، واكتفى بالتحديق فيه بغضب شديد. ثم دوى انفجارٌ عنيف من إحدى النوافذ المفتوحة خلفهم، فاندفعت الحرارة والزجاج إلى الفناء. ارتخت قبضة ناصر.

تحرر عيد بعدما اختنق، ثم سدّد لكمة إلى أنفه. انفجر الدم. ترنّح ناصر، واندفع عيد ليطرحه أرضًا بعنف. لم يتوقف. أمسك رأس ناصر وضربه على الإسمنت ثلاث مرات، ثم ارتجّ جسده، مدهولًا، إذ زاغت عيننا ناصر غير مركّزتين. ما زال واعيًا، ولكن ليس لوقت طويل.

اقترَبَ مازن: «عيداً» نهض عيد، وما يزال قلبه يتحقق بعنف. رمق مازن ناصر سريعاً، ثم انحنى إليه، يفتش جيوبه، وسحب سلسلة مفاتيح. ركض عيد خلف مازن، وما إن وصلا إلى الباب الخلفي، حتى سمعا الطرقات العالية والباثسة. ارتجفت عينا مازن وهو يجرب كل مفتاح حتى فتح الباب.

اندفع الناس خارجه، يدفعونهم جانباً وهم يفرّون.



مازن الآن

بينما اندفع الحشد خارج الباب الخلفي، يسعلون ويصرخون، أمسك مازن بالمفاتيح وركض نحو البوابة الرئيسية. هناك صرخات خلف الزجاج، ففرس المفتاح بسرعة، وأداره، ففتَح الباب الزجاجي.

اندفعت الجموع إلى الأمام، تتدفق في الهواء الطلق. تراجع مازن خطوة إلى الخلف، يراقب الطلاب وهم يركضون من حوله، يسعلون ويتعشرون، ويبحثون يائسين عن طريق للنجاة. مسح وجوههم بعينيه، وقلبه ينفق بعنف؛ ثم رأى دحميًا.

سأل مازن، بنبرة حادة: «أين سعد؟»

هز دهمي رأسه، ووجهه شاحب، لكن قبل أن يتمكن من الإجابة، استدار مازن وعاد إلى الداخل؛ ضربه الدخان فورًا، كثيفًا وخائفًا. راح يدفع من لا يزالون يحاولون الخروج، وعيناه تدمعان وهو يتوغل أعمق في المبنى. لمح الأستاذ بجبي قرب باب الاستراحة، يتحرك داخلًا وخارجًا، بحركات مضطربة. تبعه مازن، يسعل مع ازدياد كثافة الدخان. داخل الاستراحة، تمدد ثلاثة معلمين على الأرض، فاقدى الوعي.

جالت عينا مازن في وسط المدرسة. وهناك رآه، إيهاب.

كان ممددًا على الأرض، والدم يتجمع حول رأسه، وفمه نصف مفتوح. إنه ميت.

تسمر مازن في مكانه من هول الصدمة. تطلعت عيناه إلى الأعلى تلقائياً،
فتجمّدت الدماء في عروقه.

اندفع صاعداً الدرج، وهناك وجد سعد. كان سعد جالساً مسنوداً إلى
الجدار، ووجهه خالٍ من التعبير، وعيناه فارغتان.

صرخ مازن بصوت متكسر من شدة القلق: «انهض!»
لم يتحرك سعد. لم يطفرف له جفن.

صرخ مازن مجدداً، وأمسك بذراعه يهزّه: «انهض!»

لكن، بقي سعد جالساً، يحدّق في الفراغ، والنار تزججر من حولهم.
قال سعد بصوت خافت: «إيهاب... أنا قتلته»

وقف عيد خارج بوابة المدرسة مباشرة، وراء الفناء، حيث تدفق الطلاب إلى الشارع. صدره يرتفع وينخفض مع كل نفس، والعرق يلتصق بجلبده تحت شمس حادة. يدها ترتجفان، لكن عينيه لم تفارقا مدخل المدرسة الأمامي. تتسع الفوضى خلفه، مع وجود سيارات إسعاف وإطفاء مصطفة عند الرصيف، والمسعفون يتحركون بين طلاب ممددين على الإسفلت، يتحسسون نبضهم، ويوزعون أقنعة الأكسجين. صاح المعلمون بالأساء في كل اتجاه، وبكى بعضهم، وذرع آخرون المكان جيئة وذهابًا. بدأت سيارات الآباء بالوصول، فاندفعوا خارجها راكضين، يبحثون وسط الحشود، والذعر واضح في عيونهم.

حين فتح هو ومازن البوابة الزجاجية، كان الممر قد امتلأ بالدخان. لم يتردد مازن، حيث اندفع إلى الداخل دون أن يلتفت. بقي عيد في الخلف، ممسكًا بالبوابة، يصبح بالناس كي يتحركوا، ويركضوا، ويخرجوا. راقبهم يترنحون أمامه، يسعلون ويختنقون، وجوههم ملوثة بالسخام. ساعدهم قدر استطاعته؛ أيادٍ تجذب، وأصوات توجه، ولكنه لم يخطُ إلى الداخل. والآن، ينتظر.

تضاءل تدفق الطلاب. ما كان قبل لحظات فيضًا من الهلع، أصبح خيطًا ضئيلًا. راح عيد يعدُّ الوجوه بلا قصد؛ أربعة، ثم اثنان، ثم لا أحد. لم يخرج مازن بعد.

مزقت صفارات الإنذار الضجيج. وصلت سيارة إسعاف ثانية، وتلتها شاحنة إطفاء. هرع رجال الإطفاء يحملون الخراطيم نحو بوابة الفناء، واختفوا خلف الجدران المتفحمة، ولكن بالكاد لاحظهم عيد. لم يزعج تركيزه عن بوابة المدرسة.

اقترب خطوة من السياج، وقلبه يخفق بعنف. امتدت كل ثانية دهرًا، وازداد الثقل في صدره.

ثم رأى حركة، إذ ظهر شخص وسط الدخان.

حبس عيد أنفاسه، ولكنه لم يكن مازن.

كان ناصر. يعرج قليلًا، وجهه مغطى بخطوط من الدم والرماد، وثوبه كذلك. عيناه شاردتان.

هبط قلب عيد. اجتاز ناصر الفناء ببطء، تنحى الطلاب عن طريقه. لم يوقفه أحد. لم يسأله أحد.

لم ينظر إلى أحد. فقط إلى عيد؛ ثم، دون أن ينبس بكلمة، واصل سيره. مرَّ به مباشرة. لم يتحرك عيد. لم يستطع. راقبه حتى اختفى وسط الحشود.

استغرق الأمر لحظة حتى استوعب... حين ترك ناصر، لم يكن يتزف بهذا الشكل... وكان في الخارج، فكيف تلتطخ بالرماد والدم؟ هل... هل دخل؟ ماذا فعل! أين مازن؟!

صرخ عيد: «هيه!». لم يتوقف ناصر، فيما التفت كل من حوله إليه، فصرخ في الحشد: «أمسكوه! هو من أحرق المدرسة!».

أصبح الدخان الآن أكثر كثافة، وأثقل مما كان عليه من قبل. كان يلتف حولهما ككائن حي، ينشب مخالبه في حلق مازن، يحرق رئتيه مع كل نفس. النار في الأسفل تعالت زئيراً، وتسلفت الحرارة إلى قدميه عبر نعليه. في مكان ما من وسط المدرسة، اشتعل المسرح، كان تشقق الخشب مسموعاً تحت لهيب يتصاعد.

لم يتحرك سعد منذ أن تتم بتلك الكلمات. ظلت عيناه معلقتين على السياج، وجسده مرتخ، لا يستجيب. لم يكن لدى مازن وقتٌ للجدال، ولا حتى للصراخ مجدداً. أمسك بذراع سعد، ورفع، وبدأ يجر جسده عبر أرضية الممر إلى أقرب فصل.

دفعه الباب بكتفه، وسحب سعد إلى الداخل. أصبحت أنفاسه متقطعة، لاهثة، ورؤيته مشوشة، تغطيها العتمة والدخان.

ترك سعد ينهار إلى جانب الجدار، وترنح نحو نهاية الغرفة. التوافق! وصل إلى الأولى، وضرب المزلاج بكفه. لم يتحرك. اندفعت نوبة من الذعر. عاود المحاولة، بأظافره هذه المرة، حتى انفتح أخيراً بصوت طقطقة حاد. صعد مازن إلى طاولة تحت النافذة، يسعل بعنف، وركبته ترتجفان تحته. دفع النافذة لتفتح أقصى ما يمكن. كان الإطار ضيقاً جداً ليدخل ما يكفي من الهواء.

ورغم ذلك، أطل بجسده إلى الخارج، يلهث، وصوته متشقق، ومكسور، يحاول أن يصرخ طلباً للمساعدة.

لا شيء..

لا حركة في الأسفل. لا صوت سوى صراخ النيران. الحرارة اقتربت أكثر
والهبت بشرته. أدار رأسه نحو سعد؛ ما زال متكورًا، وقد بدأ للتو بالسعال.
تمايل مازن، وتعلق بإطار النافذة للمرة الأخيرة. انهارت ركبته.
ثم اظلم كل شيء..

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص

تسرب أزيز خافت من أضواء المستشفى فوقه، يلقي ظلالاً صفراء باهتة على الأرض المعقمة. جلس عيد على الكرسي قرب النافذة، واستند مرفقاه إلى ركبتيه، يحدق في الفراغ. مضت ساعة منذ وصوله، وربما أكثر، إذ يفقد الزمن حدوده حين لا يغادر الثقل صدرك أبداً.

قبض على هاتفه، وعلّق إبهامه فوق زر الاتصال. فكّر في الاتصال بالشرطة مراراً. فكّر في الدخول إلى أحد مراكزهم والاعتراف بكل شيء. علب العصير المسمومة، والخطّة، وأولئك الذين كادوا يحترقون حتى الموت؛ وأولئك الذين ما زالوا في المستشفى، يقاتلون للبقاء. وإيهاب.

ازدرد ريقه بصعوبة. ذلك الجزء كان الأقسى؛ صورة إيهاب، في مكان ما داخل ذلك المبنى، ربما وحيداً، ربما خائفاً. ربما شرب إحدى العلب التي ساعد عيد في تحضيرها. غرّست الفكرة في صدره، والتفت داخله مع كل محاولة للتنفس.

رأى عيد ما كتبه البعض في مجموعة الفصل على واتساب، يتحدثون عن احتمال أن يكون إيهاب قد دُهِس وسط الفوضى. ربما ما كان ليسقط لولا الدوار بعد شرب إحدى العلب. وربما... كان سينجو.

اعتقّل ناصر. الجميع علم بذلك. وبطريقة ما، انتشر الخبر، حيث اعترف بإشعال النار في المدرسة، وبأنه عاد إلى الداخل، وهاجم الأستاذ يحيى، ولكن

بقية القصة ما زالت غامضة. لا أحد يعرف حقاً ما حدث في الداخل. ليس بعد.

صدر عن الباب صرير خفيف فرقع عيد رأسه. وقف مازن على العتبة مرتدياً ملابسه، وذراعه في مشد، ولكنه واقف بثبات، وملاحه مرهقة، لكن عينيه صافيتان.

لم يتبادلا الحديث في المصعد، ولا في موقف السيارات، ولا في الدقائق الأولى من الطريق إلى المنزل.

ثم التفت مازن إليه بنظرة جانبية، وسأل: «أنت بخير؟»
تردد عيد ثم أجاب: «لا»

استقر الشعور بالذنب ثقيلاً وثابتاً. لم يستطع النظر إلى مازن دون أن يشعر بثقله. أراد أن يقولها—أن يدعها تتدفق أخيراً: «أظن أن عليّ الذهاب إلى الشرطة. لن أذكر اسمك، ولا اسم سعد. سأقول إنه أجبرني، على كل شيء»

زفر مازن من أنفه، ببطء وثبات وقال: «سعد بدّل السائل في تلك اللعب يا عيد»

استدار عيد نحوه فجأة وسأل: «ماذا؟»

ردّ مازن: «لم نسم أحدًا»

حدّق عيد فيه، وبدأ العبء ينجف في صدره، ولو قليلاً، ولكن الحيرة اندفعت لتحلّ محله.

«عيد...»

«نعم؟»

«جاءت الشرطة بعد أن استيقظت. استجوبوني عما حدث»

اشتدّت قبضة عيد على المقود وقال: «وماذا أخبرتهم؟»

«الحقيقة. أخبرتهم عن ناصر، كيف رأيناه، وكيف أوقفناه. أخبرتهم أنني
عدت للبحث عن سعد»
«هل تعلم أن ناصر اعترف بأنه هو المجهول؟» توقف مازن وانقبض
فكه، ثم قال: «لا أظن أنه هو»
التفت عيد إليه ببطء وقال: «ماذا؟»
ردّ مازن: «كان إيهاب؛ ولم أخبرهم، لأنني أظن أن القرار بشأنه يجب أن
نتخذه نحن الثلاثة معاً».

المنزل هادئ. صوت المكيف وحده في الخلفية؛ أزيز منتظم وخافت، ولا شيء غير ذلك. مضت ساعات وأنا ممدد هنا، أهدق في سقف غرفتي، وأترقب أن يتغير شيء داخلي.

كان يُفترض أن تقتلني النار. ربما كادت تفعل. صدري ما زال يؤلمني وكان شيئاً انهار بداخله. كل نفس أتفسه كأنني أجرح هواءً عبر شطابا، ولكن الأمر ليس ذلك فقط. ليس الدخان وحده.

إنه إيهاب.

صوت جسده حين ارتطم بالأرض في الأسفل لا يغادر رأسي، يتكرر مرارًا. تلك اللحظة؛ يداي تدفعانه، وعيناه المتسعتان. نبضي بطيء وثقيل، كما لو كنت تحت الماء.

لا أذكر ما شعرت به. ربما لم أشعر بشيء.

عدت إلى البيت منذ بضعة أيام. أمي تواصل التحقق من أمري، وتطرق الباب برفق، لتسأل إن كنت بحاجة إلى شيء. أخبرها أنني بخير. أبي يدخل أحياناً أيضاً، لينظر إليّ فقط. لا يقول الكثير، ولكنَّ عينيه قلقتان، أتمنى لو لم يكونا كذلك.

أجلس، فيحتجُّ جسدي، أتحرك وكأنني أجرح وزن شخص آخر. قدماي تلامسان أرض الغرفة الباردة، والألم في أضلعي يشتعل، لكنني أواصل. أمشي نحو مكثبي. يدي تتحرك دون وعي، تفتح القفل. يُفتح الدرج بصوت خافت.

ها هو، كما تركته. علبة صغيرة فيها سائل طباشيري؛ لا ملصق ولا علامات. لا شيء يخبرك بهايته، ولكن وزنه يبدو أثقل الآن.
(أراد قتلك). لم يغادر صوت إيهاب رأسي. طريقته في قولها؛ كأنها لم تكن صادمة، بل كأنها بدهية. كأنه أسدي لي معروفاً حين نطق بها.
(ماذا تتوقع من شخص قتل شقيقه؟)
وليد. أعزُّ أصدقائي. الوحيد الذي وثقت به... أراد قتلي.

والآن أنا جالس على حافة المبنى المهجور القديم المٌطل على الحديقة. تجاوزنا منتصف الليل. الحبي بأكمله نائم. السماء صافية، والعالم في الأسفل يبدو بعيداً، يكاد يكون زائفاً. مثل الذكريات التي جمعتني به هنا.
العلبة إلى جانبي.

(ماذا تتوقع من شخص قتل شقيقه؟)
أحاول تخيّل نظراته إليّ، وهو يخطط لقتلي، ولكن عقلي يرفض قبول ذلك؛ ليس وليد الذي عرفته، ليس وليداً الذي وقف بجانبني مهما خذلته.
ربما كان إيهاب على حق؛ ربما فعل وليد تلك الأشياء، ولكن هذه الليلة، لا أريد أن أتذكره بهذه الصورة، ولا أريد أن أختزله في أسوأ لحظة له؛ لأنني إن فعلت ذلك به... فسأنتهي إلى فعل الشيء ذاته بنفسني.

لامست نسمة باردة وجهي...

أغمضتُ عينيّ وتنفسْتُ...

أمسكتُ العلبة...

وفتحت الغطاء...

سابقًا - رامي

لم يدافع عن شقيقه الصغير. ألقى حسن فانوسًا على مؤخرة رأس وليد، وظل رامي واقفًا يراقب.

قال له وليد في وقت سابق: «لا أحبك حين تكون معهم». ولم يستطع رامي أن يعترف حتى لنفسه بأنه، أحيانًا، لا يحب نفسه أيضًا حين يكون برفقتهم. لطالما كره أن يكون هدف تنمر حسن، وعندما كان يمضي وقتًا أطول معهم، لم يعد ذلك الهدف فجأة.

سَيَقُفُّمُ وليد. كان وليد يسامحه دائمًا عندما يعودان إلى المنزل، حتى دون أن يعتذر رامي.

في تلك الليلة داخل الخيمة، بعد أن غادر وليد، لم يتمكن من قول أي كلمة لحسن أو نواف، فتمدّد صامتًا، متظاهرًا بالنوم، ولفّ جسده بغطاء بالكاد كان يحميه من البرد.

قال حسن: «لا أصدق أنه وشى بنا»

همهم نواف بإجابة مكتومة من تحت وسادته. تسللت رائحة الدخان إلى أنف رامي رغم الغطاء. تبين أن حسن احتفظ بسيجارة واحدة قبل أن يسلم البقية للعم منصور عندما ضُبطوا.

سأل حسن: «أين ذهب؟»

لم يتحرك رامي.

صرخ: «رامي! أين ذهب شقيقك الأحمق؟»، فجلس رامي، ورأى حسن في الجهة المقابلة في العتمة، تتوهج السيجارة الحمراء على أطراف ذقنه.

«لماذا تسأل؟»

«لأنه قد يشي بنا مرة أخرى»

قال رامى، ولأول مرة شعر أن صوته يحمل حدة حقيقية: «الضربة؟
لضرب طفل في السادسة من عمره؟»، لم ير ابتسامة حسن، لكنه شعر بها.
«هل ترغب أن أضربك أنت أيضًا؟»

دفع رامى الغطاء عنه، وتوجّه إلى باب الخيمة، وبدأ بفكّه، وهو الباب
الذي رُبط بإحكام على أمل أن يمنع الهواء البارد من التسرّب، واستغرق
فتحه أكثر مما يحتمل من صبره. فاكتفى بفتح ما يكفي لنصف جسده،
زحف على يديه وركبتيه فوق الرمل الناعم، حتى خرج إلى الظلام. لم
تكن هناك إلا أنوار قليلة قرب مدخل المخيم، تعمل بفضل المولد القريب
من خيمة الرجال الكبيرة.

تابع السير، ذراعاه منكشتان من شدة البرد، ومعطفه لم يكن كافيًا لردّ
الارتجاف. أراد فقط أن يتأكد من وجود وليد، لعله نائم بالقرب من والده،
أو محمد. تمنّى ألا يكون نائمًا، لأنه أراد أن يخبره كم يشعر بالأسى، وأول ما
سيفعله صباحًا هو إبلاغ والده ومحمد بما فعله حسن ونواف.

تسرّب الرمل البارد إلى حذائه وهو يواصل المشي، حتى اقترب من خيمة
الرجال. رآه هناك.

كان وليد متكورًا في وضعية الجنين قرب نار منطفئة، لا يغطيه سوى
معطف مماثل لمعطفه، يعلم جيدًا أنه لا يدفئه.

أسرع نحوه، وانحنى عليه، يتحسس ما إذا كان... يتنفس. بشرته باردة
جداً، أقرب إلى الموت، ومؤخرة رأسه مغطاة بدم جاف، ولكن الرائحة
التي ملأت أنفه لم تكن رائحة الدم، بل رائحة وقود. علبه الوقود البيضاء،
والحطب المبتل، وبدأت شفتاه ترتجفان.

هزه: «وليد؟!» وحاول إيقاظه، ونظر نحو باب خيمة الرجال، المغلق تمامًا، والمربوط بالحبال التي تحترق كل فتحة في صفوف دقيقة. حاول وليد الدخول، ولم يستطع فكها. فحاول إشعال نار ليحتمي بها في أثناء نومه. فعل كل ذلك، ورأسه يتزف؟

هزه مجددًا وناداه: «وليد!»، وساعده على الوقوف. تمتم وليد، ثم فتح عينيه قليلًا.

تنفس رامي الصعداء، لكن ما تبع الراحة كان غضبًا حارقًا. كان شقيقه الصغير على وشك الموت بسبب حسن؛ ولم يفعل شيئًا ليمنع ذلك. «اسمعني، اسمعني! اذهب إلى خيمة النساء، وإن وجدتتها مغلقة، ناد أمي! ستفتح لك»

ساعده على الوقوف.

«حسنًا؟» جميع الحقوق محفوظة لقناة رقص

تمتم وليد، وبالكاد يقدر على الكلام: «لست طفلًا»

صرخ رامي: «أرجوك، استمع إلي! اذهب حالاً!»

نظر إليه وليد متعبًا، ثم أومأ برأسه. نزع رامي معطفه، وألقاه على كتفي وليد. ثم، دون أن يستطيع كبح نفسه، ضمّه بشدة.

قال: «أقسم أنني سأجعلهم يدفعون الثمن»؛ ثم تركه وركض عائداً إلى الخيمة.

زحف إلى داخل الخيمة، فوجد ظلامًا دامسًا، لا يرى شيئًا، ولكنه يعرف تمامًا أين يوجد حسن. على الجانب الأيمن، ملتصقًا بالشخير القادم من نواف. نزع الفانوس من العمود، ووقف فوق حسن المختبئ بدوره تحت النطاء.

تمتم حسن: «ماذا تفعل؟» ثم جلس.

توتر جسد رامي. لا مجال للتراجع الآن. عليه أن يلقن حسن درسًا. لئلا
بالفانوس وضرب رأسه، وسمع صوت ارتطام مكتوم.

ثم سكون. لا حركة إطلاقًا.

ناداه مرتبكا: «حسن؟». ثم أدرك أنه ضربه بقوة... ربما بقوة كافية
لتحطيم جمجمته.

وقف لحظة، لا يعرف إن كان يشعر بالذعر أم بشيء آخر... النشوة ربما،
بينما لا يزال يسمع شخير نواف. انحنى ببطء، ثم تعثر بجسد حسن، ولمس
الغطاء، كان مبللًا.

أهي الدماء؟

هناك رائحة وقود أيضًا... الفانوس يسرب.

وقبل أن يدرك ما يحدث، وجد نفسه على الأرض، ورأسه يدوي، وحسن
فوقه، يصرخ، وينهال عليه بالضرب: «يا ابن ال...»

رأسه ينبض من الألم. حاول تحريك جسده، لكن حسن ثقيل جدًا. هل
مرت دقيقة؟ أم أكثر؟ لم يعرف.

فجأة، زال الثقل عنه، ثم رأى حسن واقفاً فوقه.

«أين هو؟ أين الفانوس؟»

كان يتحسس الأرض قرب قدمي رامي، ثم توقف.

لامس حسن جبهته، ثم شعر بالهلع. أدخل يده في جيبه، وأخرج شيئاً
صغيراً لم يتمكن رامي من رؤيته وقال: «تباً لك، أنا أنزف!»

قال رامي: «تستحق ذلك»، ثم أطلق ضحكة صغيرة وقال: «المس أخي
مجدداً، وسأقتلك بكل ما تحمل الكلمة من معنى»

مرّت ثانية...

ثم نقرة ولاعة؛ شرارة، وأخيراً، لهيب صغير بين أصابع حسن. لهبٌ لم
يلبث أن اتسع... ليلتهمهم جميعاً.

شكر وتقدير

استغرق الأمر حوالي خمس سنوات لكتابة روايتي الأولى، وكانت رحلة طويلة مليئة بالصعود والهبوط والصعود مجددًا ثم الهبوط، ثم الصعود ثم الهبوط ثم الصعود... تفهم الفكرة.

تعلمت الكثير عن نفسي أثناء كتابتها، لكن أهم درس كان هذا: أنا ممتن جدًا لكل من حظيت بمتعة معرفتهم خلال هذه الرحلة. لكل الأصدقاء الذين جلسوا يستمعون إليّ بينما أسرد عليهم هذه القصة—أنتم تعرفون أنفسكم، وتعرفون كم أقدركم. وأود أن أشكر أيضًا:

والأستاذ رشيد، أول قارئ لي، و مترجمي الذي ساعدني على نقل هذه الرواية التي كتبتها أصلًا باللغة الإنجليزية.

وصديقي العزيز الكاتب عبدالله البصيص، الذي ساعدني كلماته المشجعة على تجاوز لحظات الهبوط.

وإلى الروائيين الذين سبقوني—أولئك الذين لا يعرفون حتى بوجودي، أولئك الذين كتبوا قصصًا أوصلتني إلى هذه اللحظة—آمل أن يُلهم عملي آخرين كما ألهموني.

وأخيرًا، وليس آخرًا، جمهوري ومتابعي الذين بدأ معهم كل شيء في عام 2018، العام الذي كتبت فيه قصتي الأولى وشاركتها على قناتي في اليوتيوب. شكرًا لكم.

وشكرًا لأنكم انتظرتُم طوال السنوات الخمس الماضية من أجل هذه الرواية.

عن الكاتب

خلف زون هو روائي، وكاتب سيناريو، وصانع محتوى. بدأ مسيرته في الكتابة عام 2018.

تجدونه على حساباته في وسائل التواصل الاجتماعي، وكذلك على قناته في يوتيوب:

يوتيوب: خلف زون Khalaf Zone

إكس (تويتر سابقًا): @Khalafz1

إنستغرام: @Khalafz1

مناب شات: Khalafz1

تيك توك: @RealKhalafZone